مركز البحوث العربية والإفريقية

أفريقيا ... والغرب

دراسة لآراء المفكر الأفريقى اللاتينى

وولتر رودنى

باسم رزق عدلى رزق

تقديم

أ.د. إبراهيم نصر الدين



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **أفريقيا .. والغرب**

المؤلف : باسم رزق عدلي رزق

تقديم : أ.د. إبراهيم نصر الدين

رقم الإيداع :

رقم الإيداع :
٢٠١١/٥١٣٨

الطبعة الأولى ٢٠١١



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٢٧٨٧٧٥٧٤ ـ ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

تصدير

أعد الباحث «باسم رزق عدلى رزق» مادة هذا الكتاب كرسالة علمية لنيل درجة الماجستير فى السياسة والاقتصاد بمعهد **البحوث والدراسات الأفريقية** بجامعة القاهرة، وبإشراف عالمين جليلين هما: **الأستاذ الدكتور إبراهيم نصر الدين، والأستاذ الدكتور صبحى قنصوة.**

ويسعد مركز البحوث العربية والأفريقية أن يتعاون بهذا الشكل المشرف مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة لنشر إنتاج أحد أبنائه الفائز بجائزة مخصصة لواحد من أفضل بحوث العام فى مجال العلوم السياسية باسم «**جائزة حلمى شعراوى للدراسات الأفريقية**»، وفى إطار مركز **البحوث العربية والأفريقية - بالقاهرة.**

ويعتبر الكتاب إضافة علمية متميزة فى مجال بحوث الفكر الأفريقى، وخاصة بتقديم رمز من رموز هذا التفكير الحديث وهو المفكر الأفريقى اللاتينى «**وولتر رودنى**»، كأحد ورثة فكر الوحدة الأفريقية والنضالات الأفريقية للتحرر الوطنى. ولا شك أننا نتطلع جميعاً لمزيد من المعرفة بهذا المجال فى مصر والعالم العربى.

مركز البحوث العربية والأفريقية

القاهرة ديسمبر ٢٠١٠

والتر رودني
تقديم

فى إطار الاهتمامات الدؤوبة لقسم السياسة والاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، بفتح مجالات وآفاق جديدة للبحث العلمى، جاءت رسالة الماجستير فى الدراسات الأفريقية السياسية تحت عنوان: العلاقة بين الغرب وأفريقيا فى الفكر السياسى وولتر رودنى، كباكورة الرسائل العلمية فى فرع الفكر السياسى الأفريقى. وفى هذا المجال يلاحظ أن التركيز ينصب ابتداءً على التناول لفكر الدكتور وولتر رودنى فيما يتعلق بالقضايا والمشكلات الأفريقية التى كانت موضع اهتماماته لسنوات عديدة، وهو وإن كان لا ينتمى إلى القارة الأفريقية، باعتباره أحد مواطنى جمهورية جويانا التابعة للقارة الأمريكية الجنوبية، فإن هذا الأمر ربما يلفت الانتباه إلى موضوع تلك الدراسة.

إن أهم ما يميز فكر رودنى أنه يتسم بدرجة عالية من الاتساق والشمول، وكذلك الحداثة والموضوعية فضلا عن اتسامه بالطابع العملى بمعنى القابلية للتجريب وللتطبيق فى الواقع الفعلى. ويتضح ذلك جليًا فى طرح تصوره البديل للعلاقة بين الغرب وأفريقيا، على المستويات المختلفة، سواء كانت فكرية أو تنظيمية أو حركية، كما أنه طرح طرائق وآليات عدة يمكن بواسطتها الإسهام فى إحداث تغيرات راديكالية مؤثرة على مسارات ومآلات تلك العلاقة. وفى سياق تناوله لظاهرة الاستعمار الجديد، فقد رودنى بإلحاح إلى ضرورة التعامل الشامل معها، من أجل صياغة إستراتيجية للتحرر والتنمية الأفريقية، ومن أجل استنباط الأساليب الملائمة لتحقيق تلك الاستراتيجية.

وفى هذا الشأن يذهب رودنى إلى الإقرار بأنه يستحيل تحقيق التنمية الأفريقية بدون قطيعة جذرية مع النظام الرأسمالى العالمى الذى شكل السبب الرئيسى لتخلف أفريقيا على امتداد القرون الماضية.

ربما يكون المسار الأيديولوجى الذى سلكه وولتر رودنى يقترب إلى حد كبير من الواقعية السياسية، وربما يكون مرد ذلك إلى تلك الظروف التى واكبت نشأته كإنسان أسود ربما تعود جذوره لأصول أفريقية، ودور التيارات الفكرية التى اعتملت بداخله إبان مراحل تعليمه وخصوصًا الجامعية منها فى كل من جامعة جزر الهند الغربية فى جامايكا، وعند استكماله دراساته العليا بجامعة لندن فى بريطانيا التى حصل منها على درجة الدكتوراه فى التاريخ، وكذلك أنشطته داخل جامعة دار السلام فى تنزانيا، وما اكتسبه من خبرات عملية ارتبطت بتركيزه على الدراسات التاريخية الأفريقية من ناحية، ومن أنشطته المختلفة داخل العديد من الحركات والتنظيمات السياسية مثل حركة القوة السوداء سواء أثناء فترة دراسته وعمله بجامايكا، أو بعد أن استبعد عنها وفى دول أخرى، ومن تعاظم اهتماماته وزياراته المتعددة لدول مختلفة داخل القارة الأفريقية، وأيضا تنامى دور حركات التحرير الأفريقية، وتصاعد الصراع الأيديولوجى بين المعسكرين الشرقى والغربى، من ناحية ثانية والتى تركت تأثيراتها فى مجملها على مدركاته وتوجهاته الفكرية.

إن المتتبع للأنشطة الفكرية والأيديولوجية للدكتور وولتر رودنى ولاهتماماته السياسية الأفريقية، سيلاحظ دونما عناء أنها كانت واضحة ومتوافقة مع بعضها البعض، وعلى سبيل المثال فإن مفهومه عن الوحدة الأفريقية ولحركة الجامعة الأفريقية ظل يرتبط بضرورة وأولوية التغيير للعديد من سمات المجتمع الأفريقى، وبإمكانية أن تكون تلك الوحدة وسيلة رئيسية لمساعدة دول القارة الأفريقية على

التغلب على العديد من المشكلات والتحديات التى تكرس تخلفها.

وما تقدم توضيحه يشير إلى أن وولتر رودنى استطاع أن يجعل نشاطه السياسى ترجمة دقيقة وجلية لأفكاره وتوجهاته، ومن الميسور استجلاء ذلك فى موضوعات عدة منها رؤيته ونشاطه فيما يتعلق بضرورة وبكيفية مواجهة العنصرية والاستغلال الإثنى للجماعات وللشعوب الأفريقية، وكذلك فى قضايا متنوعة وخصوصا ما يتعلق منها بقيم العدالة والحرية والمساواة، حيث ظل يركز على أن العدالة فى مفهومها ومضمونها تعنى العدالة فى أساليب وسبل التعامل والتعاون فيما بين أفريقيا والغرب، وأن لها بعدين فى نظره، **أولهما**: يتحقق على المستوى الداخلى الأفريقى بحدوث التنمية، وباستفادة جميع شرائح المجتمعات الأفريقية من مردوداتها ومغانمها. **وثانيهما**: يتحقق على المستوى الخارجى الأفريقى بتتبع وبمراجعة تأثيرات سياساتها وممارساتها على الغرب، فى مواجهة ما يقوم به من سياسات وممارسات. وفيما يتعلق بالحرية فإنما هو يقصد بذلك التحرير من السيطرة الأجنبية، سواء كان ذلك فى صورة الاستعمار القديم كما كان يحدث فى الماضى، أو فى صورة الاستعمار الجديد كما يحدث فى الوقت الراهن. وفيما يتعلق بالمساواة فهو لا يعنى بذلك المساواة بين الرجل والمرأة، وإنما يعنى بذلك المساواة بين أفريقيا والغرب، وأنه إذا كانت هناك فروقات بينهما، فإن مرد ذلك إلى التخلف الذى تسبب فى إحداثه الغرب.

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم نصر الدين
أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة
٢٢ ديسمبر ٢٠١٠



مقدمة

يشكل الفكر السياسي الإطار المرجعى للحركة السياسية، وهو كذلك المرآة التى تعكس سمات وخصائص ومشكلات وتطلعات مجتمع أو جماعة ما فى مرحلة تاريخية بعينها. فمن خلال دراسة رؤى وتصورات أفكار مفكر ما يمكن أن ندرك سمات وتطورات الجماعة والمجتمع والمرحلة التاريخية التى عاش هذا المفكر فى كنفها، فالفكر السياسى لمفكر ما هو إلا رؤية وتصورات هذا المفكر لقضايا ومشكلات وتغيرات تحدث فى المجتمع الذى يعيش فيه فى مرحلة تاريخية، لذا فهو نتاج تفاعل عقل هذا المفكر مع مشكلات مجتمعه، وهذا ما يجعل تحليل الرؤى الفكرية مصدرًا أساسيًا لحقائق تاريخية وسياسية على قدر من المصداقية، فما هى إلا استجابة فكرية لتغيرات المجتمع الذى ينتمى له هذا المفكر.

من ثم ترتبط الحاجة لفهم تاريخ وتطور وواقع الحياة السياسية للإنسان الأسود بدراسة رؤى وتصورات المفكرين الذين ينتمون لهذا الواقع، الذين حاولوا من خلال هذه الرؤى تغيير توجهات وتطورات حياة هذه الشعوب السوداء، فقد كان هذا الإنتاج الفكرى والنظرى حصيلة التفاعل بين هؤلاء المفكرين مع التغيرات والمشكلات وسمات المجتمعات السوداء، حيث تتفاعل الأخيرة مع حصيلة خبرات المفكر التى تتكون فى ظل بيئة لها السمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى تدفع المفكر لاختيار توجه فكرى دون الآخر، يحاول المفكر من خلال هذا التوجه تغيير وإصلاح

واقعه الاجتماعى، أو أن يبرز سمات ومواطن قوة ذلك المجتمع، ومن هنا يأتى تفسير الاختلاف فى التوجه الذى يتبناه مفكر ما عن غيره من المفكرين.

تدرك جل الشعوب الأفريقية أن سمات واقعهم السياسى والاجتماعى والاقتصادى هى من نتاج المرحلة الاستعمارية، فقد كان لعلاقة القارة الأفريقية بالغرب منذ المرحلة الميركانتينية وما أعقبها من سياسات الاستعمار المباشر الأثر فى تحديد سمات المجتمعات الأفريقية فى المرحلة التالية، فقد حاول الغرب أن يجعل كل تطور وتغيير فى القارة يحدث من خلال إرادة الإنسان الأبيض، بل حاول أن يكرس ويخلد تلك العلاقة من خلال الرؤى والنظريات التى تثبت تفوق وسمو كل ما هو أبيض على كل ما هو أسود، وجرت محاولة نفى الإنسان الأفريقى من حركة التاريخ والتطور الحضارى. وفى ظل الرفض والمقاومة الأفريقية اضطر الإنسان الأبيض أن يغادر القارة عسكرياً خلال موجة الاستقلال التى مرت بها القارة، ولكن حاول الغرب الحفاظ على سمات العلاقة الاستعمارية فى فترات ما بعد الحصول على الاستقلال، وحاول مفكروه أن يجدوا النظريات والأساليب والأدوات التى تحقق له هذه الأهداف وتضمن تبعية الإنسان الأسود ليس فقط سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا إنما أيضاً تبعية ثقافية وفكرية وحضارية.

ظهر الفكر الأفريقى المقاوم لسمات تلك العلاقة من إرهاصتها الأولى، وحاول المفكرون السود إيجاد الرؤى النظرية والأفكار السياسية التى يمكن من خلالها مقاومة التحديات العنصرية والاستعمارية التى حاول الغرب من خلالها تدمير إرادة الأفارقة فى المقاومة والرفض، بل وحاول أن يخضعهم بأدوات عسكرية مادية تارة، وبأدوات ثقافية نفسية تارة أخرى، فقد حاول الإنسان الأبيض أن يرسخ فى وعى الأفريقى الإحساس بالدونية وأن يدفعه إلى رفض كل ما يمد بصلة للحضارة والتاريخ الأفريقى، وأن يرسخ داخله الانبهار والإعجاب بكل ما هو غربى أبيض،

وحاول الغرب من خلال كل ذلك تبرير ما قام به من رق ونهب واستعمار للأقاليم السوداء، بل كان يروج لادعاء أن له رسالة حضارية وأنه يحمل المدنية والتحضر لهذه الشعوب السوداء.

ظهرت التيارات الفكرية المقاومة بين الجماعات والشعوب الأفريقية منذ وصولهم إلى العالم الجديد رافضة عقلية العبودية والشعور بالدونية، بل ورفضت تشويه التاريخ الأسود وتحقير الثقافة الأفريقية على يد الإنسان الأبيض؛ لذلك ظهرت «حركة الكنائس الأفريقية المستقلة» كتيار فكرى ترجع جذوره إلى نهاية القرن الثامن عشر، وإلى جانب هذه الحركة كان هناك «حركة العودة لأفريقيا»Back to Africa ، وبدأت بعض الجماعات تقديم التماسات تطالب فيها بالعودة لأفريقيا كتعبير مادى عن تلك الرغبة الفكرية، كذلك تطورت حركة ثقافية فى هارلم (حى السود فى مدينة نيويورك) كتعبير ثقافى لرفض الثقافة البيضاء، ولإيجاد آليات تدعو لفخر الإنسان الأسود بثقافته، وامتد تأثير هذا التيار حتى بداية القرن العشرين فيما يعرف بـ «نهضة هارلم».

أخذت التيارات الفكرية الأفريقية المقاومة فى التبلور فى شكل مؤتمرات وحركات منظمة من منتصف القرن التاسع عشر، وبخاصة مع بداية القرن العشرين، وجاءت مؤتمرات مفكرى تيار الجامعة الأفريقية Pan-Africanism كتعبير عن الرفض السياسى والمؤسسى للعنصرية البيضاء، وعلى الرغم من أن بداية ذلك التيار كانت خارج القارة، إلا أنه سريعاً ما انتقل إلى داخل القارة، ودعا بعض أنصار هذا التيار إلى عودة السود إلى القارة كحل جذرى لما يلاقونه فى العالم الأسود، فى حين كانت رؤية البعض أن الحل لمشاكل الجماعة السوداء يكمن فى انصهار السود داخل المجتمع الأبيض، واستمر تطور هذا التيار وتعددت آليات أنصاره مع سلسلة مؤتمرات الجامعة الأفريقية وما نتج عنها من رؤى فكرية للمقاومة، وتوازى

مع هذا التيار بروز حركة القوة السوداء Black Power Movement بين العديد من المفكرين السود فى الكاريبى فى محاولة لإيجاد سبل تحرير السود على المستوى الفكرى والثقافى.

لم تكن تلك التيارات الفكرية المقاومة قاصرة على الجماعات السوداء التى تعيش خارج القارة، فقد برز داخل القارة العديد من الرؤى الفكرية والتيارات النظرية التى تتناول مشكلات علاقة القارة بالغرب. حاول البعض من تلك التيارات أن تضع الحلول الحضارية والثقافية لهذه المشكلات من خلال إعادة الاعتبار للتاريخ الأفريقى وللثقافة والشخصية السوداء رافضة التشوية الذى حدث لها من خلال الكتابات البيضاء، بل وحاولوا إثبات سمو وتفوق الحضارة والثقافة السوداء على كل ما هو أبيض، وكان ذلك محور اهتمام الشيخ أنتاجوب Anta-Diop المفكر الأبرز فى تيار الزنوجة Negritude. فى حين حاولت تيارات فكرية أفريقية أخرى أن تقوم بمقاومة سياسات الغرب على المستوى النفسى/ السيكولوجى عند السود، ويكون ذلك من خلال ترسيخ الاتجاهات العقلية التى تدفع الأفارقة لمراجعة أمور حياتهم التى تثبت أنهم ليسوا أدنى من البيض، بل سوف تثبت أسبقية وسمو كل ما هو أسود، وكان ذلك محور تيار الوعى الأسود Black Consciousness الذى برز فى الجنوب الأفريقى، وكان ستيف بيكو Steve Biko من أبرز مفكرى هذا التيار.

حاولت التيارات الفكرية الأفريقية أن تصيغ الرؤى الفكرية لمقاومة تحديات ما بعد الاستعمار التى تفرضها علاقة الغرب بالدول الأفريقية حديثة الاستقلال، ولذلك عمل المفكرون الأفارقة على دراسة واقع ما بعد الاستعمار وإيجاد السبل والآليات التى يمكن من خلال إخراج القارة من تبعات الاستعمار. حاول البعض صياغة سبل وأدوات مقاومة الأشكال الجديدة من الاستعمار، ففى حين رأى البعض أن الوحدة هى السبيل لإنهاء هذه التبعية، رأى البعض الآخر أن التنمية هى

البداية المنطقية لإنهاء حالة التخلف والاستعمار الجديد، في حين حاول تيار ثالث إيجاد آليات تخالف ما يقدمه الغرب من طرق للتنمية من خلال وضع الصيغ الأفريقية للإشتراكية، ذلك في سبيل رفض كل ما يأتي من الغرب من رؤى ونظريات، وكان الهدف من هذه التيارات مجابهة آليات ووسائل الغرب التي تهدف لإبقاء القارة في حالة تبعية اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية.

يعبر وولتر رودنيWalter Rodney عن الرؤية الفكرية التي قدمها عن نموذج فكري للفكر السياسي الذي ناقش العلاقة بين أفريقيا والغرب وحاول تقديم الحلول الفكرية لما يشوب تلك العلاقة من جوانب سلبية وعدم اتزان لصالح الغرب، فقد عاش رودني بين الجماعة السوداء في أحد دول الكاريبي أثناء الفترة الاستعمارية؛ لذا فقد عاصر عنصرية الإنسان الأبيض وأساليبه وأدواته في التعامل مع الإنسان الأسود في العالم الجديد ودول الكاريبي، وانتقل بعدها إلى لندن ليرى سمات تلك العلاقة من داخل المجتمع الأبيض، ثم عاش في أفريقيا ليكمل الصورة من خلال معاصرته لهذه السياسات العنصرية والاستعمارية داخل حدود القارة الأفريقية، وعاصر رودني أيضاً مرحلة الاستقلال وحركات التحرير وما أفرزته تلك المرحلة من تحديات ورؤى ونظريات فرضت تقديم الإسهام الفكري من مفكري المرحلة، ومن تأثير جملة العناصر السابقة جعل رودني لسمات العلاقة التي تجمع القارة الأفريقية بالغرب الأولوية في الرؤى الفكرية التي قدمها، بل وحاول دراسة أبعاد تلك العلاقة في فترة ما بعد الاستقلال، وقدم الرؤى التي يمكن من خلالها تعديل ما يشوب علاقة القارة الأفريقية بالغرب من أبعاد سلبية، وهذا شكل الدافع لدراسة وتحليل الرؤى التي قدمها.

يحتوي هذا العمل على دراسة وتحليل الرؤى والتصورات الفكرية التي قدمها وولتر رودني والتي تمت دراستها في إطار رسالة الماجستير للباحث، وكانت

الأخيرة تحت إشراف أحد أهم الأساتذة فى الدراسات الأفريقية هو الأستاذ الدكتور إبراهيم نصر الدين أستاذ العلوم السياسية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، وفى هذا الصدد يتقدم له الباحث بخالص الشكر والعرفان بالجميل لجهد سيادته ولعظيم أثر توجهياته فى وصول العمل لهذه الصورة، وشارك سيادته فى الإشراف على الرسالة أيضاً أحد أهم أساتذة تدريس الفكر السياسى الأفريقى وهو الدكتور صبحى قنصوة أستاذ العلوم السياسية المساعد بالمعهد، والذى كان له عظيم الأثر فى توجيه الباحث لهذا الحقل من العلوم السياسية، ولم يتوان سيادته عن تقديم النصح والإرشاد حتى تخرج الرسالة فى أكمل صورة لها، ويتقدم الباحث أيضاً لأحد أهم المهتمين فكرياً وعملياً بالشأن الأفريقى وهو الأستاذ حلمى شعراوى صاحب جائزة حلمى شعراوى للبحوث الأفريقية والذى كان له الفضل فى ظهور هذا الكتاب للقارئ، وكذلك يتقدم الباحث بخالص الشكر لكافة أعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة بقسم السياسة والاقتصاد لما أبدوه من مساعدات للباحث ليخرج العمل على هذا النحو، ويطيب للباحث أن ينوه عن عظيم تقديره لكل من مد له يد العون والمساعدة.



الفصل الأول

العوامل المؤثرة في الفكر السياسي لوولتر رودني





يتأثر النتاج الفكرى والتنظيرى للمفكر السياسى بالمتغيرات والمشكلات وسمات المرحلة التاريخية التى يعاصرها والتى تتفاعل مع سمات وخصائص وخبرات ذلك المفكر والتى يتم تكوينها فى ظل عوامل ومتغيرات وسمات اجتماعية وأسرية وسياسية معينة، ويكون لحصيلة تلك العوامل مجتمعة الأثر فى اختيار المفكر لتوجه فكرى دون الآخر، يحاول من خلاله تغيير وإصلاح واقعه الاجتماعى، أو أن يبرز أهم سمات ومواطن قوة ذلك المجتمع، ولذا يختلف المفكرون فى التوجه الذى يتبنونه لمواجهة مشاكل مجتمعهم، فبعضهم يكون له توجه مثالى(غير واقعى) كفكرة المدينة الفاضلة لدى أفلاطون، فى حين يكون توجه الآخرين مادياً مثل ماركس فى علاج ظروف مجتمعه، فى حين يكون للبعض توجه مادى نفعى كميكافيللى. لذا فمن الأهمية بمكان عند دراسة وتحليل الفكر السياسى لأحد المفكرين أن يتم وضع تصوراته وأفكاره فى إطار السياق الحضارى والتاريخي والثقافى والاجتماعى لهذا المفكر.

وتزداد أهمية دراسة وتحليل ذلك السياق مع مفكر مثل وولتر رودنى نتيجةً لأهمية المرحلة التاريخية التى عاصرها والتى كان لها الأثر فى التوجه الأيديولوجى الذى تبناه، وكذلك نتيجة لتعدد الأطر الاجتماعية التى عاش فيها، والنظم السياسية التى تفاعل معها، والتيارات الفكرية التى تأثر بها، فقد عاصر رودنى فترة تاريخية مهمة فى التاريخ الحديث تواكبت معها تغييرات واسعة النطاق فى المجتمعات التى عاش فى كنفها، ووجدت تلك العوامل فى رودنى السمات والخصائص المؤهلة لأن يتفاعل مع هذه التغييرات، لذا قدم رودنى إنتاجاً فكرياً يجمع ما بين البحث فى التاريخ لحل مشاكل العصر الحديث، ومحاولة دراسة مشاكل معاصرة لكن فى ظل جذورها التاريخية، ومحاولة استخدام التاريخ لإيجاد السبل والوسائل لمواجهة تلك التحديات ولكن فى شكل معاصر.

وسيتناول هذا الفصل دراسة وتحليل أهم العوامل التى أثرت فى الفكر السياسى لوولتر رودنى، ولذا سيتم تناول الأطر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية والفكرية التى نشأ رودنى فى كنفها، وسيكون ذلك من خلال ثلاثة مباحث، يتناول **أولها** عرضاً لأهم السمات الشخصية والظروف الاجتماعية والأسرية وخبرات التعليم لرودنى، وكيف كان لهذه العوامل الأثر فى فكره، ويتناول **المبحث الثانى** تحليل أهم سمات ومشكلات المرحلة التاريخية التى عاشها رودنى والتى كان لها تأثير عليه، وسيكون تناول تلك السمات والمشكلات على المستوى الدولى والمستوى الأفريقي وكذلك على المستوى الكاريبي موطن رودنى.

وأخيراً.. يتناول **المبحث الثالث** تحليل أهم سمات وخصائص المجتمعات والنظم السياسية التى عاش رودنى فى ظلها، وأهم التيارات الفكرية فى هذه المجتمعات والتى كان لها تأثير فى رودنى وفى توجهه الفكرى لنخلص إلى الإجابة على تساؤل مفاده كيف كان لتلك العوامل الأثر فى تبنى رودنى لتوجه فكرى دون غيره؟.



المبحث الأول

النشأة والسمات والخبرات الشخصية وأثرها في فكره

من المحددات الأساسية فى طبيعة الرؤى والتصورات والتوجة الفكرى الذى يتبناه المفكر السياسي السمات والخبرات الشخصية التى يتم تكوينها فى إطار وضع عائلى له سمات تؤثر على هذا المفكر، كذلك تتأثر هذه الرؤى والتصورات بطبيعة وتوجهات النظام السياسي (أو النظم السياسية) الذى ينشأ ذلك المفكر فى كنفه، حيث يتفاعل المفكر مع المشكلات والتحديات والمتغيرات التى تفرضها تلك البيئة عليه فى إطار زمنى معين.

وبالتطبيق على وولتر رودنى، فقد تأثرت خبرات رودنى الشخصية بخصائص وسمات المجتمع الذى نشأ فيه، حيث نشأ فى وضع اجتماعى له سمات خاصة وفر له المناخ للتفاعل مع سمات وخصائص النظام السياسي والاجتماعى الذى يحيط به بشكل أثر على الرؤى والتصورات التى أنتجها لاحقاً. لذا سيكون محور هذا المبحث تناول أثر هذه الخبرات والسمات الشخصية والظروف العائلية والسياسية فى رؤى رودنى الفكرية من خلال ثلاثة مطالب:

يتناول **أولها** سنوات رودنى الأولى حتى حصوله على درجة الدكتوراه.

فى حين يتناول **المطلب الثانى** سنوات تدريسه فى الجامعة.

وفى النهاية يناقش **المطلب الثالث** سنوات رودنى الأخيرة قبل اغتياله.

المطلب الأول: سنوات رودنى الأولى وسماته الشخصية

ولد وولتر رودنى فى ٢٣ مارس عام ١٩٤٢ بمدينة جورج تاون عاصمة

جمهورية جويانا التعاونية[1] بأمريكا الجنوبية، يدعى والده «إدوارد بيرسيفال رودني» Edward Perceival Rodney وهو ينتمي إلى الطبقة العاملة إذ كان يعمل بحرفة الخياطة، وكذلك كانت والدته من السيدات العاملات، فقد كانت باولين رودني Pauline Rodney تعمل مساعدة في صنع ملابس السيدات لكي تساعد في رفع مستوى دخل الأسرة، وكان رودني الطفل الثاني من بين ستة أطفال لهذين الوالدين، وبالرغم من سوء أحوال الأسرة الاقتصادية فقد تعهدت بأن تظل خلف رودني حتى يصل إلى أعلى المستويات التعليمية[2].

وقد تأثر رودني بهذا الوضع الأسري وبخصائص وسمات أفراد أسرته، وكان أثر الوالد واضحاً، فقد كان والده واحداً من الطبقة الحرفية المستقلة على حد وصف رودني، وقد سافر إلى العديد من الدول، وتعلم الكثير من اللغات كالإسبانية

---

(1) جويانا هي إحدى دول أمريكا الجنوبية تطل على الساحل الشمالي الشرقي المشرف على المحيط الأطلنطي، تحدها فنزويلا من الغرب، وسورينام من الجنوب الشرقي، والبرازيل من الجنوب. خضعت جويانا للاستعمار الإسباني منذ عام ١٤٩٩ أثناء المرحلة الميركانتينية في تجارة الرقيق، ثم آلت للسيطرة الهولندية من عام ١٦٢٠ وحتى ١٨٧٤ حين خضعت للاستعمار البريطاني، وأطلق عليها جويانا البريطانية تمييزاً لها عن جويانا الهولندية (سورينام الآن) وجويانا الفرنسية التي مازالت تحمل نفس الاسم. حصلت جويانا البريطانية على الحكم الذاتي عام ١٩٢٨ ثم نالت الاستقلال في عام ١٩٦٦، وعُرفت من ذلك الوقت باسم جمهورية جويانا التعاونية Co-operative Republic Of Guyana، تقدر مساحتها بحوالي ٢٥٠ ألف كيلو متر مربع، ويصل عدد سكانها وفقا لتعداد عام ٢٠٠٤ إلى حوالي المليون ونصف المليون نسمة. اللغة الرسمية وفقا للدستور هي الإنجليزية، والعملة الرسمية هي الدولار الجوياني، ويصل متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي حوالي ١٠٦٤ دولاراً أمريكياً، ويقدر معدل النمو بحوالي ٤,٥٪ حسب تقديرات عام ٢٠٠٧، وتتنوع الجماعات التي يتكون منها الشعب الجوياني. تم الرجوع في هذه المعلومات إلى الموقع الرسمي للحكومة الجويانية وهو :

-www.gina.gov.gy//natprofile/sysofgov.html
-www. gina.gov.gy/ecomindic.html & - www.opnew.op.gov.gy

(2) Rupert Lewis: Walter Rodney's Intellectual and Political Thought (Barbados: Wayne State University, 1998), p.1.

والبرتغالية، ونتيجة لذكائه ونشاطه انضم إلى الحركة الوطنية فى جويانا تحت قيادة د.شيدى جاجان Cheddi Jagan ورفيقه المحامى فوربيس بورنهام Forbes Burnham وذلك من خلال دوره فى تأسيس الحزب التقدمى الشعبىPeople Progressive Party فى أربعينيات القرن العشرين(١)، وكان لدور والد رودنى فى هذا الحزب أثره فى تشكيل مدركات وتصورات رودنى الأولى حول الواقع الاجتماعى والسياسي فى موطنه، فعلى حد وصف رودنى كان هذا الحزب أول مؤسسة شعبية جامعة فى تاريخ جويانا، وأكد على أنه التنظيم الذى استطاع أن يوحد الشعب الجويانى صفوفه تحت لوائه(٢)؛ فقد قاد هذا الحزب الكفاح ضد الاستعمار فى فترة الأربعينيات وبداية الخمسينيات، وكان توجهه واضحاً؛ إذ «كان هو الحزب الوحيد فى غرب الإنديز الذى له طموح أن يصبح له منهج اشتراكى علمى ومظهر ماركسى، ويصبح هو المعبر عن الطبقة العاملة فى المجتمع»(٣)، وهذا ما قاله رودنى عن توجه هذا الحزب.

وتحول منزل والد رودنى ليكون بمثابة مقر عمل الحزب نتيجة دوره فى الحياة السياسية، وهذا ما جعل رودنى يدرك الكثير من الحقائق السياسية والاجتماعية حول الواقع الاجتماعى والسياسي فى جويانا، فقد كان له دور فى توزيع بيان هذا الحزب، وهو ما ساعده على إدراك الواقع الطبقى والتقسيم الإثنى فى مجتمعه، كذلك تعرف رودنى من خلال هذه الخبرة على دور وتطلعات الطبقة العاملة التى ينتمى إليها والده فى المجتمع الجويانى، بل وتابع أثناء دراسته الثانوية الانقسام الذى حدث فى الحركة الوطنية، وكيف كان للانتماءات الإثنية أثرها على هذا

(1) **Ibid,** p.1&2.

(2) Trevor Campbell A.: »The Making of an Organic Intellectual: Walter Rodney (1942-1980)», **Latin America Perspective** (London: Sage Publication, Vol.8, No.1, Winter 1981), p.2.

(3) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.2.

الحزب(١).

وقد ظهرت قدرات رودنى الذهنية وبراعته الدراسية منذ سنواته الأولى فى التعليم، وهذا ما أعطى له ميزة نسبية على إخوته، بل وكان محفزاً للأسرة على أن تبذل المجهودات والتضحيات حتى يكمل سنوات تعليمه؛ فقد ظهرت تطلعاته منذ الصغر فى حبه للأمور الأكاديمية والدراسية ومتابعة الأحداث السياسية، إذ درس - مثل سائر إخوته- فى المدرسة الإسكتلندية التابعة لكنيسة القديس إسطفانوس فى جورج تاون، ولكنه تميز عنهم فى إتاحة الفرصة له لأن يتقدم إلى المستويات الأعلى فى التعليم(٢). وباستغلال سماته وقدراته الخاصة حصل على منحة دراسية لدخول مدرسة الكلية الملكية Queen's College School ليصبح طليعة أبناء الطبقة العاملة الذين يكملون الدراسة فى هذه المدرسة.

وفى تلك الآونة بدأت ميول رودنى لدراسة التاريخ فى الظهور، فقد أصبح قارئاً شرهاً يتردد على المكتبات العامة لقراءة كتب التاريخ، وأصبح قادراً على الدخول لمكتبات أعضاء هيئة التدريس(٣)، كذلك تميز بشغفه لتعلم اللغات الأجنبية، فقد تعلم الفرنسية فى مدرسة الكلية الملكية، ثم تعلم البرتغالية والإسبانية على نهج والده، وتعلم أيضاً السواحيلية، وفى السنوات السابقة على اغتياله كان يريد أن يتعلم الألمانية(٤)، وقد شكلت تلك اللغات أدوات مساعدة له فى أثناء بحثه فى السجلات البرتغالية والإسبانية والإنجليزية فى أطروحة الدكتوراه(٥).

ويذكر أفراد عائلة رودنى أنه من السمات الأساسية لأسرتهم هو عدم التمسك

---

(1) **Ibid,** p.3. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.50.

(2) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.6.

(3) **Ibid,** p.18.

(4) Horace Campbell: »Walter Rodney: A Biography and Bibliography», **Review of African Political Economy** (Basingstoke: Taylor and Francais LTD., No.18, May-August 1980), p.132.

(5) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.42.

بالدين منذ الصغر، فيُذكر أن والد رودنى لم يكن يتردد على الكنيسة، ولذا فقد وصفه عيدى Eddie (الأخ الأكبر لرودنى) بالملحد، كذلك كانت والدته تنتمى لجماعة منشقة عن الكنيسة الإنجيلية، وكانت دائماً ما تؤكد على فخرها بذلك الانتماء، ووصفت كاثلين Kathleen -الأخت الوحيدة لرودنى- موكب تأبين والدها بأنه لم يحظ بالقدر الكافى من القداسة، وفى رأيها أن ذلك ناتج عن عدم تمسك الأسرة بالمعتقدات الدينية[١]. وفى عقد قران رودنى على زوجته بات Pat Henery رفض أن يتم ذلك فى كنيسة، وبرر ذلك بأنه: «ليس من الضرورى أن نذهب لكنيسة حتى نقوم بالأشياء الجيدة»[٢]، ويمكن أن تكون تلك السمة من العوامل التى سهلت على رودنى تبنى الفكر الاشتراكى الذى تتراجع فيه قيمة الدين.

وقد نال رودنى شهرة واسعة أثناء دراسته على مستوى جويانا، ذلك لأنه لم يكن منكفئاً على الدراسة وحسب، إذ شارك فى الأنشطة الرياضية والثقافية، وأصبح وهو فى مدرسة الكلية الملكية رئيساً لجمعية التاريخ بالمدرسة، ونائباً لرئيس الجمعية النقاشية أيضاً Debating Society، وكان محرراً لمجلة المدرسة التى كانت تحمل اسم The Lictor ، كما شكل رودنى العنصر الأساسى فى الرابطة الطلابية الأخوية The Cadet Corps[٣].

وقد فاز رودنى بمنحة دراسية مفتوحة للدراسة فى جامعة غرب الإنديز West Indies University بجاميكا سنة ١٩٦٠ نتيجة تفوقه الدراسى وتميزه فى الأنشطة الطلابية، واستمر على ذات نهجه النشاطى أيضاً فى سنوات الجامعة، وتأثر بخريجى جامعة غرب الإنديز الذين ربطتهم به روابط قوية، واستمر فى مشاركته فى

---

(1) **Ibid,** p.5.
(2) **Ibid, p.32.**
(3) **Ibid,** p.7.

الأنشطة الطلابية، وبدأ يهتم بالشئون السياسية فى جاميكا، ويتطلع للقيام بدور بها، واتجه للتخصص فى التاريخ تحت تأثير سمات المرحلة التاريخية، وما كان يحدث فى القارة الأفريقية، وانتشار حركات التحرير فيها وفى الكاريبي، كذلك كان الموروث الاستعمارى والتمييز ضد السود على المستوى الدولى من العوامل التى دفعته لدراسة التاريخ، لذا درس رودنى التاريخ الأوروبى فى جامعة غرب الإنديز، وحظيت مرحلة تجارة الرقيق بين أفريقيا وأوروبا والعالم الجديد باهتمام خاص منه لما كان لهذه المرحلة من آثار بالغة على تاريخ وحاضر ومستقبل القارة الأفريقية، لذلك قرر أن يتخصص فى التاريخ الأفريقي، وأن تكون أطروحته لنيل درجة الدكتوراه عن هذه المرحلة[١].

وبعد إتمام رودنى تعليمه الجامعى فى جاميكا فاز بمنحة دراسية أيضاً للحصول على درجة الدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية التابعة لجامعة لندن School Of Oriental and African Studies ، وتلك الفترة كان لها عظيم الأثر فى تكوين رودنى من حيث الخبرات والتيارات الفكرية التى تعرض لها، وهذا ما سنعرضه لاحقاً. ومن الأحداث المهمة فى حياة رودنى أثناء إقامته فى لندن زواجه من فتاة جويانية هى «بات هنرى»، وهى فتاة تنتمى للطبقة المتوسطة فى جويانا، كان والدها عاملاً لتحميل السفن فى جويانا، وكان يشغل منصب نقيب عمال تلك الحرفة، وكانت والدتها تقوم ببعض الأعمال البسيطة فى المنزل حتى تساعد على رفع دخل الأسرة، التى تضم عشرة أبناء من بينهم بات، التى اختارت العمل فى التمريض حتى تساعد أسرتها على توفير سبل المعيشة. وقد تعرفت بات برودنى قبل سفرها إلى لندن نتيجة الشهرة التى كان يحظى بها على مستوى جويانا[٢]، ونتج عن هذا الزواج الذى

(1) Viola Mattavous Bly: »Walter Rodney and Africa», **Journal of Black Studies** (London: Sage Publication, Vol.16, No.2, December 1985), p.116 & 117.

(2) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.10 & 11.

تم فى عام ١٩٦٥ ثلاثة أطفال، أولهم: الابن شاكا[١] Shaka الذى ولد فى لندن، وبنتان هما كانيني و أشا Kanini & Asha اللتان ولدتا فى تنزانيا[٢].

وقد استمر رودنى فى نشاطه الراديكالى بين الطلاب الأفارقة والكاريبيين أثناء إقامته فى لندن، وقام بدراسة التيارات الفكرية التى كانت فى أوروبا فى ذلك الوقت، ونجح فى إتمام أطروحة الدكتوراه فى سنة ١٩٦٦ والتى كان موضوعها حول«تاريخ ساحل غينيا الأعلى ١٥٤٥-١٨٠٠»، والتى حاول فيها تحليل آثار الاستعمار وتجارة الرقيق على الأوضاع الاجتماعية والتركيب العمرى فى منطقة ساحل غينيا الأعلى فى فترة تجارة الرقيق فى المنطقة. وقد قام رودنى ببحث العديد من الوثائق التى تخص هذه المرحلة والتى توجد فى السجلات البريطانية والإسبانية والبرتغالية حتى يصل إلى أدق النتائج المتعلقة بهذه المرحلة التى يعتبرها أساس كافة المشكلات التى فى القارة الأفريقية اليوم[٣].

وقد أهل حصول رودنى على درجة الدكتوراه من مؤسسة مهمة فى بريطانيا لأن يصبح من النخبة الثقافية وربما السياسية فى دول الكاريبي، ولكنه فضل أن يكرس حياته وثقافته وخبرته لخدمة القضايا الشعبية، وأن يظل بين مستَغلِين، وأن يستخدم مهاراته وقدراته فى بحث العديد من القضايا التى تشكل أهمية لشعوب العالم الثالث، بل استطاع أن يضع خطوطاً إرشادية للتغلب على هذه التحديات

---

(١) يظهر لنا اسم ابن رودنى تأثر وتمسك رودنى بالتاريخ الأفريقي، حيث إن شاكا من أشهر ملوك جماعة الزولو التى تعيش فى الجنوب الأفريقى، وقد قاد شاكا العديد من الحروب ضد المستعمرين فى الفترة من ١٨١٦ إلى ١٨٢٨.

(2) Karen Jefferson L.: Walter Rodney Papers", **Archive and Special Collection of Robert W. Woodruff Library** (Atlanta: Atlanta University Center, February 2008), p.3.

(3) Clive Thomas: "Walter Rodney and the Caribbean Revolution», **Paper Presented at the Symposium on Walter Rodney, Revolutionary, and Scholar: a Tribute** (Los Angeles: University of California, January 1981), p.2.

والمشكلات التى تواجه هذه المجتمعات. إذ اختار التاريخ كتخصص أكاديمى واستخدمه كأداة يمكن من خلالها تغيير واقع ومستقبل الشعوب، متأثراً بالمادية التاريخية التى كان ماركس ينادى بها، والتى عمل على دراستها فى فترة وجوده فى لندن، ولذلك خصص رودنى معظم أبحاثه ودراساته فى محاولة أن يجعل للتاريخ الأفريقي وظيفة ودوراً فى تغيير سمات حياة شعوب القارة، كما حاول أن يؤكد على أهمية دراسة وفهم التاريخ وأحداث الماضى حتى نستطيع التغلب على مشكلات وتحديات الواقع، وبسبب هذا الالتزام يصنف مفكراً سياسياً أفريقيا[١] .

المطلب الثانى : سنوات التدريس فى الجامعة

بعد حصول رودنى على درجة الدكتوراه سافر إلى تنزانيا للتدريس فى جامعة دارالسلام فى الفترة من ١٩٦٦ إلى نهاية ١٩٦٧، وكذلك فى الفترة من بداية ١٩٦٩ حتى ١٩٧٤ قبل أن يقرر العودة إلى موطنه، وقام فى سنة ١٩٦٨ بالتدريس فى جامعة غرب الإنديز لمدة لا تتجاوز عشرة شهور.

وقد تفاعل رودنى مع الواقع الأفريقي أثناء وجوده فى تنزانيا، وتأثر بمعطيات وخصائص المجتمع الأفريقي فى هذه الفترة، واستثمر خصائصه الفكرية وطبيعته النشطة فى التفاعل مع الواقع الاجتماعى، وفى القيام بدور فى الحياة السياسية والطلابية فى تنزانيا خصوصاً فى ظل التوافق الذى يقرب بينه وبين التوجهات السياسية والاجتماعية التى أعلنها جوليوس نيريرى فى هذه الفترة[٢]، كما حاول استخدام معرفته بالتاريخ الأفريقي فى رفع مستوى الوعى الطلابى بتاريخ الشعب الأسود فى العالم الجديد من خلال المقررات الدراسية التى كان يقوم بتدريسها، ونظم العديد من المؤتمرات والندوات العامة فى تنزانيا، وانضم لعدد من التنظيمات السياسية والطلابية

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.118.
(2) Rupert Lewis: op.cit., p.43 & 44.

وحركات تضم أساتذة الجامعات[١]. ونستطيع أن نقسم هذه الفترة إلى مرحلتين:

أولاً: رودنى والتدريس فى غرب الإنديز:

عاد رودنى فى سنة ١٩٦٨ إلى جامعة غرب الإنديز للتدريس بها، وعاد إلى سابق عهده فى النشاط السياسي، ورفض انعزال أستاذ الجامعة فى مكتبه، وأخذ على عاتقه أن يزور الأماكن النائية، وأن يخلق حواراً مع الطبقات المعدمة والطبقة العاملة فى جاميكا، والتى غالباً ما تكون ذات أصول أفريقية، ويقول رودنى عنهم: «يقول النظام السياسي عن هؤلاء أنهم لا شىء، وأنهم أميون، ولكن مع إخوتى السود تتعلم التواضع لأنك تتعلم منهم»[٢].

وبهذا اتسعت القاعدة الجماهيرية له وبخاصةً بين الجماهير السوداء التى غالباً ما تشعر بالحنين نحو من يحدثها عن الأصول والجذور، وتزامنت فترة وجوده مع بروز حركة القوة السوداء وتزايد وتيرة نشاطها فى جاميكا، ولذا انخرط رودنى فى أنشطة تلك الحركة التى كان يبغى منها أن تصبح للسود القوة التى تمكنهم من إغلاق سبل ووسائل استغلالهم، وأن يشعروا أنهم على قدم المساواة مع الأبيض[٣]، لذا يقول تشيفانز Chevannes عن رؤية رودنى: «قد كان تعريفه للأسود يعتمد على القوة أكثر من اللون (أسود= ليس أبيض= لا قوة له)، لذا فقد كان يؤكد على الحاجة لاقتناء القوة، وهذا لن يحدث فى رؤيته دون العنف، وهو بذلك يرفض وجهة النظر القائلة بأن العنف عادة لا هدف له من الجماعة أو الشخص أو الطبقة التى تستخدمه»[٤].

وقد اتخذت الحكومة الجاميكية موقفاً معادياً من أنشطة رودنى فى إقليمها، بل رأت أنه يمثل خطراً على الأمن القومى، وأنه يمثل تهديداً شيوعياً، وتحت تأثير

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.119 & 120.
(2) Chris Consalves: »Walter Rodney: Revolutionary Thinker and Fighter», **Socialism and Liberation** (San Francisco: PLS Publications, June 2007), p.2.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.53.
(4) Ibid, p.54.

النفوذ الرأسمالى أعلنت أنه «أجنبى غير مرغوب فيه»، واستغلت حضوره مؤتمر الكتاب السود فى كندا فى أكتوبر ١٩٦٨ وقررت عدم عودته إلى البلاد مرة أخرى، وبسبب هذا القرار اندلعت أعمال العنف والشغب فى جاميكا وفى عدد من العواصم الأخرى تنديداً بهذا القرار ومطالبة بعودته إلى مكانه فى الجامعة[1]، وتم تنظيم العديد من المسيرات الشعبية فى كنج ستون، والاحتجاج أمام مكتب رئيس الوزراء وأمام المجلس التشريعى، وكذلك التظاهر أمام السفارتين الأمريكية والبريطانية، ووصل الأمر إلى إغلاق الجامعة لمدة أسبوعين بغية أن يتم إلغاء هذا القرار والعفو عن رودنى. وقد قدرت الخسائر الناتجة عن هذه الأعمال بملايين الدولارات، وتدمير الكثير من البنى الأساسية، بل يشير البعض إلى أن جاميكا لم تشهد ثورات جماعية مثل تلك منذ عام ١٩٣٨ فى وقت الثورات ضد الاستعمار، وأطلق على هذه الأعمال «أعمال شغب وولتر رودنى»Walter Rodney's Riots [2].

وتدل هذه الأعمال على المكانة التى استطاع رودنى أن يصل إليها فى المجتمع الجاميكى، والشعبية التى استطاع أن يحققها، ومع أنه قد تم استبعاده من جاميكا لكن ظلت له علاقات بالقوة السوداء وبالتنظيمات داخلها، وكان تعليقه على موقف الحكومة وقواتها من هذه الأعمال أمام مؤتمر الكتاب السود كالتالى: «أظهرت قوات البوليس الأسود فى جاميكا منذ الاستقلال درجة من الوحشية فى تعاملها مع إخوانهم السود مثل تلك التى للبوليس الأبيض فى نيويورك؛ وذلك لأنهم يخدمون ذات السادة بالأساس»[3].

---

(1) Odeen Ishmael: **"The Walter Rodney Files"**, June 13th. 2007, p.40,at: http://www.guyana.org/govt/rodney_files.html

(2) Michael O. West: "Seeking Darkly: Guyana, Black Power, and Walter Rodney's Expulsion from Jamaica", **Small Axe**, (Carolina: Duke University Press, No.25, February 2008), p.94 & 95.

(3) Chris Consalves: **op.cit.**, p.3.

ثانياً : سنوات الازدهار الفكرى فى تنزانيا :

توجه رودنى إلى كوبا لفترة قصيرة بعد استبعاده من جاميكا، وبعدها قرر العودة مرة أخرى إلى تنزانيا ومعه أسرته، وكذلك إلى مكانته فى جامعة دارالسلام فى تدريس مادة التاريخ بإحدى مؤسساتها، وأيضاً إلى الحياة السياسية فى تنزانيا، وانضم إلى تيار فكرى واسع النطاق فى هذه الجامعة، واستغل التوافق الفكرى مع توجهات النظام السياسي فى تنزانيا بشكل جعل من جامعة دارالسلام مركزاً ثقافياً مهماً فى تلك الآونة[١]، وقد أتاحت له تلك الفرصة أن يعمق من إدراكه للواقع التنزانى، وأن تتسع معرفته وخبرته بالواقع الأفريقي وبما كان يحدث على مستوى القارة بشكل عام.

وقد أخذ رودنى على عاتقه فى جامعة دار السلام أن يحاول تخريج جيل من طلاب الجامعة على وعى بالتاريخ الأفريقي، يستطيع الاستفادة منه فى مواجهة مشكلات وتحديات الواقع المعاصر، وكان شعار هذا التيار الذى ينتمى إليه رودنى «رجوع أفريقيا مرة أخرى إلى التاريخ الأفريقي»[٢]، كما قام بإنتاج أشهر أعماله وهو كتاب « كيف جعلت أوروبا أفريقيا متخلفة» How Europe Underdeveloped Africa. ويعتبر رودنى أن المجتمع التنزانى كان له دور فى توفير البيئة المناسبة لإتمام هذا العمل[٣]، وأن تنزانيا من أكثر المجتمعات الأفريقية التى تحاول تحقيق التنمية، وهى بذلك مناخ مساعد للإنتاج الفكرى وبخاصة فى ظل التوجه الذى تتبناه القيادة السياسية[٤]، وفى معرض حديثه عن هدفه من الكتاب يؤكد رودنى أنه: «يحاول أن يصل إلى الأفارقة الذين يبغون كشف المزيد عن استغلالهم أكثر من كونه محاولة لإرضاء المعايير التى تم وضعها من قبَل من قاموا بقهرنا واستغلالنا، أو من

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.4.
(2) Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.3.
(3) Horace Campbell: **op.cit.,** p.133.
(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.

الأكاديميين الذين يتحدثون عنا»[1].

وتعتبر فترة استقرار رودنى فى تنزانيا من أكثر الفترات ازدهاراً فى حياته من الناحية الثقافية والفكرية، إذ كان يُدرس فى الجامعة مقرراً يحمل عنوان «تاريخ الشعوب السوداء فى أمريكا»، والذى حاول من خلاله أن يرفع مستوى الوعى لدى الطلاب الأفارقة بتاريخ وواقع حركات النضال السوداء فى العالم الجديد، كما حاول التأكيد على ضرورة الربط والاستفادة من الدروس التاريخية لذلك الكفاح الطويل[2]، وإضافة إلى ذلك قام بإنتاج العديد من الأعمال الفكرية والأدبية حول الواقع الأفريقي والتغيرات التى كانت تحدث فى تنزانيا، وحول حركة الإنسان الأسود على المستوى العالمى، كما شهدت هذه الفترة نشاطاً حركياً واسعاً له حيث يؤكد: «كان دورى السياسي فى هذه المرحلة معروفاً بشكل جيد وهو أن أظل داخل أسوار الجامعة فى البداية، وأن أحاول التنمية والكفاح على مستوى الأفكار، وأن أرتبط بجمهور الطلاب، وبالنسبة لى كشخص غير تنزانى كان على أن أرتبط بالمواطنين التنزانيين، وأيضاً بالطلاب وهيئة التدريس والمواطنين داخل أسوار الجامعة فى البداية، وبعدها يكون ارتباطى وعلاقتى بالتنزانيين خارج الجامعة، وقد قمت بذلك التمييز... لابد لكل فرد أن يدرك حدوداً معينة للموقف السياسى: حدود الثقافة، وحدود الوضع القانونى والمواطنى للفرد، والحدود التى كانت تفرضها أننا كنا نتحدث فى الجامعة لغة واحدة وهى الإنجليزية، بينما كان شعب الدولة يتحدث السواحيلية، فلابد أن نأخذ مثل تلك الأشياء فى الحسبان، إلى جانب اهتمامنا بالسجل والميراث التاريخى، فقد كان الشعب التنزانى مثل كافة الشعوب الأفريقية الأخرى تحت تأثير المواجهات والمؤثرات الثقافية الخارجية كجزء من الإمبريالية الثقافية، ولذلك كان لزاماً على الأشخاص التقدميين (والذين كان

(1) Chris Consalves: **op.cit.,** p.4.
(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.57.

أغلبهم من غير التنزانيين فى جامعة دار السلام) أن يقوموا بالدور الأساسى وبخاصة داخل الحرم الجامعى فى تنزانيا»(١)، لذا قام بكتابة العديد من المقالات حول الأوجاما كتوجه تنموى، وحول الإمبريالية، وناقش مشاكل التنمية فى القارة الأفريقية وما يواجه دولها من تحديات، كما قام أيضاً أعمالاً حول اضطراب التكوين الطبقى فى القارة، وظهر العديد من هذه الأعمال فى دورية تسمى Maji Maji كانت تصدر عن عصبة شباب اتحاد تنجانيقا الوطنى الأفريقيTANU، بل وقام بالبحث فى السجلات التنزانية عن شكل الاقتصاد، وكذلك تكوين الطبقة العاملة فى مرحلة الاستعمار، وهذا ما ظهر فى كتاب يحمل عنوان «الحرب العالمية الثانية والاقتصاد التنزانى»، كما اهتم أيضاً بفاعليات «المؤتمر السادس لحركة الجامعة الأفريقية» الذى عقد فى تنزانيا فى عام ١٩٧٤، وكان رودنى قد أعد ورقة حول «نحو المؤتمر السادس لحركة الجامعة الأفريقية: أبعاد الكفاح الطبقى الدولى فى أفريقيا والكاريبي»(٢).

لقد ترك رودنى أثراً واضحاً فى الحياة الفكرية والسياسية فى تنزانيا، كما تركت تلك الفترة آثارها فى توجهه الفكرى وفى تعميق رؤيته وفهمه للواقع الأفريقي وفى إدراكه للتحديات التى تواجهها القارة، وكان ذلك ناتجاً من سماته الفكرية والتفاعلية ونشاطه الواسع، ويمكن القول بأن تلك الفترة صقلت خبراته حول واقع ومشكلات وتحديات وتطورات القارة.

المطلب الثالث: السنوات الأخيرة: العودة لجويانا والاغتيال

قرر رودنى فى سنة ١٩٧٤ العودة إلى جويانا لكى ينضم إلى الحركة الوطنية فى موطنه، ويربط أبناءه بمسقط رأسه، وبالرغم من أن رجوعه قد أثر فى الحياة

---

(1) Nigel Westmaas: **"Walter Rodney – Selected Quotes"**, p.3, at: http://www.Normangirvan.info/wp-content/uploads/2008/12/walter-rodney-selected-quotes.pdf

(2) Horace Campbell: **op.cit.**, p.133.

السياسية والفكرية فى جويانا إلا أن ذلك لم يكن متوافقاً مع توجهات النظام الحاكم. ونستطيع أن نرصد أهم الأحداث والخبرات فى سنواته الأخيرة وهى:

أولاً: الرجوع لجويانا وموقف الحكومة منه:

عاد رودنى إلى جويانا لينضم إلى هيئة تدريس جامعة جويانا بقسم التاريخ وهذا بناء على موافقة مسبقة من الجامعة، ولكن نظراً لمعارضته لنظام الحكم وما قد اشتهر به من الطابع الحركى الثورى جعل الحكومة الجويانية تمارس الضغوط على إدارة الجامعة لكى تلغى اختيارها له، بل ووقفت فى وجه اختيار العديد من المؤسسات لزوجته للعمل بها، ومع كل ذلك أصر على البقاء فى جويانا والانضمام إلى العملية السياسية بها والمشاركة فى الكفاح من أجل ما أطلق عليه التحرير الذاتى Self Emancipation[١]. وفى تعليقه على موقف الحكومة يقول: «ظهر العديد من الشائعات حول سبب إلغاء اختيارى من الجامعة، ولكن من الجيد أن أسمع أن هناك توضيحاً لهذا الموقف، ما قلته هو أننى قادم لجويانا للقيام بعمل أيديولوجى مثل ما قمت به فى تنزانيا وجاميكا...لقد عشت فترات طويلة من حياتى بجوار السجن، أعرفه جيداً من الخارج، ولكن ربما سيأتى يوم سيكون هناك شخص ما يريد أن يضعنى به»[٢].

لقد كانت مواقف ومحاضرات رودنى حول التشكيل الإثنى والطبقى فى دول الكاريبي، وموقفه من التوجه الاشتراكى (الزائف حسب وصفه) فى هذه الدول، وإصراره على الوحدة بين جماعات الشعب، ونبذ الانقسامات الإثنية، ورفض تسييس هذا الانقسام، وكذلك سعيه الدائم لبناء قوة سوداء، وأيضاً دعوته لاستخدام العنف كأدوات للتغيير من أهم الدوافع لموقف الحكومة منه عند رجوعه

(1) Wazir Mohamed: **"Walter Rodney Lives»**, June 20, 2007,pp.5-7, at: http://www.guyanajournal.com/rodneylives_2.html.
(2) Carl Blackman: »Interview with Waletr Rodney" **the Nation** (Georgetown, Guyana: Ministry of information, June20, 1983), p.1 & 5, at: http://www.guyana.org/govt/rodney_files.html

إلى جويانا[1]، مع ذلك ظل فى جويانا مُعلناً: «لابد أن يصبح لمواطنى الكاريبي دور فى العمليات الثورية...وهو ما نطلق عليه الثورة العالمية أو حركة الجامعة الأفريقية أو أياً من الأشياء التى تعجل بالتغيير الثورى لسيطرة الرأسمالية والمجتمعات الأوروبية...ويرى أبناء جيلى أنه من الصعوبة تحقيق ذلك بعيداً عن الكاريبي...لذا تصبح الحاجة واضحة للانخراط فى الكفاح الوطنى»[2].

وبالرغم من استمرار الحكومة الجويانية فى تضييق الخناق على رودنى وعائلته إلا أنه فضل البقاء فى وطنه، واستمر فى نشر أفكاره وتوجهه الفكرى والذى بدا واضحاً مدى اختلافه عن توجهات ومدركات النظام السياسي الفعلية، وهذا ما جعل التصادم هو السمة الغالبة على معظم فترات تلك العلاقة[3]. وقد كان اهتمامه فى تلك الفترة ينصب حول دراسة الاقتصاد وأنماط الإنتاج فى جويانا، وعلاقة ذلك بالتقسيم الطبقى الموجود داخل هذا المجتمع، كما قام بدراسة العلاقة بين التكوين الإثنى والهيكل الطبقى فى جويانا، وتم نشر تلك الأبحاث فى عملين: الأول: حول «زراعة قصب السكر فى جويانا فى نهاية القرن التاسع عشر»، والثانى: هو «تاريخ الطبقة العاملة فى جويانا ١٨٨١- ١٩٠٥»[4].

من خلال الدرجة الجامعية التى حصل عليها رودنى، ومن خلال سماته وخبراته التي اكتسبها كان من الممكن أن يصبح من النخبة السياسية فى دول الكاريبي، إلا أنه بسبب توجهاته وطبيعة نشاطه ورفض النظام السياسي لدوره وأهدافه ظل بدون عمل فى موطنه، هذا على الرغم من تلقيه العديد من العروض من جامعات مختلفة للتدريس بها، وكذلك طلب رئيس وزراء زيمبابوى روبرتو موجابى منه إبان

---

(1) Horace Campbell: op.cit., p.134.

(2) Trevor Campbell A.: op.cit., p.58.

(3) Myron J. Echenberg: "Walter Rodney 1942-1980", **Candian Journal of African Studies** (Tornto: Candian Association of African Studies, Vol.14, No.2, 1980), p.196.

(4) Karen Jefferson L.: op.cit., p.4.

احتفالات الاستقلال التى حضرها أن يظل فى زيمبابوى ويؤسس معهداً للدراسات بها، إلا أنه قابل كل تلك العروض بالرفض معللاً ذلك بتعهده بالبقاء فى جويانا، وأن يظل مشاركاً فى الكفاح السياسي، وفى توحيد الطبقة العاملة؛ لأنها فى رأيه الوحيدة القادرة على قيادة النضال للتخلص من سيطرة الرأسمالية ومن أنماط الاستعمار الجديد(١).

ثانياً: ائتلاف الشعب العامل: التطبيق العملى لفكر رودنى:

حاول رودنى من وقت عودته إلى جويانا أن يستثمر سماته وقدراته التنظيمية فى تحويل فكره النظرى إلى واقع عملى، إلا أن موقف الحكومة شكل عائقاً فى سبيل ذلك، ولكنه وجد البديل فى أن ينضم إلى تنظيم عمالى حديث التكوين هو «ائتلاف الشعب العامل» (Working People's Alliance (WPA))، وأصبح بسرعة من قادته، وواتته الفرصة لأن يصبح رئيساً لهذا التنظيم منفرداً، لكنه أصر على أن تكون قيادة هذا الائتلاف مشتركة وبالتداول خوفاً من خلق ديكتاتور آخر داخل البلاد(٢).

وقد توافق توجه ائتلاف الشعب العامل مع رغبة وسعى رودنى إلى بناء الوحدة بين الطبقة العاملة بمختلف الإثنيات المكونة لها، حيث يقول: «نحن فى ائتلاف الشعب العامل فى قمة سعادتنا لأننا استطعنا أن نحطم حدود الإثنية، وهذا من الأسباب الأساسية فى نجاح تنظيمنا حزبياً، ونستطيع أن نؤكد فى هذا الوقت أن عضويتنا متعددة الإثنيات، ونحن لسنا بالقوة الكافية فى الأماكن التى ليس لنا القدرة على القيام باتصال مباشر معها، ولكن لنا إرادة قوية فى كافة أجزاء القارة»(٣)، وكانت أولى الوثائق التى أصدرها هذا التنظيم بعد انضمام رودنى إليه

(1) Horace Campbell: op.cit., p.135. & - Trevor Campbell A.: op.cit., p.59.
(2) Zinul Bacchus: "**Walter Rodney**", 14 June, 2001, PP.3-5, at : http://www.guyanajournal.com/Rodney_ZB.html
(3) Carl Blackman, **op.cit.,** p.4.

تحمل عنوان «نحو جويانا ثورية اشتراكية»(١)، لتجسد ما يحمله توجه رودنى ومن معه بشأن كيفية إحداث التغيير فى جويانا، لذا وُضع هذا الائتلاف فى مصاف التنظيمات التى لها توجه ثورى اشتراكى فى تصنيفات الدول الرأسمالية والقوى الغربية، وهذا ما كان يراه أنه أكثر الوسائل المناسبة فى إحداث التغيير الاجتماعى والسياسي من خلال الثورة واللجوء للعنف فى الحالات الضرورية(٢).

وقد بذل رودنى جهداً كبيراً حتى يتحول هذا الائتلاف إلى حزب سياسي، وقد كان له ما أراد، فبدأ التجهيز للحملة الانتخابية للحزب الجديد منذ عام ١٩٧٨ مستغلاً سوء الأحوال الاقتصادية وعدم الاستقرار السياسي فى جويانا بين عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩، ومحاولاً حشد المعارضة تحت لواء ائتلاف الشعب العامل من ناحية(٣)، وكذلك جمع شتات الطبقة العاملة بمختلف الإثنيات رافعاً شعار «قوة الشعب، لا ديكتاتور» People's Power, No Dictator من ناحية أخرى، وهو الأمر الذى تم الرد عليه بعنف من النظام الحاكم، وكان رد رودنى: « قد شعرت الأمة كلها ماذا تعنى وحدة الطبقة العاملة...نحن نعيد التأكيد على تعهدنا بالكفاح، وندرك الضغوط، لكننا بعيدين عن الخضوع لمثل تلك الضغوط»(٤)، كما يؤكد على حيادية تمويل هذا التنظيم بشكل يجعل منه منظمة قادرة على قيادة التغيير حيث يقول: «يعكس تمويل ائتلاف الشعب العامل الأحوال الاقتصادية فى جويانا، فقد كان ولا يزال وسيكون تمويلنا بشكل مستمر من الجويانيين، ولا ننوى أن نطلب تمويلاً خارجياً؛ ذلك لأن الحزب السياسي لا يمكن أن يقوم بذلك لأنه يقوم بعمل سياسى مستقل»(٥).

***

(1) Chris Consalves: **op.cit.,** p.5.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** p.5.
(3) Myron J. Echenberg: **op.cit.,** p.196.
(4) Chris Consalves: **op.cit.,** p.5.
(5) Carl Blackman, **op.cit.,** p.3.

ثالثاً: الفكر والحركة فى رؤى رودنى:

من السمات الأساسية لرودنى جمعه بين الفكر والحركة، بمعنى أن يجعل حركته ونشاطه السياسي تعبيراً عن الأفكار والرؤى التى يقدمها، حيث يقول: «المفكر هو شخص يهتم بربط ما يفكر فيه وما يقوم به بالوجود البشرى...ويناضل من أجل إزالة الغطاء الكثيف الذى نسجه المفكرون المحترفون حول أنفسهم وحول المجتمع»[١]، وقد ظهرت طبيعة رودنى الحركية والكفاحية منذ أن كان طالباً واستمرت حتى وفاته التى كانت بسبب ذلك الطابع الحركى المعبر عن أفكاره الراديكالية، بل إنه يعتبر المفكر الذى لا يحاول التعبير عن أفكاره: «إنساناً آلياً يتكل على الآخر...وشخص مصنوع غير قادر على التفكير أو الفعل دون تحكم خارجى»[٢] على حد وصفه.

وقد حاول رودنى استخدام ذلك الطابع الحركى فى توحيد الشعب الجويانى بصفة عامة والطبقة العاملة بصفة خاصة، وذلك من خلال نشاطه عبر التنظيمات العمالية، ومن خلال المحاضرات العامة والمؤتمرات التى قام بتنظيمها، كما حاول أن يجعل الطبقة العاملة تقود حركة التغيير داخل المجتمع، ولم تكن تلك الدعوة قاصرة على مجتمع أو فئة بعينها، بل كانت بمثابة استغاثة Appeal أو صرخة واسعة النطاق لكافة شعوب العالم (المقهورة) وللمثقفين والناشطين والطبقات العاملة التى وُضعت تحت استغلال الاستعمار التقليدى سابقاً وتحت هيمنة الرأسمالية حالياً بضرورة الوحدة ورفض الرأسمالية والاستعمار الجديد، فقد كان يساوى بين المفهومين، بل ويعتبر الرأسمالية أساس الهيمنة العالمية، وهى كذلك نقطة الانطلاق فى الاستعمار الجديد[٣].

(1) Bonaventure Swai: "Rodney on Scholarship and Activism", **Journal of African Marxists** (Nottingham: Russell Press, Issue 1, November 1981), p.39.
(2) **Ibid,** p.39 & 40.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123.

وقد اتخذ رودنى من التاريخ مصدراً أساسياً لتوجهه الفكرى، إذ كان يرى أن تغيير واقع ومستقبل القارة الأفريقية يكمن فى الاستفادة من الدروس التاريخية، ويؤكد على دور التعليم والتاريخ كأدوات للتغيير الاجتماعى[1]، ويُعتبر رودنى فى هذا الصدد جزءاً من تيار فكرى برز فى الفترة التالية للاستعمار يؤكد على الدور الكفاحى للتاريخ، إذ «حاول أن يعطى لكتابة التاريخ آلام المُشارك الذى يحاول أن يغير العالم، ليس فى الخيال بل فى الواقع، وكان يبحث فى التاريخ عن أسس جديدة للحركة، وفى رأيه أن كتابة التاريخ بدون هذه الآلام تصبح تقسيماً للزمن أو تشريحاً للأحداث دون إحساس بالحركة، فالتاريخ يتحرك، وهذا ما فهمه رودنى»[2] هذا حسب تعبير Leonard Hector وهو من المقربين لرودنى، لذا رفض رودنى التاريخ كما كتبه الأوروبيون، وكان جزءاً من تيار ينادى بإعادة كتابة التاريخ الأفريقي من وجهة نظر أفريقية؛ لأن التاريخ عنده: «هو علم التنمية الاجتماعية، ولابد أن يستخدم كأداة للتنمية الاجتماعية»[3] حسب قوله.

رابعاً: اغتيال رودنى: السياق التاريخى والفكرى:

ألقت الحكومة الجويانية القبض على رودنى ومعه سبعة ناشطين آخرين فى ١١ يوليو ١٩٧٩ على إثر حريق مكتبين من مكاتب المؤتمر الوطنى الشعبىPNC. واندلعت المظاهرات فى جورج تاون وفى عواصم العديد من الدول الأخرى تندد بما فعلته الحكومة الجويانية معه، ولذا تم الإفراج عنهم فى انتظار محاكمتهم[4]، هذا فى الوقت الذى كانت جويانا تمر فيه بفترة صعبة من تاريخها من حيث نقص الاحتياجات الأساسية من الطعام والماء والكهرباء ووسائل المواصلات، وحتى

[1] Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.2.
[2] David Renton: **Dissident Marxism: Past Voices of Present Times** (London: Zed Books, 2004), p.151.
[3] Clive Thomas: **op.cit.,** p.2. & - Odeen Ishmael: **op.cit.,** pp.21-24.
[4] Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.4.

بعض الأدوية المهمة، ووفرة فى فساد الحزب الحاكم ومن يرتبط معه بمصالح(1).

وقد بدأت محاكمة رودنى ومن معه فى الثانى من يونيو ١٩٨٠، وفى جلستها الأولى تم تأجيل هذه المحاكمة على أن تبدأ فى العشرين من أغسطس من ذات العام، ولكن وقع حادث اغتيال رودنى بتفجير جهاز الاتصال الخاص به فى الثالث عشر من يونيو عام ١٩٨٠(2).

ويؤكد مقربون من عائلة رودنى وأعضاء ائتلاف الشعب العامل WPA أنه لم يجر تحقيق جاد حول مقتله من قبل الحكومة على الرغم من اندلاع المظاهرات فى العديد من العواصم الأفريقية والأوروبية التى تندد بحادث اغتيال رودنى، ولم يعُلن رسمياً حتى الآن عن الجهة المسؤولة عن الحادث، ولكن نضع هنا بعض الوقائع التى يستخدمها البعض فى كشف بعض الغموض حول الحادث:

- قبل مقتل رودنى كان يحتاج مبنى وقادة ائتلاف الشعب العامل WPA إلى أجهزة الاتصال، خصوصاً مع إجراءات الحكومة الجويانية التى جعلت الانتقال بين أجزاء الدولة من الصعوبة بمكان، وكان من الصعوبة استيراد تلك الأجهزة نتيجة تعقد إجراءات الاستيراد، وعدم توافر العملة الأجنبية لذلك، وفى هذا الوقت قام أحد الأغنياء فى جويانا وهو جورج سميث Jerogy Smith بالتبرع بتوصيل تلك الأجهزة لائتلاف الشعب العامل، وهذا ماجعل رودنى يثق به إلى حد كبير(3).
- بعد الحادث مباشرة، والذى حدث عن طريق جزء انفجارى فى جهاز الاتصال الخاص برودنى، أشار العديد من الاتهامات لجورج سميث، ولكن الأخير سافر سريعاً إلى جويانا الفرنسية، ومع أن عائلته إلى الآن تعلن أن ذلك كان زعماً خاطئاً، وتدرس أن تصدر كتاباً حول الحادث لتثبت مدى خطأ هذا الاتهام، إلا أن

(1) Zinul Bacchus: **op.cit.,** p.4 & 5.
(2) Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.4.
(3) Zinul Bacchus: **op.cit.,** p.5.

هناك العديد من التساؤلات المثارة حول: لماذا تم الاتهام بهذه السرعة لسميث تحديداً؟ ولماذا تم نقله إلى الخارج وبمساعدة الحكومة؟ من الذى قام بعمل الترتيبات اللازمة لحياته فى الدولة التى سافر إليها؟ أى دور قامت به الدول الأجنبية ووكالات مخابراتها فى نقل سميث؟[1].

- تأجيل المحاكمة من الجلسة الأولى ووقوع حادث الاغتيال بعدها مباشرة بما يضع العديد من التساؤلات حول دور نظام الحكم فى جويانا فى الاشتراك أو تنظيم أو تسهيل وقوع حادث الاغتيال، وهل كان على معرفة بتنظيم جهة ما لهذا الحادث، وهل هو على معرفة الآن بمن هو المسؤول عن اغتياله؟
- يضع بعض المحللين حادث اغتيال رودنى فى سياق سلسلة من الحوادث لعدد من قادة الفكر ذوى التوجة التقدمى مثل باتريك لومومبا، وأميلكار كابرال، وعدد من قادة الفكر الكاريبي[2]، كما يضعون ذلك أيضاً فى إطار تصنيف ائتلاف الشعب العامل، وعدد من التنظيمات الأخرى مثل «حركة الجوهرة الجديدة» فى غرنادا New Jewel Movement، ومنظمة الشعب العامل، إلى جانب ائتلاف الشعب العامل فى جويانا، وحركة The Sandinistas ذات التوجه الثورى فى نيكاراجوا، وأيضاً فى سياق عدم استعداد الولايات المتحدة لأن يتم تكرار خبرة الثورة الكوبية فى إحدى دول أمريكا الجنوبية، كما تضع علاقة رودنى بالرئيس الكوبى فيدال كاسترو علامات استفهام حول دور وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى الحادث[3].

وقد قامت حكومة جويانا بتكريم رودنى بعد اغتياله؛ وذلك تقديراً منها لدوره ومكانته، إذ قامت بمنحه وسام التفوق فى عام ١٩٩٢، وخصصت العام ٢٠٠٥

(1) Wazir Mohamed: **op.cit.,** p.1. & - Odeen Ishmael: **op.cit.,** pp.34-36,46,47,56,69,82,87, & 90-95.
(2) Myron J. Echenberg: **op.cit.,** p.196.
(3) Wazir Mohamed: **op.cit.,** p.1.

كاملاً للاحتفال به رسمياً، كما خصصت منحة دراسية تحمل اسمه، وقامت بعمل نصب تذكارى له فى إحدى الحدائق العامة بالعاصمة والتى تحمل اسمه أيضاً، كذلك أطلقت اسمه على مبنى الأرشيف العام الذى تم افتتاحه فى فبراير ٢٠٠٨[١].

كذلك تجرى احتفالات سنوية برودنى فى جويانا وجاميكا ولندن وتنزانيا، ويعتبر الكثيرون أن أبحاثه وكتاباته قد شكلت توجهاً جديداً فى الدراسات الأفريقية، وفتحت آفاقاً واسعة لدراسات تبُنى عليها، وأن رودنى فى نهجه التحررى وتبنيه المادية التاريخية فى دراسة مرحلة مهمة من تاريخ أفريقيا قد شكل الأساس العلمى للعديد من الدراسات فى تاريخ غرب القارة الأفريقية[٢].

هذه كانت أهم الأحداث فى حياة وولتر رودنى، والتى ساعد بعضها على تبنيه لتوجه فكرى دون غيره، وشكل البعض الآخر أساساً لتبنيه نشاطاً وحركة معينة تعبيراً عن أفكاره، ويمكن أن تفسر تلك الأحداث وبخاصةً إذا وضُعت فى سياق واحد مع سمات المجتمعات التى عاش فيها، والأحداث التاريخية والتيارات الفكرية لبعض الرؤى والتصورات التى قدمها والتى تساعد فى فهم توجهه الأيديولوجى. ويمكن القول بأن الرؤى والتصورات التى قدمها كانت نتاجاً لأطر اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تعكس سمات وواقع المجتمعات السوداء فى كافة أجزاء العالم، وهذا ما سهل على رودنى إدراك أهم التحديات والمشكلات التى تواجه الجماعة السوداء على المستوى العالمى.



(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.5.
(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.129.

المبحث الثاني

خصائص ومشكلات المرحلة التاريخية

تتفاعل سمات وخصائص وخبرات المفكر السياسي مع مكونات وتوجهات المجتمع والنظم السياسية التى يعيش فى ظلها، وذلك فى إطار مشكلات وسمات وقضايا المرحلة التاريخية التى يعاصرها هذا المفكر، حيث تفرض المرحلة التاريخية بعض القضايا والمشكلات التى تصبح فى أولوية اهتمام مفكرى المرحلة، فى حين يتراجع الاهتمام ببعض القضايا الأخرى، وهذا ينطبق على رودنى، فقد عاش فى مرحلة تاريخية شهدت العديد من التغيرات والأحداث والمشكلات على مختلف المستويات والتى كان لها أثرها فى قضايا الفكر السياسي فى هذه المرحلة. لذا سيتناول هذا المبحث تحليل أهم سمات تلك المرحلة على المستوى الدولى فى المطلب الأول، ثم على المستوى الأفريقي فى المطلب الثانى، ثم على دول الكاريبى وموطن رودنى فى المطلب الثالث، وينصب الاهتمام فى هذا المبحث على القضايا والمشكلات التى تتسم بالتأثير المباشر على المجتمعات والتنظيمات التى عاش فى ظلها رودنى والتى يمكن أن يكون لها تأثير فى كتاباته.

المطلب الأول : مشكلات وسمات المرحلة التاريخية

على المستوى الدولى

اشتملت المرحلة التى عاصرها رودنى (١٩٤٢–١٩٨٠) على العديد من التغيرات والقضايا على المستوى الدولى بشكل أثر على النظم السياسية والاقتصادية على مستوى العالم، وكذلك على القضايا الفكرية التى أصبحت محل اهتمام من مفكرى المرحلة، ويمكن القول بأن أهم تلك المؤثرات على الفكر السياسي لوولتر

رودنى من الأحداث على المستوى العالمى هى كالتالى:

أولاً: نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الصراع الأيديولوجى:

فى الوقت الذى كان يتوقع فيه قادة الانتصار فى فرنسا وبريطانيا استمرار نفوذهم وسيطرتهم على دول العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية، شهدت المرحلة العديد من التغيرات التى أدت إلى تراجع نفوذهم لصالح نظام جديد تسيطر على قمته قوتان جديدتان لم تكن لهما تلك الخبرة الاستعمارية، وسرعان ما تحول التحالف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إلى صراع سياسي وأيديولوجى يشمل العديد من دول العالم[١]، وبدأ القطبان سياسة الاستقطاب على المستوى الدولى، وتزامن مع هذا الصراع الأيديولوجى بدء انتشار حركات التحرير فى القارة الأفريقية والكاريبي، ومع تزايد أعداد الدول التى حصلت على الاستقلال بدأت سياسة الاستقطاب والصراع تشتد بينهما لضمان ولاءها لأحد القطبين[٢]، ولذا أصبحت دول العالم الثالث ساحة للصراع السياسي والفكرى حتى أنه فى بعض الأحيان تم التدخل فى الشؤون الداخلية لهذه الدول، بل وتجاهل المجتمع الدولى بعض الأعمال الديكتاتورية التى كانت تخالف إعلانات عالمية ومواثيق دولية بسبب توازن القوى فى هذه المرحلة، إلا أن الأيديولوجية الاشتراكية سواء كتوجه للنظام السياسي أو كسبيل للتنمية كان لها قبول فى العديد من دول العالم الثالث أكثر من الرأسمالية؛ لأنها مقبولة لها نفسياً لرفضها كل ما يتعلق بالاستعمار، ورغبة من تلك الدول فى إتمام الاستقلال النفسى والفكرى، ولكن سياسة الاستقطاب والمواجهة بين المعسكرين كان لها عظيم الأثر على القارة الأفريقية[٣].

---

(1) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.2.
(2) Michael Clough: **U.S Policy Toward Africa and The End of The Cold War** (New York: Council on Foreign Relations Press, 1992), pp.5-8.
(3) L.H Cann & Peter Duignan: **Africa South of Sahara: The Challenge to Western Security** (California: Hoover Institution Press, 1981) PP.85-98.

وقد نشأ رودنى فى إحدى دول الكاريبي التى كانت مستعمرة بريطانية، وعاصر الاختراق البريطانى للدولة التى عاش بها عندما تدخلت الإدارة البريطانية لمنع الحزب التقدمى الشعبىPPP فى جويانا من تولى السلطة[1]، وكان موضوعه للدكتوراه حول المرحلة الاستعمارية وتجارة الرقيق، وتم طرده من جاميكا نتيجة للتوجه الاشتراكى الذى تبناه، ثم تم وضعه تحت المراقبة من السفارة الأمريكية لعلاقته بكاسترو قائد الثورة الكوبية الاشتراكية[٢]،هذا إلى جانب أحداث عدة تُظهر كيف كان للصراع الأيديولوجى على المستوى العالمى الأثر الواضح فى حياة ورؤى رودنى، ولكن كان للرأسمالية أو الدول التى تتبناها الأثر السلبى، فقد كان يؤمن بأن الرأسمالية هى الاستعمار، وأن لها أثراً سلبياً على تاريخ وحاضر ومستقبل الدول الأفريقية، ولذا اختار رودنى الاشتراكية كتوجه يضاد الرأسمالية، وكان فى رأيه أن الرأسمالية مساوية للاستعمار[٣].

لقد رفض رودنى الرأسمالية، بل اعتبرها أساس الهيمنة والاستعمار الجديد، واختار الاشتراكية كسبيل للتحرير الذاتي والتنمية فى أفريقيا والكاريبي، وقام بالعديد من الدراسات حول الاشتراكية الزائفة (حسب وصفه) والتى كانت تطبق فى هذه الأقاليم، وكان يؤمن بضرورة وجود البرجوازية والبروليتارية، وأن الصراع بينهما سيقود لإحداث التغيير، حتى لو كان ذلك التغيير من خلال العنف، لذا يمكن القول بأن رودنى تبنى النهج الاشتراكى بما فيه من صراع طبقى وعنف اجتماعى للوصول إلى الاشتراكية العلمية ولكن بشكل أفريقي ووفقاً لمحددات

(1) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.2 & 3.

(2) Michael O. West: Walter Rodney & Black Power: Jamaican Intelligence and USA Diplomacy, **African Journal of Criminology and Justice Studies** (Maryland: University of Maryland Eastern Shore, Vol.1, No.2, November 2005), PP.2-4 & 10.

(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117 & 123.

وقيم أفريقية[١]، وإن كان هذا التوجه يطرح التساؤل حول مدى رغبة الدول الأفريقية فى تطبيق النموذج الاشتراكى، وهل هناك الإمكانية لتطبيق ذلك، ومدى تناسبه مع البيئة والشخصية والسمات الأفريقية.

ثانياً: نهاية الاستعمار التقليدى:

مع بداية ستينيات القرن العشرين تزايدت وتيرة حركات التحرير على مستوى العالم وخصوصاً فى القارة الأفريقية، وذلك مع بداية عصر الأمم المتحدة ونهاية نظام الانتداب وبدء العمل بنظام الوصاية الذى اعتبره المجتمع الدولى تمهيداً لحصول الدول على الاستقلال. وفى ظل تراجع مكانة الدول الاستعمارية نسبياً، كانت هذه المرحلة بحاجة لبناء فكرى يشكل المنطلق الأساسى لهذه الحركات، ولذا تصدى العديد من المفكرين لإظهار مساوئ الفترة الاستعمارية، وما سببته من تدمير هياكل اجتماعية وكيانات سياسية ونظم اقتصادية كانت سائدة قبل مجىء الغرب، كما حاولوا كشف سياسات الدول الغربية التى تحاول إظهار انتهاء الاستعمار التقليدى شكلياً على أن تظل علاقة التبعية قائمة ومسيطرة، وحاول مفكرو الغرب الترويج لأشكال من التعاون الدولى ومفاهيم سياسية ومشروطيات اقتصادية هى بالأساس أشكال جديدة للاستعمار، كذلك حاول تيار فكرى من الدول النامية التصدى لذلك الشكل من الاستعمار الجديد[٢].

وقد قام رودنى بالعديد من الدراسات حول أثر الاستعمار على القارة الأفريقية والكاريبى، وحاول أن يكون جزءاً من الأساس الفكرى لحركات التحرير، لذا قدم دلائله الفكرية على أن الاستعمار أساس تخلف القارة، وأن الاستقلال يتحقق فقط تحت مظلة الاشتراكية[٣]،وأكد على ضرورة التصدى للاستعمار الجديد، وقدم

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.5 & 12.
(2) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.40.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122 & 123. **&** - David Renton: **op.cit.,** p.151

خطوات فعلية للوصول إلى التحرير الذاتى من التبعية الفكرية والثقافية التى هى أهم أشكال التبعية فى فكر رودنى[١].

كما حاول رودنى تقديم التصورات الفكرية التى يتم من خلالها الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الأفريقية، والذى كان يعتبره استقلالاً شكلياً فى العديد من أبعاده، ونبه لأشكال التعاون الحديثة التى يحاول الغرب من خلالها أن يحافظ على تبعية الدول الأفريقية له، وأن تظل الدول الأفريقية المستهلك الاقتصادى، ومجال تطبيق التصورات السياسية الحديثة، ومصدر المواد الخام، وسوق تصريف السلع، ومجال اختبار الأسلحة، وأن لا يُسمح لها بالعودة مرة أخرى للقيم والهياكل والأنساق التى تستمد من الحضارات والثقافات الأفريقية، ولذا يؤكد رودنى على أنها كانت محاولة لاستبدال شكل تقليدى من الاستعمار بأشكال مستحدثة من تلك الأنماط الاستعمارية[٢].

ثالثاً: تغير طبيعة العلاقة بين الشمال والجنوب:

مع انتهاء فترة الحرب العالمية الثانية وتراجع شكل الاستعمار التقليدى حاولت الدول الكبرى أن تستبدل بذلك الشكل التقليدى من الاستعمار أشكالاً أخرى تحافظ من خلالها هذه الدول على علاقة التبعية من الدول النامية، لذا تغيرت طبيعة العلاقة من كونها علاقة بين دول كبرى استعمارية ودول أضعف هى مستعمرات لتصبح علاقة بين قطبين، الأول هو الشمال الصناعى المتقدم ذو معدلات النمو المرتفعة ومعدلات النمو السكانى الأقل، وهو الأقل سكاناً، ويستحوذ على النصيب الأكبر من الثروة العالمية، وفى مقابل ذلك هناك الجنوب الأقل نمواً، مصدر المواد الخام، والأقل تصنيعياً، وذو معدلات النمو الأقل، ومعدلات النمو

(1) Alex Dupuy: Race and Class in Postcolonial Caribbean: the Views of Walter Rodney, **Latin America Perspective**, Vol.23, No.2, Spring 1996, P.112.

(2) **Ibid,** p. 111 & - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.116 & 126.

السكانى الأعلى، وهو الأكثر سكاناً، ويستحوذ على النصيب الأقل من الثروة. وقد حاول مفكرو الرأسمالية أن يقدموا الأساس الفكرى الذى يخلد تلك العلاقة، وكأن الدول الكبرى رفضت المساواة القانونية التى نتجت فى نهاية الفترة الاستعمارية، وأرادت الحفاظ على علاقة التابع والمتبوع فى علاقتها مع دول القارة الأفريقية[1].

قد أثرت طبيعة العلاقة الجديدة بين الشمال والجنوب فى التصورات التى قدمها رودنى، لذا قام بتحليل أثر تاريخ تلك العلاقة على واقع القارة، وحاول من خلال دراساته أن يظهر المخاطر التى يمكن أن تسببها إذا استمرت على ذات النهج، وتنبأ بسيطرة الرأسمالية عالمياً، ويرى أنه لمواجهة هذه السيطرة الرأسمالية لابد من إدراك ديناميات وآليات هذه الأيديولوجية؛ لأنها «قد تحول العالم إلى نظام واحد يقوم على اتساع العلاقات الرأسمالية»[2]، ويعول على دور البرجوازية الصغيرة Petit Bourgeoisie التى قبلت دور التابع فى علاقتها بالعالم الغربى كشرط مسُبق وضامن لاستقلال البلاد، ويشير رودنى بالبرجوازية الصغيرة إلى حكام فترة ما بعد الاستعمار الذين سيطروا اقتصادياً، ثم نجحوا فى الدخول إلى السلطة[3]، وقد دعا رودنى إلى تحرير المثقفين من الفكر الرأسمالى ومن التنظير والبحث فى الرأسمالية معتبراً أن ذلك يكرس هذه العلاقة ويرسخها[4]، لذا دعا إلى تيار فكرى يحاول أن يعدل من طبيعة تلك العلاقة معتبراً أن الكفاح من أجل تعديل محتواها سيكون أشد ضراوة من الكفاح الذى كان ضد الاستعمار المباشر[5].

إذن تنوعت الأحداث والمتغيرات التى عاصرها رودنى فى المجتمعات التى

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123 & 124.

(2) Immanuel Wallerstein: Walter Rodney: the Historian as Spokeman for Historical Forces, American Ethnologist (New York: Blackwell Publishing on behalf of the American Anthropological Association, Vol.13, No.2, May1986), p.330 & 331.

(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125 & 126.

(5) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58.

عاش فيها، ولكنه حاول أن يتفاعل معها، وكان إنتاجه الفكرى تعبيراً عن تأثره بتلك المرحلة، كذلك حاول أن يستفيد من دراسة تاريخ تلك المجتمعات فى علاج تحديات وانعكاسات التغيير فى النظام الدولى على القارة الأفريقية والكاريبي.

المطلب الثانى: خصائص وسمات المرحلة التاريخية

على المستوى الأفريقي

شهد الواقع الأفريقي العديد من التغيرات والأحداث التى أثارت العديد من التيارات الفكرية، وأثرت فى الإنتاج الفكرى والتنظيرى لمفكرى تلك المرحلة ومنهم رودنى، فقد اهتم الأخير بما يحدث داخل القارة وبتأثير المتغيرات العالمية فى الواقع والمستقبل الأفريقي، ويمكن أن نرصد أهم الأحداث التاريخية على مستوى القارة والتى كان لها تأثير فى فكره كالتالى:

أولاً: حركات التحرير ودور رودنى الفكرى والحركى:

شكلت حركات التحرير فى أفريقيا أساساً فكرياً للعديد من التصورات والرؤى التى حاولت دفع هذه الحركات قدماً، فقد حاولت هذه التيارات أن تشكل الإطار الفكرى والمرجعية التى تنطلق منها حركات التحرير، وحاول البعض الآخر إيجاد مرجعية حضارية يثبت من خلالها أن أفريقيا هى الأسبق على الغرب حضارياً ولابد من استرجاع تلك المكانة، وهذا ما كان ينادى به الشيخ أنتاديوب، فى حين حاول تيار ثالث أن يقابل الاستعمار والعنصرية البيضاء بما يسمى بالوعى الأسود كـ «ستيف بيكو» الذى دعا إلى الوحدة والاندماج على أساس اللون، وهناك تيار رابع يرى أن الوحدة هى الحل فى مواجهة الاستعمار التقليدى وأشكال الاستعمار الجديد[1].

(١) د. صبحى قنصوة: «قضية الهوية وأثرها على الإدراك الأفريقي للعالم العربى»، فى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: **ندوة العلاقات العربية الأفريقية** (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٨) ص ص ١٨٤-١٩٠.

قد تأثر رودني بدور الحركات التحريرية، وشارك في محاولة إيجاد الأسس والمرجعية الفكرية لهذه الحركات، فقام بدراسة أثر الاستعمار على الاقتصاد والتنمية وعلى التركيب العمرى والتشكيل الطبقى فى المجتمعات الأفريقية، ونبه إلى خطورة الأشكال الجديدة من هذا الاستعمار، ولم يكن موقفه موقف المنظر وحسب، بل شارك فى تنظيم العديد من المؤتمرات والندوات، وسافر إلى العديد من الأماكن التى توجد بها حركات التحرير، وكانت له علاقة بالعديد من قادتها فى القارة وبخاصة أثناء وجوده فى تنزانيا[١]، ولم يكن التحرير والاستقلال فى فكره هو للأرض وحسب، بل نادى بالتحرير من القيم والمعتقدات والأفكار التى غرسها الاستعمار فى الشخصية الأفريقية، وبأن التحرير لابد أن يكون فى التعليم وفى المثقفين لا فى السياسات وحسب، فهو تحرير نفسى وفكرى قبل أن يكون تحريراً للأرض والإقليم[٢]،وفى رأيه أن الشعب يستطيع أن يغير تاريخه، وأن الأفارقة يستطيعون ذلك من خلال التنظيم فيما بينهم حتى تتم الاستفادة من دروس الماضى فى تغيير الواقع وجعل المستقبل أفضل[٣].

ثانياً: العنصرية فى الجنوب الأفريقي:

من القضايا والأحداث التاريخية المهمة على الصعيد الأفريقي والتى كان لها تأثيرها فى الواقع السياسي والفكرى فى أفريقيا قضية العلاقات الإثنية والعنصرية فى الجنوب الأفريقي، فقد تم إعلاء الولاء الإثني على كافة الولاءات الأخرى، ومارس البيض كافة الحقوق، واعتبروا أن السود لا حقوق لهم، ولا يجب الاختلاط بهم، وتم الفصل بين السود والبيض إقليمياً وفى المواصلات والتعليم وفى الأماكن

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.120 & 121.
(2) David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.
(3) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **Paper Presented in AAPS Biennial Congress in Egypt** (Cairo: AAPS Biennial Congress, 2005), p.3.

العامة، بل وتم الفصل بين الجماعات السوداء وبعضها البعض[١]، وتم إصدار العديد من القوانين التى تنظم ذلك الوضع، وإعلان حالة الطوارئ، ووضع الترتيبات الأمنية التى تنظم عمل قوات الأمن ودورها بين الجماعات[٢]. وكان لتلك الترتيبات تأثيرها فى الترتيبات السياسية والتنظيمية على مستوى القارة، وكذلك فى التيارات الفكرية التى حاولت إيجاد الحلول الفكرية لذلك الوضع.

وقد حاولت الدول الكبرى أن تقوم بدور فى مناهضة تلك العنصرية وبخاصة الدول ذات التوجه الاشتراكى، ولكن نتيجة علاقة هذا النظام بالولايات المتحدة ودول استعمارية سابقة فقد ظل على ذات نهجه العنصرى[٣]، وحاول ستيف بيكو أن يشكل تياراً فكرياً يضع أسساً لأيديولوجية الوعى الأسود لمناهضة العنصرية البيضاء، وهى أيديولوجية تغييرية أساسها أن يتخلص الأفارقة من الاستعمار نفسياً، وأن يقوموا بمراجعة كافة مجالات حياتهم كسود، وأنهم سيجدون أن التاريخ والدين والعلاقات الاجتماعية والتعليم سيثبت أفضلية السود على ما كان سائداً فى الغرب، ولذا فالوعى بهذا التاريخ عند ستيف بيكو سيساعد فى حل العديد من قضايا الواقع[٤].

---

(1) Kristin Henrard: Post Apartheid South's Africa's Democratic Transformation Process: Redress of the Past, Reconciliation, and Unity of Diversity, **The Global Review Of Ethno Politics** (London: Routledge, Vol.1, No.3, March 2002), pp.19-21.

(2) for More Information Look about Aparthied:

- Adriaan Anderson: **Preventative Detention in Pre-and Post Apartheid South Africa: From a Dark Past to a Brighter Future», at :**

http://www.isrcl.org/Papers/2008/Anderson.pdf

(3) **John Dugard: Norms in International Relations: The Struggle Against Apartheid, The American Journal of International Law** (Washington, D.C.: American Society of International Law, Vol. 91, No.1, January 1997), p.198 & 199.

(4) Charlotte Plantive, **Africa's Biko Appeals to Black Conscience 30 Years after his Death»**, at www.manilatimes.net/national/2007/sept/12/yehey/opinion/20070912opi8.html.

قد عاصر رودنى بعض السياسات العنصرية أثناء وجوده فى تنزانيا، واهتم ببحث تلك القضية فى إطار قضية فكرية أوسع وهى التقسيم الإثنى فى المجتمع، وكيف يطغى على التقسيم الطبقى، ورأى أن العنصرية التى تمت ممارستها فى الجنوب الأفريقي هى امتداد للعنصرية التى كانت تمارس ضد الشعوب السوداء فى العالم الجديد تاريخياً ولها ذات المنطلقات الفكرية وذات النتائج السياسية[١]، وحاول الربط بين العنصرية التى كانت تمارس فى الجنوب الأفريقي مع ما كان يجرى فى موطنه من عنصرية وبخاصة فى ظل التشابه الإثنى الواضح بين المجتمعين[٢]، وأدرك الأثر السلبى لتلك الممارسات العنصرية الاستعمارية على السود، وحالة الاغتراب التى يحاول البيض فرضها عليهم، ولذلك حاول أن يتصدى فكرياً لتلك العنصرية البيضاء، وأن يقدم الرؤى الفكرية التى تنهى حالة الإحساس بالدونية عند السود، ويؤكد رودنى أيضاً على أن العنصرية فى العديد من المجتمعات التى حصلت على الاستقلال تمارس من أقلية سوداء وصلت إلى السلطة (البرجوازية الصغيرة) على شعب أسود لصالح خدمة مصالح رأسمالية عالمية، ويكمن الحل لهذا الوضع فى أنه: «يجب أن نبدأ نحن كسود فى إعادة تقييم أنفسنا كسود وإعادة تعريف العالم من وجهة نظرنا»[٣]، وإن رفع مستوى الوعى والوحدة بين الدول من الأدوات المهمة للتصدى لتلك العنصرية إذ يقول: «لابد أن نأخذ شعار النجم الأسود من ماركوس جارفى، ونتعامل مع المجموعات الأخرى فى المجتمع بناء على فهم أننا لنا نفس الحقوق الأساسية، وأنهم ليست لهم ميزة عنا حتى يستغلوننا كما كان سائداً فى فترة تجارة الرقيق»[٤].

(1) Alex Dupuy: op.cit., p.108 & 109.
(2) Kristin Henrard: op.cit., p.19
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.109 & 113.
(4) **Ibid,** p.113 & 114.

ثالثاً: منظمة الوحدة الأفريقية: التعبير المؤسسى عن تيار فكرى:

من الأحداث التى كان لها تأثير كبير على مستوى القارة الأفريقية تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية كخطوة تمهيدية لإعلان الوحدة بين دولها على نحو ما كان يأمل واضعو ميثاق هذه المنظمة، فقد جاءت المنظمة كتعبير مؤسسى عن تيار فكرى تأسس بين أفارقة الشتات وانتقل إلى القارة مع فترة الاستقلال هو تيار الجامعة الأفريقية هذا على جانب، وعلى الجانب الآخر حاول الأفارقة اتخاذ المنظمة كأداة للتصدى للاستعمار الجديد وأشكاله، ولذا خصصت إحدى لجانها لمساعدة المستعمرات وتنسيق جهود المقاومة، وكان لها دور عظيم فى أداء تلك المهمة. وقد كان الهدف من هذا التيار بين أفارقة الشتات هو التخلص من العنصرية، ومحاولة تحسين ظروف الأفارقة الخاصة، ولذا كانت الوحدة هى الحل بالنسبة لهم، ومع أن المنظمة جاءت معبرة عن الحد الأدنى من المأمول بالنسة لذلك التيار، إلا أنها كانت أساساً مؤسسياً يمكن للتيارات الفكرية أن تنظر فى كيفية تطويره فى المستقبل[1].

ومع الاتجاه القائل بأن الوحدة الأفريقية تُستمد من الكفاح المشترك ضد التفرقة العنصرية، وأنها تمثل نمواً عاطفياً بين الجماهير الأفريقية والجماهير التى تقول بأنها من أصل أفريقي، وأن الجامعة الأفريقية هى جهد من أجل توحيد السود فى صراع التحرير والاستقلال[2]، حاول رودنى دراسة هذه الوحدة فكرياً، واعتبر أن الوحدة بين الدول الأفريقية هى من الوسائل والأدوات المهمة لمواجهة تحديات المستقبل، ولكن الوحدة عنده وحدة لونية كحال أغلب مفكرى الوحدة ذوى

(١) أكاديمية ناصر العسكرية العليا: **منظمة الوحدة الأفريقية: الحاضر وتحديات المستقبل** (القاهرة: أكاديمية ناصر العسكرية العليا، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، ١٩٩٧) ص ١٩-٢٣.

(٢) د.عبد الملك عودة: **فكرة الوحدة الأفريقية** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦) ص ٢٠.

الأصول الأفريقية[١]، ومع ذلك لم يقدم الرؤى التى يمكن من خلالها تفعيل دور منظمة الوحدة الأفريقية، فقد نظر للوحدة بمعنى أوسع وأشمل من مجرد مؤسسة قائمة.

إذن تعرضت القارة للعديد من المتغيرات والأحداث ذات التأثير فى واقعها ومستقبلها، وأيضاً فى التيارات الفكرية والقضايا التى تقع فى مجال اهتمام هؤلاء المفكرين، ولذا فقد انعكس تأثير تلك الأحداث على القضايا محل اهتمام من وولتر رودنى، وحاول التصدي فكرياً للعديد من المشكلات والتحديات التى تواجه القارة، ووضع ذلك فى إطاره الفكرى لمواجهة ما يعترى علاقة القارة مع الغرب من عدم توازن.

المطلب الثالث: خصائص وسمات المرحلة التاريخية فى دول الكاريبي

تتشابه منطقة الكاريبى فى الأحداث والتغيرات التى تأثرت بها فى فترة حياة رودنى مع ما حدث فى القارة الأفريقية، فقد تأثرت تلك المنطقة بذات الأحداث على المستوى الدولى، وبنتائج سياسة الاستقطاب دولياً، ولكن يكمن وجه الاختلاف بين المنطقتين فى كيفية تفاعل النخبة الحاكمة فى دول الكاريبي مع هذه الأحداث، وكذلك فى الطريقة التى حاولت بها الجماعة السوداء استغلال هذا الوضع. وقد تأثر رودنى بعدد من الأحداث على المستوى الكاريبي، وبسمات ذلك المجتمع فى هذه الفترة، وحاول أن يتجاوب معها فكرياً. ومن أهم تلك المؤثرات:

أولاً: الثورة الكوبية وعلاقة رودنى بقادتها:

فى الوقت الذى كان رودنى ينهى تعليمه فى جويانا ويستعد للرحيل إلى جاميكا

(١) د.صبحى قنصوة: م. س. ذ.، ص ٣٤-٦٤.

لاستكمال دراسته الجامعية قام فيدال كاسترو بالثورة فى كوبا سنة ١٩٥٩ معلناً الاشتراكية أيديولوجية وتوجهاً لنظام الحكم فى كوبا، وقام بإقالة نظام الحكم الذى كانت الولايات المتحدة تؤيده بقيادة فيلجينشيو باتيستا Fulgencio Batista[(١)]، وأصبحت الثورة فى كوبا من المحددات الأساسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة فى منطقة الكاريبي، إذ حاولت الولايات المتحدة عرقلة التوجهات الاشتراكية للنظم أو الناشطين والمفكرين حتى لا تتكرر خبرة كوبا مرة أخرى فى هذه المنطقة[(٢)]. وعلى الرغم من أن العديد من المحللين والمهتمين بالأحداث فى كوبا يؤكدون ابتعاد كاسترو عن النموذج الاشتراكى الكلاسيكى الذى قُدم من ماركس وإنجلز، وأنه لم يلتزم بالعديد من الوعود التى قدماها حول العدالة الاجتماعية ومنع الاستغلال الطبقى، إلا أن بقاء استقرار النظام فى كوبا ينبُع من شخصية كاسترو الذى قام بدور مهيمن على النظام، فالاستقرار لم يأت من ديناميات الاشتراكية كما قُدمت فى النموذج الفكرى[(٣)].

قد تأثر رودنى بالثورة الكوبية، وأصبحت له علاقات بالسلطات العليا فى كوبا، وقد زارها عدة مرات على سبيل المثال فى عام ١٩٦٢، وكذلك استقر بها لفترة بعد استبعاده من جاميكا قبل العودة إلى تنزانيا، ويرى أنه: «فى الوقت الذى كانت تتقدم فيه كوبا منذ عام ١٩٥٨ لتصل لبعض النجاح، وأحياناً تفشل، كانت منطقة الكاريبى لاتزال من أهم مناطق الإمبريالية، ويمكن أن ننظر إلى الجزر المجاورة فى

---

(1) Edward J. McCaughan: **Social Justice in Cuba: Promises and Pitfalls**,pp.1-5, at:
http://lasa.international.pitt.edu/LASA98/McCaughan2.pdf

(2) David Penny: **Castro's Cuba: Ideological Themes in Rhetoric**, pp.282-285, at
http://lanic.utexas.edu/project/asce/pdfs/volume14/penny.pdf

(3) A Socialist Labor Party in Cuba: **Is Cuba Socialist?**, pp.7-10, a
http://www.slp.org/pdf/others/is_cuba.pdf

بورتريكو وهاييتي وجاميكا، إلى جانب الجزر الأخرى التي تتحدث الإنجليزية والألمانية والفرنسية، ونضع في أذهاننا أن مثل تلك الأماكن حتى الآن لم تبدأ في الكفاح حتى تواجه العديد من المشكلات التي استطاعت كوبا مواجهتها منذ عام ١٩٥٨، ولذلك يمكن أن نقيس الإنجازات الكوبية ليس فقط بالنسبة لما كانت عليه كوبا سابقاً، ولكن بالنسبة لعدم النجاح الذي ندركه عندما نتعامل مع الركود الذي يميز منطقة الكاريبي في تلك الآونة»[١]، ولذا كان موقف رودني من الثورة في كوبا وزياراته المتعددة لها من المحددات الأساسية في طبيعة توجه حكومة جاميكا ووكالاتها الأمنية نحوه[٢]، وكذلك كان محدداً لموقف الولايات المتحدة وبريطانيا من أنشطته، بل ومن أسباب رفض حكومة جويانا أن يشترك في التدريس للطلاب في الجامعة[٣]، وهو يرى أن الثورة الكوبية أعطت دليلاً على إرادة وقدرة الإنسان الأسود على إحداث التغيير وتحدى الهيمنة البيضاء، وأنها من الأمثلة التي يحتذى بها في الطريقة التي يجب أن يحدث بها التغيير للعلاقة بين الأبيض والأسود.

ثانياً : حركة القوة السوداء وازدهارها مع نشاط رودني :

شهدت منطقة الكاريبي في مستهل النصف الثاني من القرن العشرين وحتى منتصف السبعينيات نشاطاً واضحاً لحركة القوة السوداء التي كانت تحاول أن تكمل الكفاح ضد بقايا الممارسات العنصرية التي كانت تمارس ضد السود، وكان من أهم أهدافها أن يمسك السود بزمام أمورهم، وأن تكون الوحدة بينهم هي الهدف الأسمى الذي يسعون إليه، ويربط البعض بين اتساع نشاط تلك الحركة وبين الانتشار التي شهدته حركات التحرير في أفريقيا، بل ويجعل من الحركة إنعكاساً فكرياً لحركات التحرير، ويجعل من الوحدة الرابط الأساسي بينهما[٤].

(1) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.1.
(2) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.20.
(3) Michael O. West:Walter Rodney & Black Power….., **op.cit.,** p.6.
(4) for more Information look : =

وقد شارك رودنى فى أنشطة هذه الحركة، وحاول أن يجعل لها شكلاً مؤسسياً وأهدافاً واضحة، لذا قام بتنظيم اجتماع لأعضاء وناشطى تلك الحركة فى ١٣ مايو ١٩٦٨ بجامعة غرب الإنديز، حضره ثلاثمائة ناشط وعضو فى الحركة، وكان أهم مخرجات هذا الاجتماع هو التحديد الدقيق لأهداف هذه الحركة والتى تتمثل فى: خلق الوعى باللون الأسود، وتعبئة الشعوب السوداء حتى تعمل فى صالحها، ورفض الإمبريالية الثقافية البيضاء، وأخيراً التأكيد على أهمية اضطلاع السود بالدور الأساسى فى مجتمعاتهم، وطالب رودنى أيضاً الحاضرين بالمقاطعة التامة للرأسمالية، وأكد على العنف والثورة كأدوات لتغيير واقع ومستقبل الجماعات السوداء(١).

كذلك أكد رودنى على أهمية تلك الحركة، وسعى من خلالها إلى أن يضع أسساً فكرية ونظرية تساعد السود فى القضاء على موروثات الفترة الاستعمارية، وعلى أن ذلك لن يحدث دون امتلاك السود لقوة مساوية لقوة البيض، ولهذا يمكن القول بأن توجه رودنى له طابع لونى، ولكنه لم يكن يهدف لمجتمع متعصب لونياً أو إثنياً، بل كان الهدف هو المساواة بين الجماعات المختلفة التى يتكون منها المجتمع(٢).

ثالثاً: تغير سمات التقسيم الطبقى فى دول الكاريبي:

يوجد العديد من أوجه التشابه بين دول الكاريبي من حيث التقسيم الإثنى السائد بها، حيث إن معظم الدول يشهد تعدداً فى الجماعات الإثنية التى يتكون منها الشعب، بل وتتشابه هذه الدول فى الجماعات الموجودة بها، كذلك يجعل معظم هذه الجماعات الانتماء الإثنى هو الأكثر تأثيراً من أية انتماءات أخرى بشكل يجعل العنف

= Victoria Pasley: **The Black Power Movement in Trinidad**, at http://www.bridgew.edu/SoAS/jiws/fall01/pasley.pdf

(1) Michael O. West: Walter Rodney & Black Power……, **op.cit.,** p17 & 18.

(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.112 & 113.

من الأدوات التى تستخدم فى إدارة العلاقة بين هذه الجماعات[1]، وقد أدت معطيات العولمة الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اتساع الفجوة بين الجماعات فى المجتمع الواحد، بل إن الاختلاف وعدم المساواة أصبح بين أفراد الجماعة وبعضهم البعض، مع الأخذ فى الاعتبار تخصص جماعات بعينها فى أنشطة اقتصادية معينة بشكل يجعل تأثيرات العولمة تخدم أصحاب الثروات على حساب العمال ذوى الدخول المحدودة، مما كان له انعكاساته أيضاً على المجالات السياسية فى صورة عدم المساواة بين الفئات الاجتماعية فى توزيع المناصب السياسية والوظائف فى هيكل الدولة، والوضع الذى مهد لخلق مناخ مناسب لاندلاع الصراعات فيما بين الجماعات، وهذا كان حال جويانا موطن رودنى من حيث التقسيم الإثنى والطبقى[2].

ولا شك فى أن رودنى قد تأثر بالوضع الإثنى فى مجتمعه وما تزامن معه من أحداث اجتماعية وتغيرات اقتصادية، ويمكن التدليل على ذلك من خلال الرؤى التى قدمها عن التقسيم الإثنى والطبقى فى المجتمع، ومن القضايا التى حاول علاجها من خلال ما قدمه فكرياً تفسير احتلال السود وهم الأكثر عدداً فى المجتمعات الكاريبية أدنى المراتب الاجتماعية والمناصب السياسية فى ضوء تلك العلاقات الاجتماعية والتكوينات الإثنية، وحتى الفئة التى أصبحت حاكمة بعد الاستقلال (البرجوازية الصغيرة) أصبحت فى ممارستها وتوجهاتها ممثلة للرأسمالية العالمية، وتستخدم كافة الوسائل للحد من مشاركة فعالة لجماعات إثنية بعينها، إذ يقول: «يعتبر موقفى ليس متفرداً فهو جزء من التضحية واسعة الانتشار فى جويانا،

(1) Chandra Jayawardena: Culture and Ethnicity in Guyana and Fiji, **Man New Series** (London: Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.15, No.3, September 1980), p.430 & 431.
(2) Perry Mars: Ethnic Politics, Mediation, and Conflict Resolution: the Guyana Experience, **Journal of Peace Research** (London: Sage publication, Vol.38, No.3, May 2001), pp.353-356.

فالحكومة تستخدم سيطرتها على الوظائف بوعى حتى ترهب الشعب...توسع إدارتها الاقتصادية والتأميم لتصبح صاحب العمل الأساسى والمسيطر...وهذا يمثل عائقاً فى سبيل التعبئة السياسية والتعبير السياسي...وحتى يبقى الموقف كما هو...وهذا يوضح أنه من المستحيل أن نأخذ موقفاً سياسياً؛ لأن من يفعل سيصبح دون عمل أو سينفى خارج البلاد»[1].

وقد حاول رودنى من خلال نشاطه الفكرى وطابعه الحركى أن يشكل جزءاً من ديناميات التغيير فى المجتمع الجويانى متخذاً من الاشتراكية والخبرة التاريخية سبلاً إرشادية فى سعيه نحو حشد الجماهير التى ترفض تلك الأوضاع التى تركها الاستعمار، والتى تحاول النخبة الحاكمة الحفاظ عليها فى سبيل البقاء فى السلطة لأطول فترة ممكنة.

فى النهاية، يمكن القول بأن رودنى عاش فى مرحلة تاريخية مهمة تميزت بتعدد مستويات التغيير فى كافة المجتمعات التى عاش فى كنفها، وقد تأثر بما أنتجته تلك التغييرات والأحداث فى المجتمعات، وكان متجاوباً معها من خلال الإنتاج الفكرى والطابع الحركى، وحاول أن يستخدم الدروس المستفادة منها فى تحفيز السود على ضرورة التغيير، واستغلال التغيرات العالمية والتوازنات الدولية فى الخروج عن الموروثات الاستعمارية التى نتجت عن تاريخ علاقة القارة بالغرب.



(1) Trevor Campbell A.: op.cit., pp.57-59.



المبحث الثالث

السياق الحضاري والسياسي والتيارات الفكرية

يستطيع المفكر أن يصقل خبراته وأن يشكل منطلقاته الأساسية من خلال التفاعل مع مشكلات وسمات المجتمع الذى يعيش فيه، كما يتأثر بالتيارات الفكرية التى تنتشر فى فترة حياته، ولعل من أهم سمات وخبرات رودنى هى تعدد الأطر الاجتماعية التى عاش فى كنفها وتفاعل معها، مع الأخذ فى الحسبان اختلاف خصائص تلك المجتمعات وتباين طبيعة النظم السياسية والتكوينات الاجتماعية بها، وما يترتب على ذلك من تنوع المشكلات والتحديات التى يواجهها كل مجتمع، وأثر ذلك فى إثراء فكره السياسي، فقد عاش رودنى فى جويانا حتى سنة ١٩٦٠، ثم انتقل بعد ذلك إلى جاميكا للدراسة الجامعية حتى عام ١٩٦٣، ثم إلى لندن للحصول على الدكتوراه حتى سنة ١٩٦٦، ثم التدريس فى جامعة دارالسلام فى الفترة من ١٩٦٦ وحتى نهاية ١٩٦٧، ومن بداية ١٩٦٩ حتى ١٩٧٤، والتدريس فى جامعة غرب الإنديز سنة ١٩٦٨، وفى سنة ١٩٧٤ عاد إلى جويانا ليستقر بها حتى يونيو ١٩٨٠. لذا سيتضمن هذا المبحث تحليل السمات المميزة للمجتمعات التى عاش رودنى فيها والتيارات الفكرية التى عاصرها فى كل مجتمع من هذه المجتمعات متخذاً من المعيار الجغرافى أساسا للتقسيم. وسيتم تقسيم المبحث على النحو التالى:

- **المطلب الأول**: سمات وخصائص المجتمع الجويانى وتياراته الفكرية.
- **المطلب الثانى**: المجتمعان الجاميكى والبريطانى وتياراتهما الفكرية.
- **المطلب الثالث**: سمات وخصائص المجتمع التنزانى وتياراته الفكرية.

المطلب الأول: سمات وخصائص المجتمع الجوياني وتياراته الفكرية

نشأ رودني فى مجتمع صغير الحجم، ولكنه يعتبر مثالاً لمجتمعات الكاريبى التى تأثرت بالاستعمار، وتتأثر بما يحدث على المستوى العالمى وهو المجتمع الجويانى، فقد شهدت جويانا العديد من التغيرات فى الوقت الذى عاش رودنى فيها سواء فى سنواته الأولى أو بعد عودته لها فى ١٩٧٤، ولكن لهذا المجتمع العديد من السمات التى شكلت منطلقاً أساسياً ومصدراً رئيسياً لفكر ورؤى رودنى، ويمكن أن نشير إلى أهم تلك السمات وهى:

أولاً: التكوين الإثنى والهيكل الطبقى للمجتمع الجويانى:

تتشابه جويانا مع الكثير من دول الكاريبي من حيث صغر حجم الإقليم وانخفاض عدد سكانه، إذ لا يتعدى إقليمها ٢٥٠ ألف كيلو متر مربع، ولا يتجاوز عدد سكانها المليون ونصف المليون نسمة، ولكن أهم ما يميزها هو تعدد الإثنيات التى يتكون منها شعبها، حيث يتوزع هذا الشعب ما بين جماعات من أصول أفريقية (أفروجويانيين)، وهم أحفاد من أتوا رقيقاً إلى العالم الجديد، وتتراوح نسبتهم ما بين ٣٧-٤٠٪ من الشعب، وجماعات من أصول هندية (هندوجويانيين)، وهم أحفاد من أتوا للعمل كبديل للرقيق، ونسبتهم ما بين ٤٠-٤٣٪، وهناك جماعة ثالثة ناتجة عن الامتزاج بين الجماعتين السابقتين وهم نسبة ليست بالمرتفعة، وهناك جماعات يطلق عليهم الهند وأمريكان IndoAmericans، بالإضافة إلى نسبة من السكان من أصول برتغالية، وآخرين من أصول صينية[1]. وإلى جانب هذا التقسيم الإثنى هناك تقسيم سياسي وآخر اقتصادي لهذه الجماعات؛ ويقصد بالتقسيم السياسي سيطرة الأحزاب الكبرى فى جويانا على إثنيات معينة، أما التقسيم الاقتصادى فيتمثل فى سيطرة جماعات وفئات معينة على الموارد الاقتصادية فى المجتمع.

([1]) Perry Mars: **op.cit.,** P.356.

وقد ساعدت الانقسامات والصراعات الإثنية الأحزاب السياسية فى أن تبنى قاعدتها الشعبية على جماعة إثنية بعينها دون الأخرى، فبينما بدأ الحزب التقدمى الشعبىPPP كمؤسسة يحاول من خلالها قادة الحركة الوطنية أن يصلوا إلى الوحدة بين الإثنيات المختلفة[١]، إلا أن تطورات الحياة السياسية وبمساعدة القوى الرأسمالية منذ منتصف الخمسينيات بدأ العديد من الاختلافات والخلافات بين قادة تلك الحركة وتعرضت سريعاً للانقسام على أسس إثنية، فقد أصبح الحزب التقدمى الشعبى يبنى قاعدته على أساس من الهندوجويانيين تحت قيادة تشيدى جاجان Cheddi Jagan، بينما أسس فوربيس بورنهام قائد المؤتمر الوطنى الشعبى(PNC) People National Congress قاعدة مؤتمره على أساس الأفروجويانيين مستغلاً قدراته ومعرفته بالتاريخ الأفريقي فى جذب الأفارقة لتأييد هذا المؤتمر[٢].

كذلك شهد المجتمع الجويانى تقسيماً فى الثروة والمناصب، فقد كان المعيار فى الحصول على وظيفة هو الانتماء الحزبى الذى يبُنى بالأساس على الانتماء الإثنى، ففى ستينيات القرن العشرين استحوذ الأفارقة على ٧٣٪ من الوظائف المتاحة فى قوات الأمن فى جويانا، وعلى ٥٣٪ من الوظائف فى مراكز الخدمة المدنية، بينما شكل الهندوجويانيين ١٩٪ و ٣٣٪ من القطاعين على التوالى، ولكن فى ظل استحواذهم على ٨٥٪ من الأراضى الصالحة للزراعة مقابل ١٣٪ فقط للأفروجويانيين، وتشكيل هذا القطاع نسبة مرتفعة من الناتج القومى الجويانى، اتجه معظم عمال الأفروجويانيين للعمل فى مناجم البوكسيت[٣].

ويمكن القول بأن الاحزاب السياسية فى جويانا استغلت الوضع فى تسييس

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.116.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.122 & 123.
(3) Perry Mars: **op.cit.,** P.357.

الإثنية واستغلالها اقتصادياً، وكان لهذا الوضع عظيم الأثر على الطبقات التى يمكن أن تنشأ فى المجتمع، فقد ورثت هذه الطبقات انقساماً إثنياً فى المجتمع بشكل يؤثر على هيكل هذه الطبقات؛ لأن الولاء للجماعة الإثنية أصبح فوق كافة الولاءات الأخرى بشكل يعوق إمكانية الوحدة الوطنية فى جويانا[١]، وانطلاقاً من هذا يؤكد رودنى: «كما قلت سابقاً: إنه حتى تستطيع أن تبدأ شيئاً ما لابد أن تُوقف الأشياء الأخرى، ولم يوقف النظام السياسي التمييز الإثنى الذى يقوم به، وذلك بسبب القهر الطبقى الذى يمارسه ذلك النظام، ويقوم بالتضليل لطبيعة التكوين الطبقى تحت هذا الغطاء الإثنى، وفى النهاية سوف يتحرك ضد أى فرد دون الاهتمام بلونه، حتى أنهم فى النهاية سوف يتحركون ضد أنفسهم؛ لأنه لابد لك ألا تصدق أنه إذا كنت عضواً فى هذا الحزب سيكون ذلك ضماناً ضد عدم العدالة التى سوف تحدث غداً، لأنه عندما يكبر ذلك المسخ سوف يخرج عن التحكم والسيطرة، سوف يلتهم حتى هؤلاء الذين كانوا مسؤولين عن تكوينه، وهذا هو الوقت حتى يفهم شعبنا هذا»[٢].

هذا هو الواقع الاجتماعى الذى نشأ فيه رودنى من حيث الانقسامات الإثنية فى المجتمع، وقد كان له تأثيره فى تبنيه توجهاً فكرياً بعينه، والسعى عملياً نحو الوصول إلى الوحدة الوطنية فى هذا المجتمع، وقدم تفسيره لهذا الوضع فى كتاب «مواقف مع إخوتى» Groundings With My Brothers، بأنه نتاج اختلاف المكانة الوظيفية التى يحتلها أبناء كل جماعة إثنية، وعول على دور الاستعمار ومن بعده البرجوازية الصغيرة فى خلق ذلك الوضع لأسباب تتعلق بالرغبة فى السيطرة على السلطة وضمان البقاء على قمة النظام السياسي، لذا حاول أن يتغلب على هذا الوضع من خلال شرحه لنظرية النشوء التاريخي للطبقة العاملة من الناحية

---

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.119.
(2) Nigel Westmaas**: op.cit.,** p.3.

الفكرية، ومن خلال نشاطه فى ائتلاف الشعب العامل كمنظمة تحاول الوصول إلى وحدة الطبقة العاملة بعيداً عن أية انتماءات إثنية[١].

ثانياً: التكوينات الحزبية وأسسها الإثنية فى جويانا:

تزايدت وتيرة الصراع والكفاح من أجل نيل الاستقلال الفعلى لجويانا منذ بداية الأربعينيات وفى خمسينيات القرن الماضى، وكان ذلك تحت قيادة الحزب التقدمى الشعبىPPP فى تلك الآونة، إذ حظى هذا الحزب بالقبول لكونه يضم فى قيادته أفروجويانيين وهندوجويانيين، ولكنه واجه تحدياً من القوى الاستعمارية بسبب توجهه الذى وصفته الحكومة البريطانية بأنه ماركسي، فبعد أن فاز بانتخابات عام ١٩٥٣ وتولى السلطة تدخلت بريطانيا بعد ١٣٣ يوماً وقامت بتعليق العمل بالدستور متخوفة من البرنامج الإصلاحى لهذا الحزب وتطلعاته الاستقلالية، وشكلت حكومة مؤقتة على سدة الحكم أطلقت عليها الحاكم The Governor[٢]، ونتيجة للانقسامات الإثنية السابق الإشارة إليها وبتشجيع من الدول الغربية، وبتغيير نظام الانتخابات المعمول به فى جويانا تم شق صف الحزب التقدمى الشعبى، وبتشجيع من القيادات الغربية أصبح هناك ما يسمى بالمؤتمر الوطنى الشعبىPNC[٣].

وبسبب تفوق عدد الهند والجويانيين فى المجتمع الجويانى سيطر الحزب التقدمى الشعبىPPP على السلطة حتى عام ١٩٦٤، ولكن تشير نتائج الانتخابات ونسب المؤيدين فى الدوائر الانتخابية إلى أن فوز أحد الأحزاب كان يرتبط فى الكثير من

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.119.
(2) **Ibid,** p.122.
(٣) بعد أن كون بورنهام حزباً أطلق عليه الحزب الديمقراطى المتحد United Democratic Party، وتأسست حينها عصبة الشعب الملون League of Colored People والتى كان نشاطها بين الطبقة المتوسطة الحضرية، تم الائتلاف بين المؤسستين ليصبح هناك المؤتمر الوطنى الشعبىPNC، انظر: - Rupert Lewis: **op.cit.,** p.4.

الأحيان بالانقسامات الإثنية فى المجتمع، وكانت النسب التى يحصل عليها الحزبان متقاربة جداً بشكل كان محفزاً على استمرار الصراع فى جويانا للحصول على السلطة(١).

وقد استطاع فوربيس أن يستقطب الأفارقة لدعم المؤتمر الوطنى الشعبىPNC، وفى سنة ١٩٦٤ نجح فى الائتلاف مع حزب القوة الموحدة فى جويانا The United Force Party ليصل إلى السلطة، وكان حزب القوة الموحدة يصنف على أنه حزب يغلب عليه التوجه اليمينى، لذا بدأ المؤتمر الوطنى الشعبى يحيد عن التوجه اليسارى الذى نشأ عليه لصالح توجه أطلق عليه «الاشتراكية الإصلاحية» The Reformist Socialism، وبدأ فى اتخاذ عدة سياسات تسهل من التقارب مع الرأسمالية العالمية(٢).

وبدا الاختلاف الأيديولوجى واضحاً بين الحكومة فى جويانا وبين رودنى، وخاصةً مع سياسة هذا الحزب فى الانفراد بالسلطة وتجريد حزب القوة الموحدة من أية حقوق سياسية، ورفضه المستمر لحركات المعارضة خصوصاً تلك التى يكون لها توجه يسارى، ومحاولة التقرب للرأسمالية العالمية، بل وجعل بورنهام المؤتمر أسمى من سلطة وقوة الدولة، وقام بالتلاعب فى الانتخابات حتى يظل فى السلطة حتى وفاته المفاجئة والغامضة فى عام ١٩٨٥(٣).

---

(1) الدليل على التقارب فى هذه النسب أنه فى انتخابات عام ١٩٦١ حصل الحزب التقدمى الشعبىPPP على السلطة لأنه حصل على نسبة ٤٣٪ من الأصوات، بينما حصل المؤتمر الوطنى الشعبىPNC على ٤١٪، وفى انتخابات عام ١٩٦٤ حصل الحزب التقدمى الشعبىPPP على ٤٥٪ من الأصوات، فى حين حصل المؤتمر الوطنى الشعبىPNC على ٤٠٪، ولكن نجح الأخير فى الائتلاف مع حزب القوة الموحدة ليصل إلى السلطة. انظر:

-Chandra Jayawardena: **op.cit.,** p.432.
-Perry Mars: **op.cit.,** P.357.

(2) Perry Mars: **op.cit.,** P.357. & - Rupert Lewis**: op.cit.,** p.25.

(3) Perry Mars: **op.cit.,** p.358.

وقد أصبح واضحاً الاختلاف بين توجه رودنى والحزب الحاكم، ولذلك ظل ينادى بالاشتراكية كأساس للتنمية منتقداً ما أطلق عليه الاشتراكية الزائفة التى يتبعها النظام الحاكم، وكان رأيه أن الاشتراكية الماركسية الكلاسيكية هى السبيل الوحيد للتنمية، ولكن فى إطار من القيم والنماذج الأفريقية.

ثالثاً: أثر النظام السياسي على الطابع الحركى والإنتاج الفكرى لرودنى:

أخذ رودنى على عاتقه القيام بالبحث والدراسة بل وبالحركة من أجل أن يصل إلى وحدة جويانا إثنياً، وهذا ما ظهر فى العديد من كتاباته، وتجسد فى دوره من خلال ائتلاف الشعب العامل(١)، وفى هذا الصدد أكد على أن الانتماء الإثنى هو الذى يتحكم فى السلوك السياسي أكثر من أى معيار آخر، وأن ذلك يفضى فى مصلحة البرجوازية الصغيرة فى الجماعتين الرئيسيتين، بل وأدرك رودنى ونبه إلى خطورة تزايد أعداد الجويانيين الذين يؤكدون على أن فترة ما بعد الاستقلال فى ظل المؤتمر الوطنى الشعبىPNC أسوأ من الفترة الاستعمارية، وأنه لم يتحقق شيئاً مما كانوا يرغبون فيه أو مما تم الوعد به من المؤتمر(٢).

وأخذت الفجوة بين رودنى وبين الحكومة فى موطنه فى الاتساع، بل إن رودنى حذر الشعب الجويانى من سياسات بورنهام، وأكد على أنه(بورنهام) يساعد فى تهجير أعداد من الأفروأمريكان إلى جويانا ليوازن الانقسام الإثنى فى المجتمع، وأكد على أنه أصبح أداة تستخدمها الرأسمالية العالمية لمنع أية محاولة لتنمية برجوازية صناعية فى جويانا، وبالتالى لن توجد البروليتارية، ولن يوجد الصراع الذى يقود حركة التغيير فى المجتمع فى جويانا(٣)، كما انتقد سياسة التأميم التى كان يقوم بها بورنهام فى معظم القطاعات الاقتصادية مؤكداً أنها تصب فى صالح فئات بعينها،

---

(1) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.4.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.123 & 124.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.57 & 58.

وهم «أناس سود ذو قلوب بيضاء»[١]، وبذلك أصبح رودنى من أشد معارضى النظام السياسى فى جويانا والذى كان يقوده بورنهام بعد أن انضم إلى ائتلاف الشعب العامل، والذى أراد رودنى أن يكون التنظيم الذى ينجح فى توحيد الشعب الجويانى، ولذا سعى أن يحول هذا الائتلاف إلى حزب سياسي، وهذا ما كان[٢].

وبالرغم من الضغوط التى تعرض لها رودنى من النظام السياسي إلا أنه استمرعلى ذات نهجه المعُارض، وبدأ الإعداد لحملة ائتلاف الشعب العامل الانتخابية، وأصدر بياناً يحمل عنوان «عرض نقدى» للوضع فى جويانا، تم نشره فى جريدة الائتلاف (DayClean Global)، حدد فيه برنامج ائتلاف الشعب العامل الانتخابى، ووصف فيه بورنهام بأنه ديكتاتور البرجوازية، حتى فى حادث اغتيال رودنى يرى الكثيرون أن الحكومة يمكن أن يكون لها دور فى تنظيم أو تسهيل حدوث هذا، ويعللون ذلك بأن الهدف من هذا الحادث هو أن يتم إخراج الحركة الشعبية عن إطارها وعن هدفها، ولذلك يشير العديد من محللى سياق حادث اغتياله إلى تعدد أطرافه ما بين نظم سياسية ووكالات مخابرات غربية وعناصر محلية كانت جميعها ترى فى أفكاره ونشاطه واتساع شعبيته خطراً على أهدافها[٣].

لقد تأثر رودنى بمجتمع نشأته لسماته التى سبق عرضها، وبالنظام السياسى وطبيعة علاقاته وتوجهه نحو المعارضة وطبيعة توجهه الأيديولوجى، وبالتكوين الإثنى لمجتمعه وعلاقته بالطبقات فى المجتمع، والتيارات الفكرية التى حاولت مواجهة ما يعترى ذلك المجتمع من مثالب وتحديات، كذلك حاول رودنى أن يكون جزءاً من هذا التيار الفكرى لمواجهة تحديات ذلك المجتمع وتقديم الرؤى

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.124.
(2) Zinul Bacchus**: op.cit.,** pp.3-5.
(3) Horace Campbell: **Walter Rodney: the Prophet of Self Emancipation**, June 2005,p.5 & 6, at http://www.utexas.edu/conferences/africa/ads/722.html

الإصلاحية لها.

المطلب الثانى : المجتمعان الجاميكى والبريطانى وتياراتهما الفكرية

ساعد تنوع المجتمعات التى عاش فيها رودنى على إثراء فكره، وفى نفس الوقت على اتساع قاعدة الجماهير التى استمعت إلى أحاديثه وتأثرت بالأفكار والرؤى التى قدمها، فقد عاش فى المجتمع الجاميكى فى الوقت الذى حصل فيه هذا المجتمع على الاستقلال بعد أكثر من ثلاثة قرون من الاحتلال البريطانى، وتأثر بما يحدث داخل هذا المجتمع، وسعى إلى نشر أفكاره قبل أن ينتقل إلى لندن للحصول على درجة الدكتوراه فى مرحلة تميزت أيضاً بتعدد التيارات الفكرية وتباينها بشأن العديد من قضايا القارة الأفريقية والسود. ويمكن رصد أهم سمات المجتمعين وتياراتهما الفكرية فيما يلى:

أولاً : الواقع الإثنى فى جاميكا وأثره فى فكر رودنى :

يتشابه الواقع الإثنى فى جاميكا مع نظيره فى جويانا من حيث تعدد الإثنيات التى يتكون منها هذا الشعب، ولكن وجه الاختلاف يكمن فى ارتفاع نسبة الجماعات من أصل أفريقي لتصل فى الكثير من التقديرات إلى ما يربو على ٧٥٪ من سكان جاميكا مقارنة بـ١٧٪ من السكان من أصول آسيوية هندية، وهما أكبر جماعتين فى جاميكا[1]، وقد ساعد هذا التركيب الإثنى رودنى على أن يدرك مدى أهمية وقوة حركة القوة السوداء كتيار فكرى ناشط فى جاميكا، ولذا تطلع إلى القيام بدور مع هذه الحركة أثناء تواجده فى جاميكا كطالب، وبعد أن عاد للتدريس فى جامعة غرب الإنديز، وقدم التصور الفكرى لهذه الأيديولوجية كأحد أبعاد تغيير

---

(1) Violet Showers Johnson: **Racial Frontiers in Jamaica's Nonracial Nationhood,** pp.1-7, at: http://www.education.ucsb.edu/socialjustice/johnson.pdf

سمات علاقة الإنسان الأسود بالإنسان الأبيض[1].

كذلك تأثر رودنى بالتكوينات الطبقية من البرجوازية، وأيضاً بدور البروليتارية حديثة التكوين فى المجتمع الجاميكى، وقد تزامنت نشأة وبروز تلك التكوينات الاجتماعية مع تزايد دور الولايات المتحدة فى جاميكا، فقد فتحت جاميكا فى هذه الفترة الطريق لرأس المال الأجنبى للاستثمار فى بعض الصناعات وبخاصة البوكسيت، وقامت الدولة ببيع مساحات من الأراضى لشركات أجنبية مما أثر على السكان المستقرين على تلك الأراضي والعاملين بالزراعة، والذين كانوا فى معظمهم من أصول أفريقية، لذا هاجرت أعداد من هؤلاء السكان للاستقرار فى الأماكن الحضرية بما ساعد على انتشار العديد من الحركات والتيارات لعل من أهمها حركة «راستافارى»Rastafari[2]، وهى حركة نشأت منذ فترة المواجهة مع الاستعمار لتعبر عن السود، وتهدف إلى الوحدة بينهم، وإلى إحياء التراث الأفريقي فى جاميكا[3]، وكانت هذه الحركة تتبنى العديد من أفكار ماركوس جارفى، ولذا توافقت توجهاتها مع رؤى وتصورات رودنى، وهذا ما فتح المجال لتعاون فكرى وحركى معها مما أثر فى تنمية إدراكه بأهمية القوة السوداء ودورها فى المجتمع الجاميكى بصفة خاصة وبين السود على مستوى العالم بصفة عامة[4].

ومن المبادئ المهمة لحركة راستافارى رفض الاستعمار الجديد والأيديولوجية الرأسمالية، لأنها تحاول طمس الهوية الأفريقية لأكثر من نصف سكان جاميكا، لذا اتحد رودنى مع هذه الجماعة متخذاً منها نقطة بداية مؤسسية فى التصدى للاختراق

---

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.119.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.51. & - Rupert Lewis: **op.cit.,** pp.26-28.

(3) Jalani A. Niaah: **Absent Father(s), Garvey's Scattered Children & the Back to Africa Movement**, pp.1-11, at: http://www.africamigration.com/archive_02/j_niaah.pdf

(4) **Idem**

الأمريكى لجاميكا وللرأسمالية العالمية، وكان يرى أن راستافارى هى نقطة انطلاق مهمة فى حركة القوة السوداء فى جامیكا[1].

ولم يتوقف نشاط رودنى عند هذه الحركة، بل حاول أن يطور هيكلاً للقوة السوداء من خلال العديد من الأنشطة لعل من أهمها رحلات سفره إلى الاتحاد السوفيتى وكوبا، وقد ساعده هذا على نشر الأفكار الاشتراكية من خلال الكتب التى كان يحملها عند رجوعه فى الأدبيات الاشتراكية وشرح أفكار ماركس ولينين، وهذا ما جعل إدارات الأمن فى جامیكا ترفض وجوده، كما سعى رودنى أيضاً إلى تشكيل حزب سياسى فى جامیكا أثناء وجوده كطالب بها وهو «الحزب الطلابى الديمقراطى» محدداً هدفه فى نشر الأفكار الماركسية فى غرب الإنديز، وانضم أيضاً إلى «العصبة الشيوعية للشباب»، والتى أعلنت أن هدفها هو الثورة الشيوعية فى جامیكا[2]، ولكن بسبب تضييق الخناق عليه أمنياً، ورغبته فى إنهاء دراسته الجامعية فقد هدأت وتيرة نشاطه منذ بداية عام ١٩٦٣ وذلك إلى حين أن غادر إلى لندن فى أكتوبر من نفس العام .

ثانياً : إقامة رودنى فى لندن والتيارات الفكرية التى تأثر بها :

تأثر رودنى أثناء إقامته فى لندن للحصول على الدكتوراه بالواقع الاجتماعى للجماعة السوداء فى لندن والممارسات التى تتم معها، واتسعت معرفته بجماعات سوداء تنتمى إلى القارة الأفريقية، وأدرك من خلال علاقته بها المشكلات والتحديات التى تواجهها القارة فى هذه الفترة التاريخية المهمة، وهى فترة حركات الاستقلال، وتأثر بالعديد من التيارات الفكرية والحركات التى كانت فى لندن، وكان من أهم هذه المؤثرات الجماعة الدراسية التى انتمى إليها وهى «جماعة غرب الإنديز»التى كانت عبارة عن جماعة دراسية تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية فى لندن وتضم مجموعة من العمال الذين تم

---

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.51.
(2) Michael O. West: Walter Rodney & Black Power, **op.cit.,** pp.6 -8.

جلبهم من دول الكاريبي وأفريقيا ليقوموا بالأعمال الدونية التى لا يقبل الإنجليز بها فى مقابل أجور زهيدة، واستطاع رودنى من خلال علاقته بهذه الجماعات أن يدرك طبيعة دور الرأسمالية فى إيجاد الاختلافات والخلافات بين العمال حتى يسهل التحكم فيهم، وحتى لا تنشأ طبقة البروليتارية التى تطالب بحقوق أفضل، وخصوصاً أن تلك الخبرة تشبه ما كان يحدث فى جويانا(١).

وقد أقام رودنى علاقة قوية بأحد المفكرين الثوريين الذين كان له أثر واضح فى فكره فى تلك الفترة هو «سيرل ليونيل روبرت جيمس C.L.R James»، وهو صحفى ترينيدادى ومفكر اشتراكى وناشط سياسي له علاقة بالعديد من الأحزاب السياسية ذات التوجة الاشتراكى فى أفريقيا والكاريبي، وصاحب العديد من الكتابات عن الثورة فى هاييتى(٢)، وكان جيمس فى دراسته للنظم السياسية يغلب المنظور التاريخى، ويرى أن الحركة الثورية هى فقط التى تحدث التغيير، وتكون شعبية الطابع، ولكن جيمس كان مفكراً وحسب، ولم يكن ذا طابع حركى راديكالى يعبر عن رؤاه وتصوراته مثل رودنى(٣).

وكان جيمس يهتم بدراسة أفريقيا والشتات والمرحلة الاستعمارية وأثرها، وكان يؤكد على ضرورة وحدة العالم الأسود، وأن ذلك يحدث فقط من خلال الثورة التى هى عبارة عن أحداث يحكمها منطق تاريخى، والثورة فى فكر جيمس تحدث لهزيمة الإمبريالية الأوروبية؛ لأن الأخيرة هى سبب التفكك وحالة التخلف فى أفريقيا والكاريبي(٤). لذا يمكن القول بأن رودنى قد تأثر بالعديد من أفكار جيمس

---

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52.
(2) Rupert Lewis: op.cit., p.23 & 34-36.
(3) for More Information about C.L.R. James look:
Ntongela Masilela: **C.L.R. James (1901-1989): A Great Latin American Pan-Africanist and Marxist,** at:
http://pzacad.pitzer.edu/nam/general/essays/clr_james.pdfg
(4) Kent Worcester: **C.L.R. James: Apolitical Biography** (New York: State University of New York Press, 1995) p.31, 32, 77, &78.

ومن أهمها التغيير بعنف، ورفض الرأسمالية، والتأكيد على ضرورة رفض أشكال الاستعمار الجديد، كما تبنى كل منهما المادية التاريخية كاقتراب يمكن من خلاله دراسة التاريخ والاستفادة من الدروس التاريخية فى التصدى لتحديات الواقع الأفريقي.

ثالثاً: الرجوع لجامعة غرب الإنديز: تنظيمات وتيارات فكرية جديدة:

عاد رودنى للتدريس فى جامعة غرب الإنديز فى العام ١٩٦٨، ولكن عند عودته كان قد أصبح أكثر نضجاً من الناحية الفكرية، وتعددت علاقاته بالمنظمات ذات التوجه الاشتراكى، وأصبح أكثر إدراكاً لما يحدث فى دول أفريقيا والكاريبي، فعند عودته إلى جاميكا كان له اتصال بعدد من المنظمات ذات التوجه الاشتراكى منها المنظمة الدولية للشعوب الملونة، والمجموعة الدولية الجديدة New World Community؛ وهى مجموعة من المثقفين ذوى التوجه اليسارى من منطقة دول الكاريبي الأنجلوفونية، ولكن ما يذكر أن علاقة رودنى بهذه المجموعات لم تستمر طويلاً[١].

ثم عاد رودنى أيضاً إلى علاقته مع جماعة راستافارى، وإلى تنظيم المؤتمرات والندوات الخاصة بحركة القوة السوداء، وتأثر أيضاً بالعلاقة مع مجموعة منشقة عن الكنائس الأمريكية بقيادة شخص يدعى «كلاوديوس هنرى»، وهذا من الأسباب التى جعلت السفارة الأمريكية فى جاميكا تتابعه أمنياً، وفى فترة تالية أصبح له العديد من العلاقات مع عصبة الشباب الاشتراكيين ومجلس العمال غير العاملين Unemployed Workers Council، وأيضاً علاقته مع ناشط ثورى يدعى « روبرت هيل» وهو من سهل له العديد من العلاقات مع العديد من الحركات والتنظيمات الاشتراكية فى جاميكا وخارجها[٢].

[1] Michael O. West: Walter Rodney & Black Power......, **op.cit.,** p.10 & 11.
[2] **Ibid,** pp.14-16 & 21 & 22.

لم يبق رودنى فى جاميكا لفترة طويلة من الزمن حتى تم إعلانه شخصاً غير مرغوب فيه، ولكنه تأثر بتوجهات وتحديات المجتمع فى جاميكا والدليل على ذلك قوله: «كنت أتمنى مقابلة الجماهير المهملة فى كل مكان وفى أى مكان فى جاميكا، كنت أسعى إليهم أينما يعيشون ويعملون ويتعبدون والأماكن التى بها حياتهم»[١]، ويعلق على قرار استبعاده: «إخوتنا ذو القلوب البيضاء خائنو العنصر الأسود ليست لهم السلطة الاعتبارية حتى يوجهوا الاتهام لى، أنا ابن أفريقيا، تحدثت بالفعل لطلاب المدارس الثانوية والمؤسسات التعليمية الأخرى، وفى مراكز الشباب وفى الراديو والكنائس والأماكن العامة، وفى فصول دراسية للجماعات الإثنية فى المدينة وفى القرية، ما قيل بالفعل يربك النظام السياسي لأننى أحاول أن أدافع عن قضية التغيير الاجتماعى الثورى، كانت الأعداد القليلة التى تدير جاميكا تخشى من الأماكن التى ترانى فيها، كنت أقابل السود فى فناء المنازل، وفى أماكن إلقاء المهملات التى حجزوا الشعب الأسود بها على أمل أن العالم سينسى وجود هؤلاء الناس»[٢].

هذه كانت سمات المجتمع فى جاميكا والتيارات والجماعات التنظيمات الفكرية التى عاصرها رودنى فى هذا المجتمع وتأثر بها، وكان لها أثر واضح فى كتاباته حول المجتمع الجاميكى، وفى أنشطته وعلاقاته التى اتسعت على مستوى الكاريبي بما أدى إلى اتساع شعبيته، وزيادة عدد من يسمعون ويدركون أفكاره، والدليل على ذلك المظاهرات وأعمال الشغب التى اندلعت بعد قرار استبعاده من جاميكا، كذلك تأثر رودنى وأثر فى التيارات الفكرية التى عاصرها فى لندن.

المطلب الثالث: سمات وخصائص المجتمع التنزانى وتياراته الفكرية

من أهم فترات حياة رودنى من حيث الإنتاج الفكرى والطابع الحركى له وفى تنمية إدراكه وفهمه لطبيعة المشكلات والتحديات التى تواجهها القارة هى فترة

---

(1) **Ibid,** p.10.
(2) **Ibid,** p.27 & 28.

وجوده فى تنزانيا للتدريس فى جامعة دار السلام، فقد عاصر العديد من الأحداث التاريخية – كما سبقت الإشارة فى المبحث الثانى – التى أثرت فيه، وكذلك تفاعل مع سمات المجتمع التنزانى وخصائصه وأحداثه وتوجهاته والتى كان لها تأثيرها فى الرؤى التى قدمها، كذلك تأثر بالعديد من التيارات الفكرية فى تنزانيا وعلى مستوى القارة التى كانت تحاول التصدى لمشكلات تلك المرحلة التاريخية التى تأثر بها فى الرؤى التى قدمها، و حاول من خلالها طرح رؤية تتوافق مع العديد من هذه التيارات. ومن أهم تلك السمات والتيارات الفكرية:

أولاً: التنمية فى تنزانيا: الاشتراكية الأفريقية:

يعتبر النظام السياسي فى تنزانيا من النظم الأفريقية التى حاولت أن تخرج سريعاً عن الموروث الاستعماري، لذلك تبنى الرئيس التنزانى جوليوس نيريرى أيديولوجية للتنمية يطلق عليها «الأوجاما»Ujama وتترجم إلى الاشتراكية الأفريقية، والأوجاما باللغة السواحيلية تعنى: الأسرة الممتدة Familyhood، وهى عبارة عن اتجاه عقلى يغلب من قيمة العمل، ولا مجال فيه للصراع الطبقى، وحاول نيريرى من خلالها أن ينمى مفهوم الوحدة، وأن يؤكد على أن الجميع أعضاء فى أسرة واحدة[1]، ويرى نيريرى أن الاشتراكية هى الأداة الأنسب والأفضل لتحقيق التنمية فى المجتمع التنزانى، ويؤكد على أن التنمية هى بالأساس تنمية للعنصر البشرى وليس للثروات وحسب، وفى هذا الصدد أكد على أن التعليم هو الأداة الأساسية للوصول للتنمية والاعتماد على الذات، ونادى كذلك بالمساواة والترابط وعدم استغلال الفرد للآخر، ونص نيريرى على هذه المبادئ فى وثائق اتحاد تنجانيقا الوطنى الأفريقي TANU، وفى إعلان أروشا الذى صدر

---

(1) Chambi Seithy Chachage & Chachage Seithy L. Chachage: **Nyerere: Nationalism and Post-Colonial Developmentalism**, pp.1-11,at: http://www.codesria.org/Links/conferences/dakar/chacha.pdf

فى عام ١٩٦٧[١].

وقد جعل نيريري من الاشتراكية الأساس الفكرى لاتحاد تنجانيقا الوطنى الأفريقي، وأكد على أهمية الملكية العامة وضرورة تملك الدولة لمعظم الموارد حتى تستخدمها فى رفع مستوى معيشة الفرد كاملاً، مؤكداً على أن الاشتراكية طريقة حياة، وكان إعلان أروشا هو الترجمة العملية لمبادئ الأوجاما التى كان نيريري ينادى بها[٢].

انجذب رودنى لسياسات نيريرى، ولذا قبل فى سنة ١٩٦٦ العمل فى قسم التاريخ بجامعة دار السلام التى كانت تعتبر واحدة من أهم المراكز الثقافية فى القارة، وأتقن من خلال خبرة دار السلام كيف يصبح خارج الانقسامات والصراعات داخل الحرم الجامعى، ولكنه شارك فى النقاش المستمر حول دور الجامعة فى التوجه الاشتراكى فى تنزانيا، وأكد على أهمية دورها فى إنهاء نمط التعليم الاستعمارى، وسعى إلى تقليص المسافة الفاصلة بين الجامعة والشعب، ولذلك أهتم بتوسيع دائرة نشاطه وخبراته مع الجماهير الأفريقية فى العديد من الأماكن داخل وخارج تنزانيا، خصوصاً فى ظل توافقه الأيديولوجى مع النظام السياسي[٣].

عاصر رودنى هذه الفترة فى تنزانيا بما اشتملت عليه من تغيرات وتيارات فكرية حاولت التأصيل للأوجاما، وقام بالعديد من الأعمال حول التنمية، والرأسمالية، والتنمية فى تنزانيا وفى أفريقيا، ومن أهم تلك الأعمال كتابه «كيف جعلت أوروبا أفريقيا متخلفة»، والذى يراه العديد من محللى نشاط وفكر رودنى أنه من أهم

(1) Yusuf Kassam: Julius Kambarage Nyerere: **The Quarterly Review of Comparative Education** (Paris: International Bureau of Education, Vol.xxiv, No.1/2,1994),PP.2-6.

(2) TANU, The Department of Information: **The Arusha Declaration,** pp.6-20, at: http://www.ccmtz.org/azimioeng.pdf

(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **Pan-Africanism History: Political Figures from Africa and Diaspora Since 1797** (London: Routlege,2003), p.163 & 164.

أعماله، ويرى رودنى ذاته أن البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى تنزانيا بشكل عام، وكذلك البيئة الثقافية فى دار السلام قد ساعدته على إنتاج هذا العمل، ويعلق على هذا قائلاً: «إنه ليس من المصادفة أن تتم كتابة هذا الكتاب كاملاً فى تنزانيا حيث إن هناك حركة إيجابية لتحقيق التنمية أكثر من أى إقليم آخر فى القارة الأفريقية»[١].

ثانياً: دور تنزانيا فى حركات التحرير:

قامت تنزانيا بعد أن تم إعلان الوحدة بها فى أبريل ١٩٦٤ بدور بارز فى دعم حركات التحرير فى الجنوب الأفريقى، وتم النص فى مبادىء اتحاد تنجانيقا الوطنى الأفريقي على أن أحد أهدافه هو الوحدة الأفريقية والمساعدة فى تحرير القارة كاملة[٢]، لذا جعلت الحكومة التنزانية إقليمها ملجأ للعديد من حركات التحرير فى أنجولا وموزبيق وحتى غينيا بيساو، فعلى سبيل المثال تم إعلان تشكيل حركة تحرير موزمبيق FRELIMO بقيادة إدوارد موندلانى من دار السلام، وشنت هذه الحركة العديد من الهجمات من الحدود الجنوبية لتنزانيا، واستطاعت أن تحرر نصف إقليم موزمبيق عن طريق تلك الهجمات[٣].

وقد تأثر رودنى بذلك المناخ التحررى، وقام بالعديد من الدراسات حول حركات التحرير فى أفريقيا، بل وكانت تربطه علاقات بالعديد من قادة التحرير فى عدة دول أفريقية، وحاول من خلال تدريسه لمقرر تاريخ الشعوب السوداء فى أمريكا أن يربط ويعطى دروساً من التاريخ حول ما كان يحدث تاريخياً للشعب الأسود والكفاح الذى كان يحدث فى العالم الجديد مع ما كان يحدث فى أفريقيا فى تلك الآونة، ويرى أن هذا المقرر سيسهم فى بناء كتلة أكاديمية ذات توجه تقدمى فى

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.
(2) TANU, The Department of Information: **op.cit.,** p.20 & 21.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** PP.119-21.

المستقبل، وكان يقول: «أريد أن أصل إلى الأفارقة الذين يرغبون فى معرفة المزيد عن كيفية استغلالهم»[1].

ثالثاً: جامعة دار السلام وتيارها الفكرى:

انطلقت القيادة السياسية فى تنزانيا من مبدأ أنه لن تستقل الدول الأفريقية دون أن تصبح لها مؤسسة تعليمية مستقلة ذات سمات تعكس احتياجات المجتمع وخصائصه، لذلك عملت على إيجاد جامعة دار السلام لتوفير المؤهلين والقادرين على إدارة الحياة السياسية، وقام نيريري بإصدار وثيقة تحمل عنوان «التعليم للاعتماد على الذات» Education for Self Reliance، وقام بتأسيس جامعة دار السلام سنة ١٩٦٤ ليقوم من خلالها بتنفيذ الشكل والأهداف التى وضعت فى هذه الوثيقة، ولتكون تعبيراً عن الاستقلال فى مجال التعليم، ودفع نيريري النشاط الطلابى للتزايد ليتوافق مع توجهات النظام، وليكون ولاء الفئة الأكثر تعليماً فى تنزانيا للنظام السياسي وتوجهه الأيديولوجى[2].

ولم تكن جامعة دار السلام مؤسسة لتعليم الطلاب وحسب، بل كانت تمثل مركزاً ثقافياً تحريرياً يغلب على أعضائه الطابع الثورى، ويتوافق مع سمات وتوجهات النظام السياسي التنزانى الذى كان يشجع هذا النمط من التوجهات والرؤى الفكرية[3]، وضمت دار السلام كمدرسة فكرية عدداً من المفكرين الذين تجمع بينهم سمة التوجه التحررى (راديكالى/ ثورى) والذين خصصوا جهدهم البحثى وإنتاجهم الفكرى للدفاع عن حرية وتحرير القارة الأفريقية، ومحاولة إعادة

---

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.56 & 57.
(2) Yusuf Kassam: **op.cit.,** PP.3-5.
(3) David Mathew Chacha: Julius Nyerere: The Intellectual Pan-Africanist And The Question of African Unity, **Paper Presented at CODESRIA 30th Anniversary Conference** (Dakar: CODESRIA 30th Anniversary conference. December 2003), P.2 & 3.

كتابة التاريخ الأفريقي من وجهة نظر أفريقية ليس كما فرضه عليهم مفكرو الغرب رافضين الادعاء الذى كان يروج له الغرب من أن القارة الأفريقية ليس لها دور فى التاريخ، وأنه لا تاريخ لها قبل مجيء الاستعمار، وكان من أهم مفكرى جامعة دار السلام فى ذلك الوقت: عيسى شيفجى، محمود مامدانى، كلاودى اكى، ارشى مافيجى، جون سول، جون جارنج، دان نابوديرى، كليف توماس، وكذلك أميلكار كابرال الذى أقام فى دار السلام فترةً أثناء رحلته للانضمام إلى حركات التحرير فى أفريقيا، إلى جانب رودنى الذى كان يشكل مركز جذب وثقل فى هذا التيار الفكرى[١].

تأثر رودنى بذلك المناخ الثورى فى دار السلام سواء فى توجهات النظام السياسي أو المفكرين الذين كانت له خبرة معهم، فقد توافقت طبيعة رودنى الشخصية وتوجهاته الفكرية مع التيارات الفكرية والتوجهات السياسية التى كانت سائدة فى تنزانيا، ولذلك تعتبر فترة وجوده فى تنزانيا هى فترة الازدهار الفكرى والإنتاج النظرى فى حياته، وقد حاول ترجمة ذلك من خلال عدة أنشطة بين الطلاب والتنظيمات والمؤسسات، ومن خلال الندوات والمؤتمرات والمحاضرات العامة التى كان يقوم بها، كما قام بأنشطة واسعة بين الطلاب لتعزيز ذلك التوجه خصوصاً أنشطته فى «النادى الاشتراكى» الذى تأسس فى عام ١٩٦٧، ثم تحول إلى «الجبهة الثورية للطلاب الأفارقة الجامعيين» USARF، ونشر العديد من الدراسات فى الدورية التابعة لهذه الجبهة وهى Che Che[٢].

رابعاً: التيارات الفكرية فى أفريقيا فى فترة ما بعد الاستعمار:

برز فى القارة الأفريقية عدد من التيارات الفكرية فى الفترة التالية للاستقلال،

(1) Horace Campbell: Walter Rodney :the Prophet of Self Emancipation', **op.cit.,** pp.3-5.
(2) Bonaventure Swai: **op.cit.,** pp.36-40.

وتشترك هذه التيارات فى وحدة الهدف وهو التخلص من بقايا الفترة الاستعمارية فكرياً، ومن أهم التيارات التى تركت أثراً فى رودنى:

- رفض أشكال الاستعمار الجديد: وهو التيار الفكرى الذى حاول أن يتصدى لأشكال التبعية التى ستأخذها علاقة الدول الأفريقية بالعالم الغربى، وحاول عدد من المفكرين التحذير من هذا النمط وعلى رأسهم كوامى نكروما الرئيس الغانى الأسبق، كما كان لرودنى أيضاً إسهام فى هذا التيار[١].

- أيديولوجية التنمية: وهو من التيارات التى برزت فى الفترة التالية للاستعمار، وكان محوره هو التساؤل عن كيفية تحقيق التنمية فى أفريقيا بعد الفترة الاستعمارية؛ هل عن طريق نماذج تنمية من أفريقيا؟ هل يتم اختيار النموذج الاشتراكى أم الرأسمالى؟ وحتى عند اختيار الدول للنهج الاشتراكى كنوع من التعبير عن رفض كل ما يمت للاستعمار بصلة، اختلف هذا التيار حول أى اشتراكية نتبع، هل الاشتراكية العلمية ونستورد نماذج التنمية من الخارج كما كان حال كوامى نكروما[٢]، أم إحياء نماذج من التراث الأفريقي مثل الاشتراكية الديمقراطية عند جومو كينياتا، والأوجاما فى فكر جوليوس نيريري.

- الوعى الأسود: وهو من التيارات الفكرية التى نشأت فى الفترة الاستعمارية، وبرزت فى فترة العنصرية فى جنوب أفريقيا، وكان ستيف بيكو(١٩٤٦-١٩٧٧) هو من تزعم ذلك التيار الفكرى فى رفض العنصرية البيضاء عن طريق الفخر باللون الأسود، ويعبر هذا التيار عن أيديولوجية تغييرية أساسها لونى، تتصدى للجوانب السيكولوجية للاستعمار، وتحاول علاج إحساس السود بالدونية نتيجة الممارسات العنصرية عن طريق الوعى باللون الأسود، ومن

---

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.109 & 112.
(2) Yuri Smertin**: Kwame Nkrumah** (New York: International Publishers Co, 1987) pp.107-114.

خلال مراجعة السود لجوانب حياتهم المختلفة التى ستؤكد لهم أنهم الأفضل تاريخياً وقيمياً ودينياً واقتصادياً وسياسياً من البيض[١]، وقد حاول رودنى كذلك التصدى لذات القضية من خلال أدوات فكرية مختلفة عن بيكو لكن تظل وحدة الهدف قاسماً مشتركاً بينهما.

- إعادة كتابة التاريخ الأفريقي: يمكن القول بأن الهدف من هذه التيارت الفكرية التى تحاول أن تعالج تأثيرات الاستعمار السيئة هو أن تتم إعادة النظر فى التاريخ الأفريقي الذى كتُب عن طريقالمؤرخ الأوروبى والذى استخدمه كأداة يثبت بها سمو كل ما هو أبيض على كل ما هو أسود، ولذا ظهرت التيارات الفكرية الأفريقية التى حاولت التصدى فكرياً وعملياً لمثل تلك الادعاءات، وقد حاول رودنى أن يكون جزءاً من هذا التيار وله منطلقاته الفكرية والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها من خلال هذا التوجه[٢].

إذن تأثر رودنى بالواقع الاجتماعى فى تنزانيا وبسمات ذلك المجتمع وبالتيارات الفكرية التى كانت سائدة فى القارة الأفريقية، والدليل على ذلك هو ما تُظهره كتاباته من أن المجتمع التنزانى هو أقرب المجتمعات للتطبيق العملى للرؤى والتصورات التى قدمها، وكذلك فإن هذه الفترة التى قام فيها رودنى بالعديد من الأعمال التى تواجه مشكلات القارة قد ساعدت على تعميق معرفته بتحديات الواقع الأفريقي.

إذن تنوعت الخبرات والمؤثرات التى تعرض لها رودنى فى أثناء حياته وانتقالاته بين المجتمعات المختلفة التى عاش فيها، فقد عاصر فترة محورية فى حياة الإنسان الأسود والدول الأفريقية حديثة التكوين، وتوافقت متغيرات وتأثيرات تلك

(١) د.صبحى قنصوة: م.س.ذ.، ص ١٩٤ و ١٩٥.

(2) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.5 & 6.

المرحلة مع سمات وخصائص شخصيته التى تم تكوينها فى إطار اجتماعى وسياسى واقتصادى وثقافى له سمات بعينها ساعدت رودنى على تبنى توجه فكرى بعينه دون آخر، وساعد انتقال رودنى بين عدة مجتمعات ومعاصرته للعديد من النظم السياسية والهياكل الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية والسياسات الخارجية والتوجهات الأيديولوجية والتيارات الفكرية على تكوين هيكل فكرى ورؤى نظرية تعالج العديد من أهم مشكلات الإنسان الأسود، فقد حاول أن يتصدى لمشكلات تلك الأطر الحضارية المختلفة التى كان له خبرة معها، وأن يجعل الهدف الأساسى من تلك الرؤى هو أن يخدم وضع ومكانة الإنسان الأسود عالمياً، ولذا حاول دراسة واقع هذا الإنسان ومحدداته والمؤثرات الأساسية عليه والتى يضع فى مقدمتها علاقته بالإنسان الأبيض، وقد وجدت هذه الأحداث والمتغيرات فى شخصية رودنى من السمات والمؤهلات ما دفعته للتفاعل معها ليخُرج لنا إطاراً فكرياً ناقش فيه جل المشكلات والتحديات التى تواجه الجماعات الأفريقية فى مرحلة تاريخية أساسية، وحاول من خلال ذلك المنهج التاريخى ومن الاستفادة من نماذجه ودروسه التى فيه أن يجعل الجماعات السوداء تستغل هذه الفترة المحورية بأحداثها التاريخية وتياراتها الفكرية ومتغيراتها السياسية وتطوراتها المتلاحقة فى صياغة مستقبل أفضل لها من خلال التخلص من الموروثات الاستعمارية والخبرات التاريخية التى تضع الإنسان الأسود فى موقع التابع بشكل دائم؛ لذا عمل على دراسة سمات علاقة القارة بالغرب من ناحية، وحاول تقديم تصور بديل لهذه العلاقة لعلاج ما يشوبها من مثالب ولإحداث تغيير راديكالى فى سماتها التاريخية من ناحية أخرى.



الفصل الثاني

طبيعة العلاقة بين الغرب وأفريقيا في فكر وولتر رودني

◆◆◆



حاول الكثير من المفكرين المهتمين بالشأن الأفريقي تناول طبيعة العلاقة بين القارة الأفريقية والغرب بالبحث والتحليل والتنظير لتحديد ماهية وطبيعة تلك العلاقة، والوقوف على الأسس والقواعد التى يمكن أن تكون نقطة انطلاق لتفعيل دور الطرف الأفريقي فى هذه العلاقة، ولكن كان الاختلاف الذى وصل إلى درجة التناقض هو سمة تلك الرؤى والتصورات، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء خصوصية تلك العلاقة لما تحمله من موروثات ومؤثرات وخبرات تاريخية، ومتغيرات معاصرة، وغموض مستقبلى. وقد زاد الاهتمام الفكرى بدراسة تلك العلاقة فى الفترة التالية لحصول معظم الدول الأفريقية على الاستقلال، ومحاولة المفكرين إيجاد نهج جديد لها يجعل القارة بمنأى عن استغلال الغرب، ويحرر أبناءها نفسياً من خبرات الفترة الاستعمارية، ولكن ظلت الخبرة التاريخية وما نتج عنها من تأثيرات وتحديات معاصرة محدداً أساسياً فى طبيعة تلك العلاقة وفى السمات الأساسية لها فى الآونة الراهنة.

وقد اختلفت تصنيفات المفكرين الأفارقة لطبيعة تلك العلاقة، وكان ذلك الاختلاف بسبب المنظور والهدف والخبرات التى أثرت على كل مفكر منهم، ففى حين رأى البعض أنها علاقة بين طرفين متساويين قانونياً، وما يعتريها من أبعاد سلبية هو سمات لمرحلة انتقالية تمر بها هذه العلاقة، رأى البعض الآخر أنها علاقة غير متكافئة وتبادل اقتصادى غير متكافئ، وذهب آخرون إلى القول بأنها علاقة «استعمار جديد» تأثراً بخبرة الفترة الاستعمارية. وقد انعكس ذلك الاختلاف فى تقسيم المفكرين لدول العالم ما بين اتجاه يميز بين شمال صناعى متقدم، وجنوب غير صناعى متخلف، بينما يميز البعض الآخر بين دول ديمقراطية رأسمالية ودول غير ديمقراطية عليها أن تتبع الرأسمالية، فى حين ذهب اتجاه إلى التمييز بين دول مُستغِلة ودول مُستغَلة.

وقد اهتم رودنى بدراسة طبيعة تلك العلاقة، بل ويمكن القول بأنها القضية المحورية والإشكالية الأساسية فى الرؤى والتصورات التى قدمها، إذ قام بدراسة طبيعة تلك العلاقة وسماتها متخذاً من الدروس والأحداث والخبرات التاريخية نقطة انطلاق، مسترشداً بالرؤى والتصورات الاشتراكية أيضاً، كما تأثر كذلك فى دراسة هذه العلاقة بالأحداث والخبرات وسمات المرحلة التاريخية التى عاصرها.

كذلك حاول رودنى دراسة هذه العلاقة فى المرحلة الاستعمارية وما سبقها، ثم تتبع تطورها حتى مرحلة ما بعد الاستقلال، كما حاول أيضاً أن يقدم الرؤى والتصورات التى يمكن من خلالها علاج ما فى هذه العلاقة من أبعاد سلبية وعدم توازن فى المرحلة التالية لهذه الفترة الاستعمارية. لذا سيخصص هذا الفصل لدراسة طبيعة تلك العلاقة فى رؤى وفكر رودنى، فى حين سيتناول الفصل القادم من الدراسة التصور البديل والحل الفكرى الذى قدمه للعلاقة بين الغرب وأفريقيا.

وستتم دراسة طبيعة هذه العلاقة فى فكر رودنى فى هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث، يتصدى **الأول** منها لتحليل أثر هذه العلاقة فى تخلف القارة الأفريقية، وكيف كان للغرب تاريخياً الدور الأساسى فى هذا التخلف، وتحليل طبيعة هذا الدور فى الوقت المعاصر، فى حين يتناول **المبحث الثانى** رؤى وتصورات رودنى لقضية الاستعمار الجديد وأشكاله كأحد أبعاد هذه العلاقة فى الفترة التالية للاستقلال، وتحليل السبل والسياسات التى طرحها للتصدى للأشكال المختلفة من هذه الممارسات الاستعمارية، وأخيراً يتناول **المبحث الثالث** تحليل رؤى رودنى للتقسيم الإثنى وعلاقته بالتقسيم الطبقى، وكيف يمكن الربط بينه وبين التقسيم بين الدول على مستوى العالم، وكيف أثرت العلاقة بين الغرب وأفريقيا تاريخياً على التكوينات الاجتماعية الطبقية فى العديد من الدول.



المبحث الأول

دور الغرب في تخلف أفريقيا

اختلفت الرؤى والتصورات التى قُدمت بشأن التنمية فى أفريقيا حول المقصود بالتنمية، وحول تكييف هذه الرؤى لطبيعة الدور الغربى فى تنمية أو تخلف أفريقيا، وكذلك حول كيفية تحقيق التنمية فى الفترة التالية للاستقلال، وبرز هذا الاختلاف فى مرحلة ما بعد الاستقلال وما كان يسودها من تنافس أيديولوجى على المستوى العالمى كانت له انعكاساته على سبل تحقيق التنمية؛ فقد ذهب أحد الاتجاهات إلى أن الرأسمالية هى سبيل التنمية الأفضل للدول الأفريقية، فى حين كان هناك اتجاه فكري يؤمن بأن الاشتراكية هى السبيل الأفضل للدول الأفريقية لتحقيق التنمية، وفى محاولة الدول الأفريقية لرفض كافة التصورات التى تتعلق بالاستعمار والغرب فقد تحيز العديد منها للأخذ بالتصور الاشتراكى حتى لو كان ذلك شكلياً، بل وظهر ما أُطلق عليه الاشتراكية الأفريقية التى تقوم على أسس وخصائص المجتمع الأفريقي.

وقد اهتم رودنى بدراسة قضية التنمية فى أفريقيا، وأثر العلاقة بين أفريقيا والغرب على واقع التنمية فى القارة، وكيف كان للخبرات التاريخية أثرها فى تخلف القارة الأفريقية، كما حاول أيضاً أن يقدم السبل والأدوات التى يمكن من خلالها تحقيق التنمية. وقد تأثر رودنى بطبيعة دراسته للتاريخ وبالمرحلة الاستعمارية وما شهده من آثار سلبية لهذه الفترة على المجتمعات التى عاش فى كنفها. لذا سيتم تخصيص هذا المبحث لدراسة الدور الغربى فى تخلف القارة الأفريقية كأحد أبعاد العلاقة بين أفريقيا والغرب، وسيتم ذلك فى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التنمية فى فكر رودنى.

المطلب الثانى: طبيعة الدور الغربى فى تخلف أفريقيا.

المطلب الثالث: آليات وسبل تنمية أفريقيا.

المطلب الأول: مفهوم التنمية فى فكر رودنى

اهتم رودنى فى العديد من الدراسات والكتابات التى قدمها بدراسة أبعاد مفهوم التنمية عند الإنسان الأسود فى أفريقيا والكاريبي وتطورها تاريخياً، وكذلك دراسة وتتبع تطور طبيعة الدور الغربى فى تخلف القارة، وهو فى تعريفه لمفهوم التنمية ينطلق من عدة مسلمات فى محاولة تقديمه تعريفاً إجرائياً للتنمية من أهمها:

- أن كافة مراحل التطور تعتبر مؤقتة وانتقالية ومصيرها أن تفسح المجال- آجلاً أم عاجلاً- لمراحل أخرى، وهذا ما يؤكد عليه عند تعامله مع الرأسمالية وحتمية تراجعها وانتهاء هيمنتها العالمية[1].
- استحالة تحقيق التنمية فى أفريقيا دون قطيعة جذرية مع الرأسمالية العالمية التى يرى أنها كانت السبب الرئيسي فى تخلف القارة تاريخياً، وهى سبب الاستعمار، بل وتتساوى معه فى فكر رودنى، وأنه لا يمكن أن تتحقق التنمية فى ظل الأيديولوجية التى كانت السبب والمظلة الأساسية للاستعمار والعنصرية تاريخياً[2].

ويرى رودنى أن: «تنمية المجتمع البشرى عملية متعددة الجوانب، وهى تتضمن على المستوى الفردى تحسناً فى مستويات المهارة والكفاءة والحرية والإبداع والانضباط الذاتى والمسؤولية والحياة المادية...وتعتمد على مستوى الجماعة الاجتماعية التى يعيش الفرد فى ظلها، وكذلك على تنظيم العلاقات داخلها

(١) وولتر رودنى، أحمد القصير (مترجم): **أوروبا والتخلف فى أفريقيا** (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨)، ص ١٧.

(٢) م. س.، ص ٥.

وخارجها»[١]، وكان اهتمامه بدراسة مفهوم ونظريات التنمية لاستخدامها فى تحقيق التنمية للإنسان الأسود والخروج عن مراحل التخلف التى سادت منذ الاتصال الأوروبى بأفريقيا، تلك المرحلة التى أسهمت فى تدمير العديد من سمات ومظاهر وأسس التنمية فى المجتمع الأفريقي، ويؤكد على أن الإنسان الأسود قد حُرم من نتائج وآثار التنمية فى مجتمعه حتى فى المجتمعات التى كان فيها هو أساس التنمية، ولذلك فالتنمية عند رودنى هى تنمية لكافة الجماعات السوداء فى كافة أماكن استقرار هذا الشعب[٢].

وتختلف الدول فى درجة التنمية نتيجة الاختلاف فيما أطلق عليه رودنى «البنية الفوقية» والتى يقصد بها: «أشكال العلاقات الاجتماعية وأنماط الحكومات، وأنماط السلوك، وأنساق المعتقدات التى تنشأ نتيجة تفاعل وصراع البشر مع البيئة المادية التى تحيط بهم، ويتم التفاعل بين هذه العناصر من ناحية، وبينها وبين البيئة المادية من ناحية أخرى»[٣].

ولذا يرى أن سمات البنية الفوقية فى المجتمع الغربى قد تم تكوينها على أساس من الرأسمالية المادية التى تهدف فقط إلى أكبر ربح يمكن تحقيقه، ولذلك يرى أن الرأسمالية تشكل تراجعاً وتخلفاً عن بعض القيم والجوانب التى كانت سائدة فى الوقت السابق، ومن أهمها الجوانب الإنسانية والعلاقات الاجتماعية وإشباع الاحتياجات الأساسية للطبقات الفقيرة من الشعب، وأن تلك الجوانب تتناقض جميعها مع الرأسمالية التى تهدف إلى الربح، وأطلق على ذلك «رذيلة عنصرية الجنس الأبيض»، مدللاً على ذلك بالتناقض الذى يوجد فى المجتمعات الرأسمالية من

---

(١) م. س.، ص ٧ و ٨.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ١٥.

وجود طبقات تصل إلى درجة من الثراء فى حين تظل طبقات أخرى تحت خط الفقر[١]، ولهذا يؤكد على أن التنمية تعنى حدوث تقدم يلغى الجماعات ذات الامتيازات والجماعات المحرومة المقابلة لها[٢].

من ناحية أخرى يرى رودنى أن التخلف لا يعنى انعدام التنمية، فقد حقق كل شعب درجة من التنمية، والتخلف بذلك هو مفهوم لمقارنة مستويات التنمية، وهو يعبر عن علاقة استغلالية من نوع خاص، حيث إن شعوب العالم تُستغل من فئة معينة من الدول الرأسمالية الغربية، ويؤكد على أن التخلف الذى يقلق العالم الآن هو نتاج هذا الاستغلال الرأسمالى الاستعمارى، ويدلل على ذلك بأن أفريقيا كانت على درجة من التنمية حتى سيطرة الرأسمالية عليها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وأعقب ذلك تصدير الفائض واستغلال الموارد لصالح الغرب بما جرد تلك المجتمعات من ثمار استغلال مواردها الخاصة[٣].

ويرفض رودنى الاتجاه القائل بأن الرأسمالية هى أعلى مراحل التنمية، ولا يوجد وقت أو مظهر يدل على نهايتها أو تراجعها فى المستقبل، ويؤكد على أنه بالرغم من سيطرة الرأسمالية على النماذج التنموية فى الدول التى كانت مستعمرات لها، لكنه يحكم عليها بالانقراض والسقوط، وسوف تحل الاشتراكية محلها، وهذه الأخيرة تعبر عن خطوة متقدمة من التنمية الاجتماعية الشعبية، وقد أكد هذه الرؤى من خلال العديد من الأدلة التى تستمد من أوجه ومظاهر الضعف فى النظام الرأسمالى نفسه، ويشمل ذلك حالة عدم التشغيل الكامل للقدرات الإنتاجية فى النظام الاقتصادي، كما يؤكد على الكوارث الاقتصادية المؤقتة التى تنبع من مفهوم السوق،

(١) م. س، ص ١٦ و ١٧ .

(٢) م. س، ص ٢٣.

(3) James Sidaway: Walter Rodney 1942-1980, In David Simon (ed.): **Fifty Key Thinkers on Development**. (London: Routldge, 2006), p.208.

وكذلك الفقر المرتبط بفئات بعينها فى المجتمع وبدول بعينها على المستوى العالمى، ويؤكد على أن هذه السمات قد انتشرت مع سيطرة الرأسمالية، وهذه السمات ستجبر بعض من الفئات ضحايا الرأسمالية على الاستمرار فى خدمتها ولكن مقابل الحصول على ما يناسب المجهود والعمل الذى تقوم به وبخاصةً الطبقات العمالية، وانتشار مثل ذلك السلوك سيكون مسؤولاً عن تغيير أهداف الإنتاج من خدمة السوق النقدى الدولى فحسب، لتصبح الاحتياجات الإنسانية من بين أهداف النظام، ومع زيادة معدل الانتشار لهذه السمة ستظهر القيم الاشتراكية التى ستشكل مرحلة تالية للرأسمالية، وهذه نتيجة طبيعية لأوجه الضعف وتغير أهدافها وسماتها الفكرية(١).

وقد قدم رودنى عدداً من المعايير والمحددات التى استخدمها فى تعريف التنمية، والتى يؤكد من خلالها أيضاً على أن استمرار استغلال الغرب للقارة سيؤدى لتفاقم حالة التخلف، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال عدد من المعايير من أهمها: متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى، ومتوسط إسهام القارة فى التجارة الدولية، وتوزيع الأراضى والملكية العقارية بين الجماعات المختلفة داخل الدول الأفريقية، ومستوى التقدم التكنولوجى، ومتوسط نصيب الفرد من السلع الأساسية كالسكر والحديد الصلب، إلى جانب نمط التغذية وأسلوبها وما أطلق عليه «المجاعة البروتينية»، والخدمات الاجتماعية التى تُقدم، وتوقع الحياة للأفراد، وأيضاً معدل وفيات الأطفال دون السنة ودون الخمس سنوات، كذلك نسبة العمالة الماهرة، كما ناقش رودنى «استنزاف العقول»، ونسبة القطاعات الصناعية من الاقتصاد الوطنى، ومعيار سوء الدخل، وكيف يحصل أشخاص لا يشاركون فى الإنتاج على النسبة الأكبر من الثروة، بل وتصبح الصناعة الرئيسية فى الدول

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125.

المتخلفة هى «الإدارة»[١].

كما تناول رودنى الأشكال المختلفة للتنمية بشئ من التفصيل، ونقطة البدء عنده هى التنمية الاقتصادية والتى يعتبرها مسؤولة عن انتقال المجتمعات من مرحلة إلى أخرى أكثر تطوراً، ويعنى بالتنمية الاقتصادية: «زيادة قدرة أعضاء المجتمع متضامنين على التعامل مع البيئة، ويعتمد الأخير على مدى إدراكهم لقوانين الطبيعة (العلم)، وعلى وضعهم لهذا الإدراك موضع التطبيق باستخدام أدوات (التكنولوجيا)، وعلى أسلوب تنظيم العمل»[٢]، ولا ينظر رودنى إلى الزيادة فى الأرباح واتساع نطاق الإنتاج على أنها فقط التنمية، لكنه أكد على الجوانب الاجتماعية للتنمية، ورفض استغلال فئات بعينها وبخاصة العمال تحت زعم التضحية من أجل التنمية، لذا فالعلاقات الاجتماعية من الأبعاد المهمة للتنمية، وهو يرفض نمط هذه العلاقات الاجتماعية الذى يتُبع فى الرأسمالية، وتعتبر الأخيرة مرحلة سابقة للإمبريالية، ويعرفها بأنها: «ممارسة الدول الغربية الهيمنة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية على العالم، ومن ثم يقُسم العالم إلى قسم مُستغِل وقسم آخر مسُتغَل، جانب يمثل السادة وآخر يمثل المقهورين، شق يصنع السياسة وآخر عليه أن يتبعها»[٣].

وتناول رودنى أيضاً التنمية السياسية التى يعرفها بأنها: «تطورات الجماعة السياسية وظهور هياكل وأجهزة يمكن من خلالها ممارسة السلطة كنقطة بداية فى سبيل ظهور الدولة فى مرحلة متقدمة»، وتتوافق التنمية السياسية مع حدوث تنمية اقتصادية فى هذه المجتمعات لتوفير موارد تستطيع هذه الوحدات السياسية الإنفاق

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٢٢-٢٨.

(٢) م.س.، ص ٩.

(٣) م.س.، ص ١٩ و ٢٠ .

منها على هياكل التنمية[١]، فى حين أن التنمية الاجتماعية عند رودنى تعنى ظهور الهياكل والتشكيلات الاجتماعية والتى تنتهى بظهور الطبقات الاجتماعية واضحة المعالم، ومن خلال تطبيق معيار النشاط الاقتصادى فى التقسيم الطبقى، لذا يؤكد رودنى على أن التوسع فى الاقتصاد فى المجتمعات سيفضى إلى تغير فى شكل الطبقات وفى طبيعة العلاقات التى بينها، ولذلك فإنه مع تدنى مستويات التنمية فى أفريقيا لم تسمح بتبلور الطبقات الوطنية إلى الآن، ولذلك فإن الرأسمالية كانت عائقاً أيضاً للتطور الاجتماعى، ولذلك لاتزال العلاقات الاجتماعية تسيطر عليها سمات العلاقات فى المرحلة الإقطاعية أو مرحلة الرق[٢].

المطلب الثانى: طبيعة الدور الغربى فى تخلف أفريقيا

اختلف الدور الغربى وأدواته وأساليبه تجاه التنمية والتطور فى أفريقيا باختلاف المرحلة التاريخية، واختلاف توازن القوى بين الطرفين، هذه هى نقطة الانطلاق عند رودنى فى تناوله لطبيعة الدور الغربى وأثر العلاقة بين أفريقيا والغرب فى تخلف القارة الأفريقية، فقد اتخذ من التطور التاريخى سبيلاً ووسيلة لتحليل واقع التنمية فى أفريقيا قبل الاتصال مع أوروبا، ثم تحليل أثر تجارة الرقيق على تخلف القارة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ثم مرحلة الاستعمار والتى يرى أنها رسخت أسس تخلف القارة الحالى، وأخيراً تناول طبيعة الدور الغربى فى الفترة التالية لاستقلال الدول الأفريقية، وستتم محاولة تتبع رؤية رودنى لطبيعة الدور الغربى فى تخلف أفريقيا وفقا لهذا التقسيم التاريخى.

أولاً: رؤى رودنى حول واقع التنمية فى أفريقيا قبل وصول الأوروبيين:

اتفق رودنى مع العديد من المفكرين الأفارقة فى تناول سمات الواقع الأفريقي

---

(١) م.س.، ص ٤٧ و ٦٠.

(٢) م.س.، ص ١١-١٨.

قبل وصول الأوروبيين للرد على ما يزعمه الغرب من أن أفريقيا لم يكن لها دور فى تطور البشرية، ولم تكن جزءاً من التاريخ العالمى[1]، ويفضل رودنى الرد على هذا من خلال الحديث عن الثقافات التى كانت سائدة وليس الحديث عن الحضارات التى عرفتها القارة، فالثقافة عند رودنى: «أسلوب الحياة، وتشمل طعام الناس وأزياءهم، كما تتضمن مسلكهم وأسلوب حديثهم والطريقة التى يتعاملون بها مع الموت، ويستقبلون بها المولود»[2].

ويؤكد على أن القارة قد حققت مستوى من التنمية فى هذه الفترة يفوق كافة أنحاء العالم، ومن أهم هذه المظاهر التى تناولها رودنى هى نشأة الجماعة السياسية، والتى يؤكد أنها كانت قديمة، وقد ارتكنت إلى وجود الأب/ الجد الأكبر فى مجتمعات، واستندت إلى معتقدات دينية فى البعض الآخر، وتواكب هذا التطور مع نظيره فى المجال الاقتصادى، فقد أثرت مبادىء نشأة الجماعة السياسية فى حشد الأفراد للعمل فى الأرض وفى الإنتاج على هذا الأساس العائلى، وكان هذا الأخير هو أساس توزيع المحاصيل والدخل فى المراحل الأولى[3].

ثم انتقلت المجتمعات الأفريقية إلى مرحلة متقدمة فى وقت لاحق لهذا الأساس الأسرى للعلاقات، فقد انتقلت إلى ممارسة السلطة والنشاط الاقتصادى على أساس من جماعات أو مجتمعات أوسع نطاقاً، وبدأت تظهر الاختلافات فى ملكية الأرض وفى توزيع المنافع لصالح فئات بعينها (الزعماء ورجال الطقوس الدينية)، بما يعنى بدء تبلور أسس لإمكانية ظهور طبقات اجتماعية، ولكنه يؤكد على أن هذه العلاقة لم تصل إلى علاقة استغلال أو عداء بين الطبقات أو الفئات الاجتماعية التى تكونت[4].

---

(1) James Sidaway: **op.cit.,** p.209

(٢) وولتر رودني: م. س. ذ.، ص ٤٥.

(٣) م. س.، ص ٤٧ و ٤٨.

(4) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion of Sierra Leone, **The Journal of African History**, (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.8, No.2, 1967), p.225 & 239-241.

وقد عرفت القارة الأفريقية كذلك المسؤولية الجماعية، فقد عرف الأفارقة أن لكل فرد مجموعة من الحقوق تقابلها مجموعة من الواجبات التى يجب القيام بها، كذلك شهدت تطوراً فى أدوات ممارسة الأنشطة الاقتصادية وبخاصة أدوات الزراعة التى هى النشاط الأساسى للسكان فى هذه الفترة، كما شهدت الصناعة تطوراً ملحوظاً وخصوصاً صناعة الأدوات التى تستخدم فى المجتمع والتى أصبح معظمها من المعادن المختلفة، إذ عرفت هذه المجتمعات كيفية استخراج المعادن والصهر وصناعة الأدوات التى تحتاجها الجماعات فى ممارسة الأنشطة الاقتصادية، بل ويؤكد على أن القارة عرفت التخصص وتقسيم العمل من خلال ما سُمى بـ« نظام الطوائف»، حيث تتخصص كل طائفة فى إنتاج سلعة أو فى صناعة بعينها، وكذلك يؤكد على الازدهار التجارى الذى حدث فى تلك المرحلة، فقد استغل العديد من الجماعات موقع القارة كمعبر تجارى فى القيام بالعديد من الأنشطة التجارية، ولذا ابتعد الاقتصاد فى العديد من مناطق القارة عن مستوى الكفاف، وصاحبت ذلك تغيرات سياسية واجتماعية عدة فى المجتمعات الأفريقية[١].

ويرى رودنى أنه فى مرحلة تالية ظهر العديد من التنظيمات والتدرجات الاجتماعية التى شكلت الأساس الذى قامت عليه الطبقات فى العديد من المناطق، وجاءت تلك التنظيمات والتدرجات: «كتتابع منطقى للتباينات غير العدائية التى سادت المجتمع المشاعى»، وبدأ ظهور هياكل ووحدات سياسية أكثر تطوراً يستخدم رودنى وصف «دول» فى الإشارة إليها، ومع أن هذه الهياكل كانت ضعيفة وغير ناضجة مؤسسياً فى البداية لكنها بدأت تمارس حقوقها السياسية وتوسع من اختصاصات سلطاتها على الجماعات التى قبلت أن تعيش فى كنفها، بل ويؤكد على أن بعض هذه الوحدات قد شهد أشكالاً للحكم تسمو فى تنظيمها ومؤسساتها على

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص. ٤٩-٥٨ .

العديد من نظم الحكم الحالية فى بعض الدول، وبما أن الدولة هى أداة فى يد الطبقة المسيُطرة تستخدمها للهيمنة على باقى المجتمع حسب رؤية رودنى، لذا يرى أن الدول بدأت فى الظهور بعد أن بدأت سمات وخصائص التقسيم الطبقى فى الظهور[١].

إذن كانت أفريقيا فى مرحلة ما قبل الاتصال بأوروبا خليطاً من جماعات وممالك آخذة فى النمو والتطور، وكانت هناك حركة للتاريخ، ولم يكن التخلف الذى ألم بها من الظروف الطبيعية أو من النماذج التاريخية والثقافية أو من الديناميات الداخلية، والتى يؤكد رودنى على ثرائها[٢]، ولكن كان للاتصال الأوروبى أثره فى انقطاع حركة التطور الاجتماعى وعدم النضج الطبقى الذى هو أساس حركة التطور عند رودنى، فالتكوينات الطبقية هى أساس القدرة على بناء هياكل سياسية متطورة، وعادة ما تكون طبيعة النشاط الاقتصادى هى المسؤولة عن ذلك النضج الطبقى، ومع تأثير الاتصال الأوروبى السلبى على هذه الأبعاد نشأت حالة التخلف التى عليها القارة منذ ذلك الحين.

ثانياً: رؤى رودنى حول دور أفريقيا فى تنمية المجتمعات الرأسمالية قبل الاستعمار:

يرى رودنى أن درجة التطور والتنمية التى كانت فى أفريقيا قبل الاستعمار لم تستُخدم فى بلورة الهياكل السياسية والاقتصادية لفائدة أبناء القارة وحسب، بل كان لها تأثيرها فى تنمية الرأسمالية فى المجتمعات الغربية، وبذات القدر الذى أسهمت به أفريقيا فى تطور وتنمية الغرب، كان للأخير دوره فى تخلف القارة الأفريقية، إذ يقول: «إن أفريقيا قد ساعدت فى تطور أوروبا على امتداد تلك الفترة بالقدر نفسه الذى أسهمت به أوروبا فى تخلف أفريقيا»[٣]. ويمكن مناقشة رؤى رودنى فى هذه

(١) م. س.، ص ص ٥٨-٦٣.

(2) James Sidaway: **op.cit.,** p.209 & 210.

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٩٦.

النقطة فى محورين:

يناقش المحور الأول كيف أسهمت أفريقيا فى التطور الرأسمالى فى الغرب فى مرحلة ما قبل الاستعمار، وينطلق رودنى فى إثباته لهذه النقطة من تطور تاريخى قامت به أوروبا ذاتها وهو بدء الاتصال والتجارة الدولية وسيطرتها على هذه التجارة وأدواتها، وبذلك أدت هذه التجارة إلى تدفق الثروة من أفريقيا إلى أوروبا، فقد كان لسيطرة أوروبا على التجارة تأثيرها فى خلق دول مركزية ودول هامشية[١]، وكانت أولى الخطوات للأوروبيين هى جعل الأفارقة لا يستطيعون التخلى عن السلع الأوروبية، والتى كان يتم استبدالها بأكثر المعادن ثمناً من أفريقيا، وبعد أن تم اكتشاف العالم الجديد ومزارع قصب السكر بدأت الحاجة للأيدى العاملة، وبذلك بدأت تجارة الرقيق بما كان لها من آثار تدميرية على القارة، فى حين كان لها آثار إيجابية على العالم الغربى[٢]، ويعول رودنى على تجارة الرقيق فى تدمير العديد من الهياكل الاجتماعية والاقتصادية للقارة الأفريقية، والتى كانت مسؤولة عن تعثر تطور القارة فى الفترة التالية لذلك[٣]، كذلك نجح الغرب فى إيجاد الانقسامات التى تضمن له استمرارية تجارة الرق، بل ونشأ الرق الداخلى لصالح الفئة التى كانت تخدم مصالح الرأسمالية وبخاصة فى غرب أفريقيا التى تعد من أكثر المناطق تأثراً بهذه التجارة[٤].

ولم يكن إسهام أفريقيا فى تطور الرأسمالية قاصراً على توفير الأيدى العاملة للزراعة والصناعة فى العالم الجديد وفى أوروبا، بل كان لازدهار التجارة ذاتها تأثير فى بروز وتطور العديد من الصناعات مثل صناعة السفن، والشحن، والتأمين، وفى

(1) James Sidaway: **op.cit.,** pp.206-208.

(2) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context of the Atlantic Slave-Trade, **the Journal of Africa History**, Vol.7, No.3, 1966, pp.431-435.

(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.

(4) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context...., **op.cit.,** pp.434-436.

تطور الملاحة البحرية وتكنولوجياتها، بل وكان له الفضل فى بروز مدن بعينها فى مجال الصناعة كانت هى أساس الثورة الصناعية فى أوروبا فى الوقت اللاحق، ويرى أن العبيد الأفارقة هم من أسهموا فى اتساع رقعة إقليم الولايات المتحدة حالياً، كذلك كونت أرباح تلك التجارة صناديق تمويل الأحزاب، وكانت السبب فى تمويل عملية الاقتراع والانتخابات، كما كانت أفريقيا مصدراً أساسياً للذهب الذى كان يشكل عملة التداول آنذاك، وسبب القوة الاقتصادية الآن، وبذلك كان له الأثر البالغ فى توسيع التبادل التجارى الرأسمالى[١].

ويرى رودنى أن أساس اقتصادات الدول الغربية حتى القرن التاسع عشر هو «تجارة الرق»، فقد كانت الأخيرة سبب تحقيق التراكم الرأسمالى، ويرى أن أساس تلك التجارة هو العنصرية، التى تضرب بجذورها فى الرأسمالية، وتجد الأخيرة فى العنصرية ما يبررها، وأن تجارة الرقيق وما قد أثرت به على مدركات الإنسان الأسود لذاته، والإنسان الأبيض لهذا الشعب الأفريقي من المحددات الأساسية لطبيعة العلاقة بين الطرفين فى الوقت اللاحق، وقد تناول رودنى هذه التجارة وما ارتبط بها من تبادل غير متكافئ بين الطرفين، وما سببه ذلك من آثار تدميرية على الشعب الأسود[٢]، ويرى أن إلغاء تجارة الرقيق كان بسبب اتساع نطاق العنصرية بشكل أدى إلى إعاقة تطور أفكار الرأسمالية والديمقراطية، وبسبب التطور التكنولوجى الذى لم يكن بحاجة لكثافة الأيدى العاملة[٣].

ويتناول المحور الثانى دور أوروبا فى تخلف أفريقيا فى الفترة السابقة على الاستعمار، فيؤكد رودنى على أنه مع بداية الاتصال الأوروبى بأفريقيا انهار العديد

---

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٠٧ – ١١٢.

(2) Walter Rodney: Portuguese Attempts at Monopoly on the Upper Guinea Coast 1580-1650, **The Journal of African History**, Vol.6, No.3, 1965, pp.307-309.

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١١٢– ١١٥.

من الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة حتى القرن الخامس عشر، ومن أهم الأبعاد التى اهتم رودنى بها تجارة الرقيق السابق الإشارة إليها، ويؤكد على: «أن ما يمثل خيراً للأوروبيين جاء على حساب معاناة تفوق الوصف واجهها الأفريقيون والهنود الأمريكيون، فقد تواكب اكتشاف الذهب والفضة فى أمريكا مع استئصال الهنود من العالم الجديد...وتحويل أفريقيا إلى مصدر للرق فى الوقت الذى برزت فيه الرأسمالية، ومثل ذلك الوقت العصر الذهبى لها»[1]، هذا ما أكده ماركس.

ويرى رودنى أن أحد أهم أبعاد دور الغرب فى تخلف أفريقيا قبل الاستعمار يتعلق بأثر هذه العلاقة على «الركود التقنى وتشويه الاقتصاد الأفريقي»، فقد استثمرت الدول الأوروبية التفوق والتراكم الرأسمالى الذى تم تحقيقه من تجارة الرقيق فى إغراق الأسواق الأفريقية بسلع مختلفة أبهرت الأفارقة، وكان لذلك تأثيره على الصناعات الأفريقية، وحتى الأعمال اليدوية التى كانت تمارس من طوائف أفريقية، ويطلق رودنى على ما حدث فى أفريقيا «التوقف التكنولوجى» أو «الركود التقنى»، وعلى إثر ذلك يرى أن أفريقيا فقدت فرصة التنمية، فلم يكن نمط التبادل التجارى مشجعاً على انتقال التكنولوجيا والتطورات التى تحدث فى أوروبا إلى أفريقيا، ولم تكن تلك هى رغبة قادة الغرب بما يدحض ذريعة رسالة التنوير وعبء الرجل الأبيض، والادعاءات الأخرى التى استخُدمت لاستعمار القارة[2].

ثالثاً: الاستعمار وأثره فى تخلف أفريقيا:

ناقش رودنى فى العديد من أعماله أثر الفترة الاستعمارية فى تخلف القارة الأفريقية، واهتم أيضاً بالرد على الزعم الذى يُروج له بأن الاستعمار كان لفائدة

(١) م. س.، ص ٥٨ و ١٠٦ و ١١٩ و ١٣٠.

(٢) م. س.، ص ص ١٣١ – ١٤٤.

القارة وأنه طور السود، ويؤكد على أن الهدف من الاستعمار هو إعادة الأرباح وفائض القيمة إلى الدولة الاستعمارية الأم، واستغلال السيطرة على السلطة السياسية فى خلق سوق لتصريف السلع الأوروبية، كذلك جعل من القارة الأفريقية مصدراً دائماً للمواد الخام لخدمة الثورة الصناعية فى أوروبا، وكانت الشركات التجارية الكبرى أدوات مفيدة فى ذلك، وقد استُخدمت لاستغلال العامل والفلاح الأفريقي، ولذلك كانت السيطرة المباشرة ضرورة للدول الأوروبية حتى تحمى المصالح القومية، وتضمن أفضل الشروط لاستغلال القارة ومواردها، وتعبر كذلك عن قوتها على المستوى العالمى[(١)].

وقد استخدمت الإدارة الاستعمارية كافة الأدوات التى تضمن تحقيق هذا الهدف، فكانت البعثات التبشيرية، والكنائس، وكذلك نمط التعليم ومحتوى العملية التعليمية الذى يُقوم أيضاً بخدمة ذات الهدف، بل ويؤكد رودنى على أن الأموال التى استُخدمت فى استعمار القارة هى ذاتها الأموال الناتجة عن التجارة السابقة بين الطرفين، فقد استخدمت تلك الثروات فى توفير مقتضيات العملية الاستعمارية[(٢)].

ويدلل رودنى على أثر الاستعمار فى تخلف القارة من خلال نمط ونوعية الخدمات الاجتماعية التى كانت تقُدم للأفارقة فى ظل الحكم الاستعمارى، وأيضاً ندرة هياكل البنية الأساسية التى عمل الاستعمار على إنشائها كالطرق والسكك الحديدية والخدمات الصحية، وكانت المشروعات التى قام بها الاستعمار فى هذا المجال تخدم فقط أماكن غنية بموارد معينة، أو لتسهيل التجارة، أو تكون أماكن استقرار الجماعات البيضاء كما حدث فى جنوب أفريقيا، بل ويعتبر رودنى أن مثل تلك المشروعات هى

(١) م. س.، ص ص ١٩١ – ٢١٢.
(٢) م. س.، ص ص ٢١٢ – ٢٦٥.

ضريبة يسيرة عن استفادة الدول الغربية من موارد الدول الأفريقية(١).

كذلك لم يسمح الاستعمار بنشأة الطبقات الوطنية، ولم يسمح للإنسان الأفريقي باكتساب المهارات الإدارية حتى يستطيع إدارة بلاده بعد الاستقلال، وتوافق ذلك مع انخفاض مخصصات البحث والتطوير العلمى، ويؤكد على أن ذلك لم يسمح بتكوين الدولة الوطنية فى الدول الأفريقية، بل كانت عبارة عن وحدات إدارية تم تقسيمها وتحديدها عن طريق الاستعمار، وجمع بعضها إثنيات وجماعات مختلفة، فى حين تم تقسيم إثنيات بين عدد من هذه الوحدات، ويرى أن ذلك فتح المجال لرفض البعض للسلطة، وبدأت سلسلة الانقلابات والحروب الداخلية والبينية، بل وضعت السلطات الاستعمارية على سدة الحكم فئات لا تعمل لصالح الشعب، ولم تحاول تنمية حياة المواطن العادى، فقد كان الهدف لمعظم تلك الفئات هو البقاء فى السلطة لأطول فترة ممكنة، ونهب الثروات والموارد(٢).

ويرى رودنى أن تعبير التنمية الذى استُخدم من بعض السلطات الاستعمارية هو تعبير مختزل لتكثيف الاستغلال الاستعمارى لموارد القارة لصالح تنمية الغرب، وعلى الرغم من قصر فترات الاستعمار لبعض أقاليم القارة، إلا أن تلك السنوات كانت السنوات الحاسمة لتحقيق التنمية على المستوى العالمى، ففى حين كانت التنمية فى المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية على حد سواء كانت القارة الأفريقية تتجه نحو المزيد من التخلف(٣).

ولقد استخدم الاستعمار خصائص المجتمع الأفريقي حتى يحافظ على سلطته، ويوقف عملية التنمية، إذ استطاع إدارة مفاهيم القبلية والإثنية والاختلافات الدينية والاجتماعية فى محاولة تأجيج الصراعات، على الرغم من أن الحرب على

(١) م. س.، ص ص ٢٦٧ – ٢٨٠.

(٢) م. س.، ص ص ٢٨١ – ٢٩١.

(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123.

أساس إثنى لم تكن من المدركات الأفريقية فى الفترة السابقة على الاستعمار، كذلك استخدم الاستعمار التعليم فى تكوين فئة تساعده فى إدارة واستغلال بلادها، بل وكان محتوى العملية التعليمية يقدم المفاهيم الرأسمالية على أنها قيم يجب اتباعها، وكان هذا المحتوى يناقش أوضاع وخصائص وأمثلة من الدول الغربية دون أن يقترب من مشاكل وخصائص المجتمع الأفريقي، وحتى الحملات التبشيرية وأدواتها ودورها كان لخدمة الأهداف الاستعمارية، وتجهيز البيئة الأفريقية لتقبل الحكم الغربى، ويؤكد على أن تحول الأفارقة إلى المسيحية كان بسبب ما تنشره تلك الحملات من إغراءات عن فوائد الرأسمالية وليس المسيحية، وينتقد رودنى ما كانت تقدمه من «مسيحية بيضاء» على حد وصفه، ويرى أن الهدف من التعليم والمسيحية هو أن ينسى الأفريقي قيمه ومعتقداته وعاداته وتقاليده لصالح منظومة قيمية مقُدمة من الغرب، وأن يتحول إلى تابع للدول الاستعمارية، ويتخصص فى إنتاج أو تصدير سلعة أو اثنتين فى حين يظل معتمداً على وارداته من الغرب، ويصف رودنى ذلك بأنه «نمو بدون تنمية» بمعنى زيادة فى أرقام وحسابات، وفى النهاية يخدم مصالح القوى الاستعمارية[(١)].

كما يرى رودنى أن للغرب اسهاماً قوياً فى حالة التخلف التى عليها القارة الآن مؤكداً على أنه طالما استمرت حالة التخلف فى أفريقيا ستستمر سيطرة الدول الغربية عليها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، لذلك لم يتوقف دورالغرب فى تخلف القارة بعد المرحلة الاستعمارية، لكنه استمر على ذات نهجه حتى بعد حصول الدول الأفريقية على الاستقلال.

رابعاً: طبيعة الدورالغربى فى التنمية الأفريقية بعد الاستقلال:

بالرغم من الإعلانات الدولية والهيئات المتخصصة والمؤتمرات الخاصة بالتنمية

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٢٩٠ – ٣٤٠ و ٣٥٠ – ٣٦٤.

التى تم إنجازها للحد من التخلف فى أفريقيا، إلا أن التخلف لايزال وسيظل موجوداً فى القارة طالما تم الاعتماد على ما تقدمه الدول الرأسمالية من سياسات ونماذج وقيم وبرامج، ومع ذلك رفض رودنى ما يطلق عليه «الحلقة المفرغة للفقر» مدللاً على أن الرأسمالية العالمية من مصلحتها أن تستمر حالة التخلف فى القارة، ومؤكداً على أن السوق الذى نشأ على أساس الرق والاستعمار من الصعب أن يسمح بتحقيق التنمية فى أفريقيا، وأن عنصرية هذا النظام ستمنعه من ذلك، رافضاً كذلك دور الهيئات الدولية التى يعتبرها خادمة لمصالح فئة معينة من الدول، ولم يقبل دور رأس المال الأجنبى معللاً ذلك بأنه يخدم مصالح دول المصدر، وسيكون استعماراً اقتصادياً جديداً، وأكد على أن كافة هذه الأدوات السابقة لن تحقق التنمية بل ستحاول خلق اقتصادات تكُيف إنتاجها وسماتها مع السوق الرأسمالى العالمى[1]، ولن تخدم مصالح مواطنى القارة، مؤكداً على أن الرأسمالية العالمية ودور الولايات المتحدة قد حافظ على الكثير من سمات المرحلة الاستعمارية، وهذا ما جعله يؤكد على أهمية التغيير الثورى السريع والثورة ضد الرأسمالية العالمية[2]، والتى تحتاج لعدد من الآليات والأدوات التى حاول رودنى أن يقدم أمثلة لها.

المطلب الثالث: آليات وسبل تنمية أفريقيا

حاول رودنى أن يقدم تنظيراً فكرياً لقضية التنمية وأهم سماتها فى المجتمع الأفريقي، واتساقاً مع طابعه الحركى للتعبير عن أفكاره حاول أن يقدم الأدوات والوسائل التى يمكن للقارة من خلالها أن تحد من حالة التخلف، وأن تبدأ نهجاً تنموياً، ويعول فى هذا النهج الإصلاحى على دور الأدوات والقوى والوسائل الأفريقية «المصدر والسمات»، ولعل من أهم تلك الأدوات:

---

(١) م. س.، ص ص ٣٧١ – ٣٧٥.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.**, p.58. & - Viola Mattavous Bly: **op.cit.**, p.126.

أولاً : الاستفادة من الدروس التاريخية :

يمكن القول بأن الاستفادة من الدروس التاريخية من الأدوات المهمة التى أكد رودنى على أهميتها للقارة الأفريقية، ويمكن أن تتم الاستفادة من التاريخ على جانبين، الأول منهما نفسى وهو يكمن فى تخلص الأفارقة من حالة الدونية والقيم والمعتقدات الخاطئة التى حاول الاستعمار أن يغرسها فى العقلية الأفريقية، وعلى الجانب الآخر يرى رودنى أن التاريخ الأفريقي يمكن أن يكون مصدراً لنماذج تنموية لها الصبغة الأفريقية[1]، مؤكداً على أسبقية أفريقيا تنموياً، ولذلك أخذ على عاتقه إعداد جيل فى جامعة دار السلام يعرف ويعى ما فى التاريخ من نماذج وقيم، وأكد على أهمية إعادة النظر فى العديد من المراحل التاريخية[2].

ثانياً : الثورة والعنف كأدوات تغيير وتنمية :

حاولت الدول الغربية أن تحافظ على علاقات تبعية الدول الأفريقية لها من خلال البرامج والأدوات والهياكل التى تعلن أنها تهدف لتنمية القارة، ولذلك حاولت من خلال مفهوم التنمية ومن خلال النماذج والرؤى والخطط والمنظمات التنموية والعالمية أن تحقق فقط مصالحها، وأن تقدم الأدوات والمفاهيم والنماذج والخطط التى تحقق مصلحة الغرب، وتحافظ على تخلف القارة[3]، لذا فمن الأدوات الأساسية التى قدمها رودنى لإحداث التغيير والتطوير والتنمية فى أفريقيا هى الثورة والعنف كأدوات تستطيع الشعوب الأفريقية من خلالها التخلص من حالة التبعية للغرب، ومن ثم تصبح للدول الإرادة المنفردة فى صياغة النماذج التنموية

(1) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context…., **op.cit.,** p.67.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.56 & 57.

(3) For Example look
- Heather Deegan: **Africa Today: Culture, Economic, Religion, and Security** (London: Routledge, 2009), pp.57-75.

التى تعكس خصائص وسمات المجتمع الأفريقي، إذ يقول: «خطوتنا الأولى هو أن نستنفذ السبل السلمية للقيام بالتغيير، ويبدو أن العصيان المدنى يدل على ذلك...وأن ما سيحدث بعد ذلك سيكون مسؤولية من أغلقوا كافة السبل للقيام بتغيير سلمى»[١]، ولكن رؤية رودنى تبدأ من ضرورة تحرير المثقفين والمفكرين فى المجتمع من عقيدة الرأسمالية ومن أن ما تقُدمه هو الأفضل، وهو ما يجب أن يتبُع، ومن ثم يستطيع هؤلاء المثقفون قيادة حركة الرفض ضد الرأسمالية، ويصبح لهم الدور فى رفع مستوى وعى الشعب عامة وطبقة العمال بصفة خاصة، وأكد على ضرورة رفض النماذج التنموية التى يقدمها الغرب واستثماراته والشركات المتعددة الجنسيات؛ لأنها ليست أدوات تنمية بقدر ما هى أساليب لإعاقة محاولات التنمية التى يمكن أن تظهر فى أفريقيا من النماذج القيمية والثقافة المحلية[٢].

ثالثاً: التعليم كأداة للتنمية :

حتى يستطيع الشعب الأفريقي أن يحقق التنمية لابد له من الكوادر والشخصيات التى تستطيع أن تقود تلك العملية، ويتم ذلك من خلال عملية تعليمية يتساوى فى الحصول عليها أبناء القارة، وأن يكون محتوى تلك العملية التعليمية يتناسب مع قيم ومعتقدات القارة، ويكون الهدف منه هو التصدى للمشكلات والتحديات التى تواجه القارة، لذا أكد على ضرورة أن تتحرر المؤسسات التعليمية من المحتوى الاستعمارى والنماذج الغربية التى يتم تقديمها، وكان من أنصار تأسيس الجامعات الوطنية التى تبُنى على خصائص وسمات المجتمع الأفريقي دون محاولة نقل نماذج من الدول الغربية، ونقطة البدء فى سبيل تحقيق التنمية أن تنمى وتقدم هذه المؤسسات القيم الأفريقية والتاريخ الأفريقي،

(1) Carl Blackman, **op.cit.,** p.2.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** pp.11-13.

وأن تحاول جعل اهتمامات الإنسان الأفريقي المتعلم اهتمامات أفريقية خالصة(١).

رابعاً: التنمية الذاتية واستخدام الموارد الأفريقية:

حتى تستطيع القارة أن تحقق التنمية، وتترك دور التابع، وتنأى بنفسها عن الممارسات الاقتصادية التى تعبر عن تبادل اقتصادى غير متكافئ لابد لها من تنمية ذاتية وفقاً لنماذج من ثقافتها وقيمها، وحتى عند الأخذ بالنماذج الخارجية لابد أن تصطبغ بالصبغة الأفريقية، ولذلك رفض رودنى دور الاستشارات الأجنبية والقروض والهبات والمنح والشركات المتعددة الجنسيات، وأعتبرها من أدوات الاستعمار الجديد التى لا تهدف لتنمية القارة بقدر ما تهدف إلى خدمة مصلحة الغرب والوقوف فى وجه مظاهر التنمية التى يمكن أن تبرز فى القارة، بل ويرى أن أنشطة هذه المؤسسات تشبه الدور الذى قامت به مؤسسات الغرب فى مرحلة تجارة الرقيق فى الفترة السابقة على الاستعمار المباشر، ولذا يرى أن نقطة البداية تكون من خلال استخدام ثروات القارة فى خدمة مصالح وأهداف وتطلعات شعوب القارة، وليس استجابة لخطط وبرامج وأهداف غربية فقط(٢).

لذا يعتبر رودنى جزءاً من التيار الذى يرى أن حالة التخلف التى عليها القارة الآن هى من نتاج العلاقة مع الغرب بالأساس، ويرى أن تلك العلاقة كانت أساس الأسباب الأخرى لتخلف القارة، بل إن الاستعمار دمر الأسس التى كانت سابقة على علاقته بالقارة، وهو تيار له وجود وثقل بين مفكرى القارة الأفريقية(٣).

***

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126. **&** - David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117 & 122-124. **&**
- وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٧٤-١٧٦ و ٢١٢ و ٢٨٦.

(3) Peter Lewis: **Africa: the Dilemmas of Development and Change** (Colorado: Perseus Press Group, 1998), pp.1-12.

خامساً: الاشتراكية كمرجعية أيديولوجية تنموية:

كان رودنى يرفض الرأسمالية كسبيل لتنمية القارة الأفريقية سياسيًّا واقتصاديًّا، لأنه يعتبر أن الرأسمالية هى الاستعمار، وهى مقدمة منطقية للإمبريالية، وقد تم بناؤها على أسس الاستعمار واستغلال القارة، مؤكداً على أن الاشتراكية سيتم قبولها من الأفارقة كسبيل للتنمية؛ لأنها تهتم بإشباع احتياجات الإنسان، ولا تغفل العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وهى أيديولوجية الفئات المقهورة كالعمال وهم فئة يغلب على تكوينها الأفارقة، كذلك لم يكن للدول الاشتراكية مستعمرات فى القارة بما سيسهل قبول الجماهير الأفريقية النفسى لها، وهذا ما سييسر التعبئة الجماهيرية، مؤكداً على ضعف الهيكل الطبقى الذى خلفه الاستعمار والذى لم يسمح بنشأة الطبقات الرأسمالية الوطنية التى تهدف لمصالح القارة، لذا فإن الطبقة الرأسمالية الضعيفة تخدم مصالح الغرب[1]، بينما هناك طبقة عمالية لها نفس الخبرة العنصرية والتى يمكن أن يستخدمها لتوحيد هذه الفئة لتكوين طبقة، ولذا اهتم بالنشاط بين هذه الطبقة لرفع الوعى وتكوين الهيكل المؤسسى لها[2]، ويؤكد: «يرتبط كل من التحول فى البيئة الأفريقية والتحول فى العلاقات الاجتماعية بانقطاع العلاقة مع الإمبريالية والقيام بالوحدة السياسية والاقتصادية الأفريقية، ويمكن القيام بهذه المهام التاريخية فقط تحت مظلة الاشتراكية ومن خلال قيادة الطبقة العاملة»[3]، وإن كان ذلك يطرح تساؤلاً حول مدى رغبة وإمكانية الدول والبيئة الأفريقية فى تطبيق الاشتراكية، وهل من الأفضل أن تكون النماذج التنموية

---

(1) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٧ و ١٦ و ١٨ و ٣٣ و ٣٦ و ٣٧.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.124 & 125.

(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress: Aspects of Class Struggle in Africa, the Caribbean, and America, In Malefi K. Asante & Abushardow Abarry (eds.): **African Intellectual Heritage: A Book of Sources** (Philadelphia: Temple University Press, 1996), p.733.

والسياسية نابعة من سمات وقيم وثقافة أفريقية؟

ويمكن القول بأن رودنى قد تناول قضية التنمية برؤية أقرب إلى الشمول، ولكنه يعول كثيراً على دور الطرف الخارجى فى تخلف القارة، فلم يكن التخلف الذى ألم بها من الظروف الطبيعية أو من النماذج التاريخية والثقافية أو نتاج ديناميات محلية، والتى يؤكد رودنى على ثرائها، وإنما يُفسر التخلف الذى عليه الواقع الأفريقي الآن بتأثير سياسات وأدوات الغرب فى التعامل مع القارة التى أدت إلى إيقاف هذه التنمية، بل دمرت الأسس والهياكل التنموية التى كانت قائمة، وأكد أنه لا يمكن تحقيق التنمية بسبل ووسائل وتصورات ونماذج من إنتاج الأيديولوجية التى كانت مسؤولة عن فترات الاستعمار والممارسات العنصرية، وأن الغرب حاول ابتكار الوسائل والسياسات التى يحافظ من خلالها على القارة فى موقع التابع بشكل يخدم مصالحه ومنافعه، كما حاول أن يجعل من الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الأفريقية استقلالاً شكلياً فى العديد من أبعاده. وحتى عند حديثه عن الأسباب الداخلية لتخلف القارة يرى أنها كانت انعكاساً مباشراً لما تركه الاستعمار وتجارة الرقيق والسياسات الرأسمالية فى القارة، ولجأ إلى هذا التفسير أيضاً عند تبريره لاختلاف مستويات التنمية بين الأجزاء المختلفة للقارة معللاً ذلك بأن الأماكن التى لم تشهد تجارة الرقيق أو الاستعمار لفترات طويلة هى الأفضل من حيث مستوى التنمية، وإن كانت هناك نماذج تعتبر شاذة عما يقوله رودنى، لكن تظل الرؤية التى قدمها من الأهمية والشمول حول قضية لاتزال أحد أهم أبعاد العلاقة بين أفريقيا والغرب.



المبحث الثانى

الاستعمار الجديد وأشكاله

ينتمى رودنى إلى تيار فكرى واسع النطاق على مستوى القارة ظهر فى المرحلة التالية للاستقلال ليتصدى لدراسة بعد مهم من أبعاد العلاقة بين أفريقيا والغرب وهو ما أطلق عليه «الاستعمار الجديد». ويشترك معظم هؤلاء المفكرين فى تحديد سمات هذه العلاقة التى يسيطر عليها الاستعمار الجديد بالتبعية الاقتصادية والتبادل اللامتكافئ وعدم استقلالية الدول فى إدارة شؤونها الدولية، وسيطرة قيم مختلفة –وأحيانا متناقضة– على المجتمع، والجانب الأهم هو سلب الدول الاستقلال الفعلى ليصبح استقلالاً شكليًّا وقانونيًّا فقط، لتظل الدول تابعة للغرب فى الكثير من المجالات.

وقد حاول رودنى دراسة قضية الاستعمار الجديد متناولاً الأشكال المختلفة التى يأخذها، بل وحاول تقديم رؤى وتصورات لمواجهة هذا الشكل من الاستعمار، لذا خُصص هذا المبحث لمناقشة هذه القضية فى فكر رودنى كأحد الأبعاد المهمة فى العلاقة بين الغرب وأفريقيا فى الفترة التالية للاستقلال؛ وذلك للوقوف على طبيعة العلاقة بين الطرفين، وسيتم ذلك من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستعمار الجديد وأسبابه.

المطلب الثانى: أشكال ومظاهر الاستعمار الجديد.

المطلب الثالث: آليات وسبل مواجهة الاستعمار الجديد.

المطلب الأول: مفهوم الاستعمار الجديد وأسبابه

حاول رودنى أن يكُمل دراسته لطبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب من خلال دراسة سمات هذه العلاقة فى الفترة التالية لحصول الدول الأفريقية على الاستقلال،

ويرى أن ذلك يتعلق بمدى قبول الدول الغربية بالمساواة التى فرضها القانون الدولى والناتجة عن كفاح الدول الأفريقية ضد السيطرة الغربية، وهل توجد للدول الأفريقية المؤهلات التى تمكنها من ممارسة اختصاصاتها وسيادتها بإرادة منفردة، وهل لديها الاستعداد لأن تمارس دوراً مستقلاً وتتخلى عن دور التابع على الساحة الدولية؟.

أولاً : مفهوم الاستعمار الجديد :

يرى رودنى أن القارة لم تخرج من سمات وخصائص المرحلة الاستعمارية، وأن ما حدث هو استبدال للفئة الحاكمة الاستعمارية بفئة تنتمى إثنياً للقارة، ولكنها تخدم مصالح غربية، ولذا يمكن القول بأن القارة مازالت قيد نمط جديد من الاستعمار هو الاستعمار الجديد[1].

ويعنى الاستعمار الجديد عند رودنى: «الاستقلال الشكلى للدول الأفريقية، فى حين تظل القوى المتحكمة والمؤثرة فى الحياة السياسية والاقتصادية من خارج القارة، وتظل السلطة فى يد فئة نشأت وتشبعت بالقيم الرأسمالية وهى البرجوازية الصغيرة Petit Bourgeoisie» والتى يشير إليها بالخادم المطيع لأهداف ومصالح الغرب[2]، كما يشير إلى أن جوهر الاستعمار الجديد هو فقدان الشعوب الأفريقية للقدرة على الاختيار بطريقة مستقلة، وفقدان الدول أيضاً الثقة فى قدرتها على القيام بدور مؤثر فى الشؤون الدولية، إذ يقول: «إن كان الشعب الأفريقي يرغب فى أن يحرر نفسه فإنه يجب عليه أن يأخذ فى اعتباره أن مرحلة استعمار واستعباد الدول الأفريقية كانت فى إطار النظام الرأسمالى، ولكننا خرجنا من إطار الرأسمالية، وأصبحت لدينا أدوات التحرير التى لا تعنى فقط الكفاح الوطنى، بل هناك الثورة

---

(1) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **Latin America Perspective,** Vol.8, No.1, Winter 1981, p.71 & 72.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.111.

الاجتماعية»[١].

ومن خلال تطبيق المنظور التاريخي في تحليل الاستعمار الجديد يرى رودني أن ظاهرة الاستعمار الجديد ليست بالممارسات الجديدة، مقارناً الممارسات التي تقوم بها الدول الغربية في الفترة التالية لاستقلال الدول الأفريقية بالممارسات التي كانت سابقة على الاستعمار المباشر، بمعنى الممارسات التي كانت منذ الاتصال الأوروبي الأفريقي ومرحلة تجارة الرق، وأشار إلى أن أهم تلك الممارسات التي كانت قبل الاستعمار المباشر هو: الاستغلال الاقتصادي، والتبعية السياسية، والمحافظة على فئة حاكمة تخدم مصالح الغرب ومصالحها الخاصة، والتبادل الاقتصادي اللامتكافئ الذي يكون لصالح الغرب، والتبعية الثقافية التي تتمثل في سيطرة القيم والسلع والثقافة الغربية، ويؤكد على أن هذا ما يحدث تقريباً بعد حصول الدول الأفريقية على الاستقلال أيضاً، ولذا يقول: «إن السوق والنظام العالمي الذي تم بناؤه على أساس من الاستعمار والرق سيحاول أن يجعل من اقتصادات دول القارة في حالة تبعية دائمة»[٢].

ويرى رودني أن للاستعمار الجديد العديد من المظاهر والنتائج لعل من أهمها: تركيز السلطة في يد فئة أو طبقة قليلة العدد هي البرجوازية الصغيرة، وتغييب أوجه التعبير عن الرأي والمشاركة السياسية، وتأجيج الإثنيات، والتلاعب بأوجه الانقسام الأخرى بين جماعات المجتمع، ومؤسسية الفساد، وزيادة القهر والخداع السياسي، والحط من قيمة الثقافة الوطنية كأداة في يد الطبقة الحاكمة، والتشويه المقصود والمدروس للمفاهيم الثورية في المجتمع، والوقوف أمام محاولات تحقيق التنمية التي تجرى في الدول الأفريقية[٣]، بل ويؤكد على أن العديد من الكوارث

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125.
(2) **Ibid,** p.126. & - وولتر رودني: م. س. ذ.، ص ص ٣٧١-٣٧٧.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7.

والتأخر التكنولوجى والكوارث الغذائية وتخلف الهياكل الإنتاجية وما يسببه من إهدار للموارد كان وراءها الاستعمار الجديد الذى يفسر العديد من تلك الأبعاد[1].

ثانياً: أسباب انتشار ظاهرة الاستعمار الجديد فى أفريقيا:

حاول رودنى تحليل أسباب انتشار الاستعمار الجديد فى أفريقيا بعد أن نجحت الدول الأفريقية فى الوصول إلى استقلالها بعد كفاح طويل، ويؤكد دائماً على أن الخبرات التاريخية هى الأساس ونقطة الانطلاق فى تفسير حدوث ذلك، إذ يقول: «إن الظروف التاريخية التى أُقحم فيها الأفارقة فى القرون الأخيرة قد غرست فى عقول هؤلاء الإخوة والأخوات السود مفهوماً تاريخياً بعينه، وحتى يتم تحطيم هذا المفهوم لابد أن ندخل فى اللعبة ونقول هذا ما قاله الإنسان الأبيض وهو غير صحيح، ونحن لنا ماضٍ ولنا تاريخ»[2]، ومن أهم تلك الأسباب التى أوردها رودنى:

(١) **غياب النماذج التاريخية**: حيث يرى رودنى أن وضع الأفارقة السيئ والتابع للغرب ينبع من عدم معرفة الأسس والقيم والثقافات التى كانت فى أفريقيا تاريخياً، ولذلك استجاب الإنسان الأسود للإحساس بالدونية، وتخلى عن قيمه لصالح منظومة قيمية تشجع على التبعية للغرب، إذ يقول: «علينا نحن كسود أن نحاول الاستفادة من التاريخ الأفريقي كأحد الأسلحة فى الكفاح على أرض الواقع...فقد وُضعنا فى وضع مثير للاستياء، وعلينا أن نعدل من وضعنا، ونحاول أن نثبت آدميتنا من خلال دراسة الأسلاف»[3]، ولذا فإن بداية التخلص من التبعية والقيم بما أطلق عليه رودنى «الثورة السوداء» يأتى من دراسة ومعرفة التاريخ والثقافات

(1) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.739.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation. **Small Axe**, No.10, September 2001, p.66 & 67.
(3) **Ibid,** p.66.

الأفريقية التى كانت سائدة تاريخياً، وهذا ما حاول رودنى القيام به فى تدريسه لمقررات التاريخ والثورات فى الجامعة، أو فى المحاضرات العامة التى كان يلقيها[١].

(٢) التكوين الطبقى والفئات الحاكمة التى نتجت من الفترة الاستعمارية: لم تسمح القوى الاستعمارية بتكوين الطبقات الوطنية أو البروليتاريا الواعية، بل استخدم الغرب الانقسامات الإثنية واللونية، وتم تعميقها من أجل تخليد سيطرته ونفوذه، ووضع السلطة فى يد طبقة قامت على الأسس الرأسمالية، وهذا كله جعل من الصعوبة حدوث التطور السياسي أو تداول السلطة، إذ يقول: «تقديس العلاقات الإثنية تسبب فى أن تتحول العلاقة الاجتماعية بين العبد والسيد أو بين الرأسمالى والعامل إلى علاقة بين الأبيض والأسود»[٢]، ولذا حاولت الدول الغربية الحفاظ على البرجوازية الصغيرة التى ضمنت أنها تخدم مصالحها، بل وأحياناً تترك للدول الغربية التحكم فى سلطات الدولة[٣].

(٣) معاهدات واتفاقيات الاستقلال: والتى يرى رودنى أنها تضمنت العديد من البنود التى تكفل التبعية الاقتصادية المستقبلية، وتعطى حقوقاً للدول الغربية فى استمرار تدفق مواد خام بعينها، أو أن تكون لها قوات فى منطقة معينة بما يعنى استمرار بعض صور الاستعمار التقليدى، وحتى المعاهدات الدولية التى تمت بعد استقلال الدول أو التى كانت منشئة لهيئة أو منظمة بعينها كانت متحيزة لصالح الغرب[٤].

(٤) التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسي فى الدول الأفريقية: بما يعنى أن فارق الإمكانيات لصالح الدول الغربية، فمع افتقاد الدول الأفريقية لمنطق الوحدة فى الحركة جعل من السيطرة عليها أمراً ممكناً، وقد تدخلت الدول الغربية للحيلولة

---

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.114.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66 & 77.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.70.

دون الوصول لهذه الوحدة، إذ إن سيطرة الدول الغربية على السوق الرأسمالى العالمى، واحتكارها لصناعات بعينها، ولصنع القرار فى العديد من المنظمات الدولية والاقتصادية جعل من الدول الأفريقية فى حاجة دائمة للمعونات والاستثمارات والتكنولوجيا وأدوات الحماية التى يوفرها الغرب، وهى جميعها نماذج وأشكال للاستعمار الجديد[1].

إلى جانب تلك العوامل يرى رودنى أن الخبرة التاريخية من تجارة الرقيق والاستعمار والممارسات العنصرية كان لها تأثيرها أيضاً، ويؤكد على أن مبادئ هذه السياسة الاستعمارية الجديدة قد تم ترسيخها فى تلك الحقب التاريخية، ويؤكد أيضاً على أن القيم والمعتقدات التى تم نشرها فى التعليم والدين تجعل الأبيض الغربى الأفضل دائماً، ويرى أن محتوى هذه العملية التعليمية قد قام بتجهيز الأسود نفسياً لقبول الاستعمار الجديد؛ لأن القيم التى درسها وآمن بها تصوره إنساناً لا قدرة له، وأنه لابد أن يظل تابعاً للإنسان الأبيض[2].

وقد قدم رودنى أيضاً دراسة لبعض النماذج التاريخية التى يرى أنها توضح الاستعمار الجديد، وكيف كان يتم ممارسته من الغرب، ومن هذه الأمثلة نظام الحكم فى جويانا وقت «فوربيس بورنهام» والذى ناقش رودنى أن استمراره فى السلطة كان بسبب الدعم البريطانى له، بل وأكد على أن بريطانيا تدخلت فى تغيير النظام الانتخابى حتى يبقى فى السلطة، مع أن النظم الانتخابية من التعبيرات الأساسية عن سيادة الدولة[3]، وكذلك الهيكل الطبقى فى جاميكا واستمرار سوء حالة السود مع أن الحكومة هناك من السود، ولكنه يؤكد على أن هذه هى الهياكل الطبقية التى ورثتها النظم الحاكمة، وورثت معها السياسات التى يجب أن تتبعها، ولذلك لم

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123.

(٢) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣١٣-٣٤٠.

(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.122 & 123.

يتغير شيء[١]، فى حين يبدى رودنى إعجابه وتقديره لأهمية النموذج الذى قدمته تنزانيا فى اتباعها للأوجاما Ujama ، وكذلك النموذج الكوبى، ويرى أن هذين النموذجين قد رفضا الموروث الاستعمارى لصالح إبراز الهوية الوطنية من خلال نماذج تنموية ونظم حكم تمثل خروجاً عما قدمه الغرب[٢]، ويؤكد على عدم استقلالية الدول الأفريقية فى إدراة اقتصادها الوطنى، وأنه لم تتشكل بعد الطبقات الوطنية التى يمكن أن تقود حركة الاستقلال الفعلى وليس الشكلى، إلى جانب دور الاستثمارات الأجنبية والشركات المتعددة الجنسيات التى تقوض إرادة الدول فى الاستقلال باقتصادها الوطنى، ويعول رودنى أيضاً على طبيعة البرجوازية الصغيرة التى لم تكن لها النزعة التقدمية للخروج عن النماذج التنموية التى ورثتها عن الفترة الاستعمارية[٣]. وذلك ما كان يشكل بداية منطقية للاستعمار الجديد وتنوع أشكاله.

المطلب الثانى: أشكال ومظاهر الاستعمار الجديد

يؤكد رودنى على فكرة رفض الدول الغربية للمساواة القانونية التى حصلت عليها الدول الأفريقية بعد كفاحها طيلة عقود من القرن العشرين، لذا حاول الغرب أن يستخدم الإرث الاستعمارى والخبرة التاريخية فى الحفاظ على علاقة التبعية من الدول الأفريقية بآليات عدة فى المجالات التالية:

أولاً: فى المجال الاقتصادى:

من أهم المجالات التى حاولت الدول الغربية أن تحافظ على تبعية الدول الأفريقية لها فيها المجال الاقتصادى؛ إذ أفقد الغرب دول القارة القدرة على تحقيق تراكم رأسمالي يضمن لها الاستقلال فى إدارة اقتصاداتها بعد الاستقلال، بل ويرى

---

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52 & 53.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** pp.67-70.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117 & 118.

رودنى أن عدم السماح بنمو القطاع الصناعي، وبقاء الدول الأفريقية فى الغالب مصدراً للمواد الخام من أشكال الاستعمار الجديد، ويؤكد على أن ذلك لم يسمح بالنضج الطبقى للقارة، فضلاً عن حجم التدفقات والأرباح للغرب من جراء ذلك، ومن فارق أسعار المواد الخام والمواد المصنعة التى تستوردها معظم دول القارة، مؤكداً على أن ذلك كان مسؤولاً عن تراجع قيم العمل والتخصص التى سبقت الإشارة إليها لصالح قيم تبعث على التبعية وشرذمة المجتمعات الأفريقية[1].

ومن السمات الأساسية التى يقدمها رودنى والدالة على حالة التبعية الاقتصادية هى أن التنمية والإنتاج من اقتصادات الدول الأفريقية فقط كانت عبارة عن استجابة لمتطلبات السوق الرأسمالى العالمى وليس استجابة لمتطلبات الشعب الأفريقي، ويؤكد على أن ذلك سيكون أثره: «إحداث تدمير خطير فى تلك الاقتصادات...كما أن التنمية ستكون حدثاً عرضياً، وسوف تترك أغلب السكان غير مشاركين فى النشاط الاقتصادى، وكلما زاد استثمارنا فى فروع التصدير من أجل السوق العالمية سيزداد انحرافنا عن الاستثمار من أجل تنمية الشعب»[2]، وهو ما يعنى تشويه الاقتصاد الوطنى لخدمة الاقتصاد الرأسمالى العالمى، والذى يؤكد رودنى على استخدامه للمؤسسات الدولية فى إحداث واستمرار حالة التبعية.

ويعتبر دعم الرأسمالية لفئات حاكمة بعينها هو لخدمة المصالح الرأسمالية الاقتصادية التى جعلت للطبقة الحاكمة مصلحة تتعارض مع مصالح الشعب كاملاً، ويؤكد على دور الفئة الحاكمة فى تسهيل نهب الشركات الأجنبية للموارد واستغلال الثروات الأفريقية، وأن ذلك يعد من أهم مظاهر التقاء المصالح بين الرأسمالية العالمية وبين الفئة الحاكمة التى ارتضت فى بعض الأحيان بالسيطرة الاقتصادية، وترك الكثير من الممارسات والاختصاصات والأدوار والوظائف

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣٠١ – ٣٠٦ و٣٠٩ و ٣١٤.

(٢) م. س.، ص ٣٧٤.

السيادية فى يد هيئات أجنبية لكى تضمن بقاءها فى السلطة بدعم غربى[١].

ثانياً: فى المجال السياسي والأمنى:

قدم رودنى العديد من المظاهر الدالة على الاستعمار الجديد فى المجال السياسي والأمنى من أهمها:

(١) **تركيز السلطة فى يد البرجوازية الصغيرة:** فكما سبقت الإشارة فإن تلك البرجوازية ورثت نظم الحكم الاستعمارية فى السياسات التى يتم اتباعها، ولذا يؤكد على أن سياسات الاستعمار الجديد تحتوى على جزء تآمرى[٢]، فقد كان تسليم السلطة لفئة تم تكوينها وتعليمها وتشبعها بالقيم الغربية يهدف إلى تأجيل أو تحطيم إمكانية حدوث الثورة العامة فى أفريقيا، وأن تظل تلك الفئات الحاكمة تابعة هى وسياساتها وقيمها ونماذج التحول التى تتبعها لنماذج غربية[٣].

(٢) **تدمير أوجه المشاركة السياسية:** فقد غرس الاستعمار العديد من القيم والممارسات التى تنأى بالفرد بعيداً عن المشاركة فى تكوين التوجهات الفكرية أو الثورة السياسية أو التغيير الاجتماعى[٤]، ولذا يعيد رودنى التأكيد على افتقاد الافراد الثقة فى قدرة الآليات الانتخابية والطرق السلمية فى إبعاد فئة تحظى بقبول وتأييد غربى، ولكن البداية عند رودنى تكون من خلال الأدوات السلمية لإحداث هذا التغيير، وإن لم تنجح فى الوصول للهدف المبتغى منها يكون اللجوء بعدها للطرق الثورية والعنف الذى يصبح مشروعاً فى هذه الحالة[٥].

(٣) **التلاعب بالإثنية وأوجه الانقسام بين الشعب:** حيث يؤكد رودنى على أن

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.118 & 122. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.128.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7.
(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٣١٩ و ٣٤٠.
(4) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.
(5) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.111.

شعوب القارة لم تدرك خطورة وإمكانية استخدام هذه الانقسامات فى الفترة السابقة على الاتصال الأوروبى، ولم تعرف الحروب على أساس إثنى، ولكن الغرب اتبع سياسة «فرق تسد» حتى يسهل له الحكم والتحكم فى أفريقيا، لذا حاولت الدول الغربية الحفاظ على هذه الانقسامات فى الفترة التالية للاستقلال لتكون أداة لإضعاف التكوين الطبقى، وكذلك حتى يسهل عليها التدخل فى شؤون هذه الدول، ولذا يرى رودنى أن الحل هو فى الحركة الجماهيرية الموحدة، والابتعاد بالإثنية عن أساليب إدارة الغرب بما يسهل من وحدة الحركة[1].

(٤) **مؤسسية الفساد:** لقد سمح الاستعمار بانتشار الفساد فى الدول الأفريقية فى كافة الأجهزة ليحقق عدة أهداف دفعة واحدة، فمن جهة يسهل على الفئة الحاكمة وأتباعها السيطرة على القوة الاقتصادية، فى حين تظل أغلب فئات الشعب تعانى من الفقر بما يسمح بالصراعات والانقلابات للسيطرة على السلطة والثروة، وفى ظل هذا الوضع يستطيع الغرب أن يتدخل، وأن يكون أيضاً فى صالح النهب المنظم للموارد من خلال الاستثمارات الأجنبية أو الشركات المتعددة الجنسيات، وتظل الدول الأفريقية قيد الصراعات الداخلية[2].

(٥) **زيادة الكبت والخداع السياسي:** ومن مظاهر ذلك الوصول للسلطة بطرق لا تعبر عن الشرعية، والاعتماد على الدعم الغربى واستخدام أدوات القهر داخل الدولة للبقاء فيها، واستخدام أدوات الحكم فى خدمة فئة أو جماعة بعينها[3].

(٦) **التشويه المدروس للمفاهيم الثورية:** لقد رفضت النظم الاستعمارية ومن خلفها البرجوازية الصغيرة المفاهيم الثورية التى يمكن أن تقود للتحول والتغيير الراديكالى فى المجتمعات محاولة أن تستبدل تلك بمفاهيم تسهل السيطرة، وتُعلى من

---

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7 & 8.
(2) **Ibid,** p.6 & 7.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.53. **&** - Clive Thomas: **op.cit.,** p.7.

قدر القيم الرأسمالية، ويؤكد رودنى على أنه لا حياة بدون الكفاح السياسي فى الدول الأفريقية والذى يصل إلى حد الثورة الاجتماعية[١].

ثالثاً: فى المجال الثقافى والاجتماعى:

قدم رودنى العديد من مظاهر الاستعمار الجديد فى المجال الثقافى والاجتماعى من أهمها:

(١) **التعليم وطبيعته**: إذ أكد على أن التعليم من المجالات الأساسية التى نرى فيها مظاهر الاستعمار الجديد من حيث الأدوات التى يتم بها التدريس لأبناء القارة، وكذلك محتوى تلك العملية الذى يعكس القيم الرأسمالية الغربية[٢]، ويرى أن هدف التعليم كان خلق فئة تخدم مصالح الغرب، ولذلك كان إصراره على وطنية العملية التعليمية، ووطنية المؤسسات التى تقوم بها[٣].

(٢) **الحط من قيمة الثقافة الوطنية**: وإعلاء قيم ومبادئ الرأسمالية، حيث يؤكد رودنى على أن أخطر أوجه الاستعمار الجديد تتمثل فى اتباع المثقفين لتيار يؤيد القيم الرأسمالية، والعمل بالبحث فى القضايا والأمور التى تتعلق بالرأسمالية، وترك قضايا ومشكلات مجتمعاتهم، ولذا يؤكد على أن نهاية الاستعمار الجديد ثقافياً تكون بتحرر هؤلاء المثقفين من الاستعمار الفكرى الغربى، وأن يصبح اهتمامهم بقضايا الواقع الأفريقي[٤].

(٢) **التقسيم الطبقى والعلاقة بين الطبقات**: لا يقوم هذا التقسيم الطبقى على أساس من النشاط الاقتصادى، بل هو تقسيم غربى يعكس التقسيم العالمى بين الدول الرأسمالية الغربية وأفريقيا، وينعكس ذلك فى التقسيم الطبقى داخل معظم

---

(1) Clive Thomas: **op.cit.**, p.7 & 11-13.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.**, p.69.
(3) Bonaventure Swai: **op.cit.**, p.36 & 37.
(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.**, p.126 & 127.

الدول الأفريقية، وهو يؤكد على أن التقسيم الطبقى على أسس ومعايير تسهل الصراع، وتعطى الأفضلية للفئات التى تخدم مصالح الغرب، ولم يسمح بنشأة الطبقات الوطنية التى تنتهج نهجاً تنموياً استقلالياً[(١)].

(٣) **العنصرية**: يؤكد رودنى على أن الرأسمالية تجد فى العنصرية تبريراً للعديد من الممارسات التى تقوم بها، ومع انتهاء أساطير عبء الرجل الأبيض، ورسالة التنوير التى كانت عبارة عن ادعاءات لتبرير استعمار القارة، ظلت الرأسمالية ترفع شعارات التقدم والتنمية عن طريق الرأسمالية، وأن الأخيرة هى السبيل الوحيد للتنمية السياسية والاقتصادية، وكأن الرأسمالية تحمل رسالة تنوير العصر الحديث للقارة، ويؤكد رودنى على أن ذلك من مظاهر الاستعمار الجديد ثقافياً[(٢)].

إلى جانب هذه المظاهر يؤكد وولتر رودنى على العديد من العوامل التى ساعدت وسهلت هذا النمط من الاستعمار الجديد ومنها عدم اهتمام الأفارقة بدراسة تاريخ الثقافات الأفريقية التى تثبت أنهم الأفضل تاريخياً، إلى جانب ضرورة الوعى بالخبرات التاريخية ونظم الحكم التى تجعل القيم الرأسمالية هى الأجدر بأن تُتبع، وكذلك افتقاد التيارات الفكرية التى تحاول أن تصل إلى نموذج قيمى أفريقي يقوم على أساس من الثقافة الأفريقية.

وقد حاول رودنى من خلال مناقشته لمظاهر الاستعمار الجديد أن يقف على أوجه الاختراق الغربى للقارة الأفريقية فى مختلف الأوجه والمجالات، كما حاول أيضاً مناقشة السبل والآليات التى يمكن من خلالها التصدى لهذا النمط من الاستعمار.

---

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.110-112. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.

(2) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney,**op.cit.,** p.14.

المطلب الثالث : سبل وآليات مواجهة الاستعمار الجديد

يؤكد رودنى على أن مواجهة الاستعمار الجديد أصبحت أكثر صعوبة، وتحتاج إلى جهود وآليات تربو على تلك التى استُخدمت لمواجهة الاستعمار فى شكله التقليدى المباشر، وقد تأثر رودنى بالعديد من مفكرى القارة الأفريقية الذين تناولوا حاولوا مناقشة قضية الاستعمار الجديد وبخاصة الرئيس الغانى كوامى نكروما ورؤاه وتصوراته التى قدمها حول الاستعمار الجديد وسبل مواجهته، وقد قدم رودنى العديد من الرؤى التى يمكن استخدامها لمواجهة الاستعمار الجديد ومن أهمها :

أولاً : مواجهة الاستعمار الجديد فى المجال السياسي والأمنى :

إذا كان الاستعمار الجديد فى فكر رودنى يبدأ من التبعية الاقتصادية، فإن مواجهة هذا النمط من الاستعمار تبدأ من المجالات السياسية والأمنية، لذا قدم العديد من الرؤى والتصورات التى تعالج ما فى المجال السياسي والأمنى من عدم استقلالية، ومن أهمها:

(١) **استقلالية قرارات البرجوازية الصغيرة أو التخلص منها**: إذ يؤكد رودنى على أن الاستعمار الجديد سوف يستمر طالما استمرت البرجوازية الصغيرة فى اتباع نفس سياساتها فى الحكم، وتنبأ بأنه طالما استمرت هذه الفئات فى الحكم فسوف تستمر فى خدمة مصالح من قام بوضعها على سدته، بل أكد على تحول أغلب النظم التى تتبع هذا الأسلوب إلى الديكتاتورية مستخدمة أجهزة ومؤسسات الدولة فى خدمة مصالح فئة بعينها[1]، لذا حاول تقديم الرؤى التى يمكن من خلالها التصدى لسياسات هذه الفئات، فقام برفع شعار «الخبز والعدل» قاصداً به «التنمية والعدالة الاجتماعية »، وكذلك كان يؤكد «لا ديكتاتور، قوة الشعب، القوة كاملة للشعب»،

[1] Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.122-124.

داعياً إلى حركة اجتماعية واسعة النطاق تشمل كافة الجماعات فيما يطلق عليه «الجبهة الموحدة»، بمعنى أن تصل الإثنيات إلى درجة من التنظيم الذاتى تكون هى البداية لتحرير كافة الجماهير، ويؤكد رودنى على أن الجماهير وحدها هى التى تستطيع أن تقف أمام نظام الحكم «الخادم المطيع» للغرب، ولكن يجب أن تكون حركتها موحدة حتى تسقط حكم الاستعمار الجديد[1]، وقد دعا رودنى إلى أن يتم توجيه الثورة السوداء ضد هذه الفئات الحاكمة مثلما توجه ضد الرأسمالية.

(٢) مؤسسية الحركة الجماهيرية: أكد رودنى على ضرورة أن تكون الحركة الجماهيرية السابق الإشارة إليها بشكل مؤسسى تنظيمى حتى تستطيع أن تصل إلى الهدف الذى تسعى إليه، وكان تأسيس ائتلاف الشعب العامل WPA رغبة منه فى أن يكون وسيلة وأداة توحيد الطبقة العاملة دون النظر إلى الانتماءات الأخرى، وليكون نموذجاً لمؤسسية الحركة الجماهيرية[2]، ويرى أن الحركة الغوغائية للجماهير لا تستطيع أن تهزم الاستعمار الجديد، إذ لابد لها أن تصبح فى شكل مؤسسى منظم، ويرى أنه بالنجاح فى الوصول إلى هذه الدرجة من التنظيم، وباستخدام الثقل العددى للجماهير والحقوق السياسية التصويتية تستطيع التصدى لمثل تلك البرجوازيات، وأن تأتى بالجماعات التى تحقق لها الاستقلالية بذات الأساليب والأدوات التى ينادى بها الغرب، وإن لم تستطع إدراك هذا الهدف تصبح الثورة والعنف هى البدائل لهذه الحركة الجماهيرية المنظمة[3]، لكنه أكد على أهمية استخدام الثقل العددى الجماهيرى، مؤكداً على أنه: «من المعروف أنه بسبب أننا شعب مقهور لا يمكن لنا أن نحمل سلاحاً يسهم فى تحريرنا...لكن علينا أن ندرك أن الحرية الأفريقية لا يمكن الحصول عليها دون بناء عناصر إيجابية فى تاريخ العنصر

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8. & - Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress......., **op.cit.,** p.732.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney: A biography and Bibliography, **op.cit.,** p.134.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8, 9, 12, & 13.

البشرى»[١].

(٣) الوحدة السياسية كسبيل لمواجهة الاستعمار الجديد: من الأدوات التى أكد رودنى على أهمية استخدامها لمواجهة الاستعمار هى ضرورة الوحدة سواء بين الجماهير أو بين الدول الأفريقية، ولكنه أكد على الوحدة على المستوى الرسمى بين الدول لتكوين وحدات سياسية أكبر حجماً لها قدرات وموارد وثقل سياسي يفوق ما لهذه الوحدات منفردة، وستأتى مناقشة قضية الوحدة فى فكر رودنى لاحقاً، لكننا نؤكد هنا على رؤية رودنى بضرورة انسحاب الأجهزة القضائية والعسكرية الغربية التى ورثتها المستعمرات حتى تستطيع هذه الدول أن تدرك الحرية كاملة، وأن تتحرك نحو الوحدة، كذلك استقلالية الدول فى إدارة شؤونها الخارجية وخصوصاً البينية منها أى التى بين الدول التى كانت مسُتعمرة فى وقت سابق[٢]. ومن المبادىء المهمة أيضاً التى أكد عليها رودنى هى حرية «الاختيار الأيديولوجى» رافضاً الرأسمالية وأدواتها السياسية، وداعياً إلى التحرر النفسى للأفارقة من خلال اتباع الاشتراكية[٣].

ثانياً: فى المجال الاقتصادى:

يؤكد رودنى على أن الدول الأفريقية لاتزال غير مستقلة فى إدارة واستغلال مواردها الخاصة، ويفسر ذلك فى ضوء خضوع هذه الدول لشركات واستثمارات بل ومؤسسات دولية تخدم مصالح دول بعينها؛ لذا حاول تقديم الرؤى التى يمكن من خلالها مواجهة هذا التغلغل الاقتصادى، ومن أهمها:

(١) الاشتراكية كأيديولوجية تنموية: وهذا ما سبقت الإشارة إليه فى رفض رودنى للرأسمالية كأيديولوجية تنمية، ورفض أدواتها فى إدارة الاقتصاد، مؤكداً على

---

(1) David Renton: **op.cit.,** p.152.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** p.5 & 6. **&** - Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.37.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126. **&** - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.57 & 58.

أن الرأسمالية هي الاستعمار فى شكل جديد، حيث يقول: «نسعى نحن - الماركسيين- إلى تكوين مجتمع جديد للعلاقات الإنسانية أفضل من المجتمعات التى اعتدنا عليها...ونشعر بأن الاشتراكية ومفاهيمها المختلفة - حتى مع اختلاف المقصود بهذه المفاهيم- هى السبل التى يمكن من خلالها تحقيق ذلك»[١]، مؤكداً على أن الرأسمالية قد جعلت من الدول مجرد تابع اقتصادى ومصدراً للمواد الخام، ولذا فإن تحقيق التنمية فى المجتمع الغربى يرتبط دياليكتكياً بالتخلف واستمرار تبعية الدول الأفريقية[٢]، ولكنه سعى إلى إضفاء الطابع والسمات الأفريقية على الاشتراكية التى سوف تأخذ بها أفريقيا.

(٢) **تنوع مجالات وقطاعات التنمية**: حتى تتخلص الدول الأفريقية من موقف التابع للرأسمالية العالمية، وموقف الشريك غير المتكافىء فى التبادل الاقتصادى يجب أن يتم تنوع مجالات التنمية، وبشكل أساسى التنمية فى المجالات الصناعية التى تحقق فائض قيمة أعلى، وأن ترفض تخصصها فى السلع الزراعية أو المواد الخام[٣]، وأكد رودنى على ضرورة أن تكون التنمية الصناعية لإشباع الاحتياجات المحلية، وليس استجابة للسوق الرأسمالى العالمى[٤]، إلى جانب تطور الزراعة وأدواتها وأهدافها.

(٣) **استقلالية إدارة الموارد**: حتى تستطيع الدول أن تستقل فى إدارة شؤونها الداخلية والخارجية، وتوفير الموارد التى تمكنها من تحقيق التنمية ومواجهة الاستعمار الجديد فإنه لابد لها أن تستقل فى إدارة مواردها الخاصة، ويؤكد على أن

---

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.56.
(2) Walter Rodney: **the Groundings with My Brothers** (London: Bogle-L'Ouverture Publications, 1969), p.112.

(٣) كوامى نكروما، عبد الحميد حمدى (مترجم): **الاستعمار الجديد آخر مراحل الإمبريالية** (القاهرة: دار القاهرة للطباعة النشر، ١٩٦٦)، ص ص ٢٩٨ - ٣٠٨.

(٤) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٣٥ و ٣٧٣-٣٧٦.

تدخل الرأسمالية فى إدارة هذه الموارد سيكون السبب فى استخدام مشوه للموارد لصالح فئة بعينها ولخدمة مصالح الرأسمالية، ولذلك كان رودنى يبدى تقديره للأوجاما كنموذج تنموى يمثل خروجاً على النماذج التنموية التى تقدمها الرأسمالية، منتقداً كذلك المجتمع الجاميكى فى تعامله مع الشعب الأسود مع أن الحكومة سوداء فى الأساس، لكنها تظل فى حالة تبعية تامة(١).

(٤) **رفض المعونات والمساعدات والاستشارت الأجنبية:** يرى رودنى أن جميع تلك الأشكال تمثل أدوات للرأسمالية العالمية، وتستطيع الأخيرة من خلالها التغلغل وتقويض استقلالية الدول فى إدارة اقتصاداتها، وكذلك الشركات المتعددة الجنسيات التى تبغى مصلحة دول غربية بعينها(٢).

وبالرغم من أن حياة رودنى لم تستمر لما بعد الحرب الباردة، وما ترتب على ذلك من تراجع الاشتراكية وانفراد الرأسمالية كنموذج تنموى شبه مفروض على دول العالم المختلفة وبخاصة أفريقيا، لكنه تنبأ بالعديد من المظاهر التى سادت بعد الحرب الباردة، وناقش أيضاً «أزمة الرأسمالية العالمية» والتى سوف تظهر من نشاط أضعف الطبقات وأكثرها قهراً فى الرأسمالية وهى الطبقة العمالية، والتى ستكون السبب فى نهاية الرأسمالية وسيطرتها، وهذا ما يفسر لنا نشاط رودنى الواسع فى رفع مستوى وعى العمال.

ثالثاً: الأدوات الثقافية والاجتماعية لمواجهة الاستعمار الجديد:

يرى رودنى أن تحقيق الاستقلال الحقيقى ومواجهة الاستعمار الجديد بأشكاله المختلفة لن يكون مجدياً سوى فى حالة نجاح الدول فى الاستقلال الفكرى والثقافى، ولذا قدم رودنى عدة أدوات لتحقيق ذلك من أهمها:

---

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.12-15.

(٢) وولتر رودنى: ، م. س. ذ.، ص ص ١٧٤-١٧٦ و٢١٢ و ٢٨٦ و ٣٧٠-٣٧٣.

& - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.77.

(١) **التعليم وأهميته:** وهو ماسبقت الإشارة إليه من ضروة تناسب التعليم مع الواقع الأفريقي، وأن يناقش محتوى هذه العملية التعليمية القضايا والمشكلات الأفريقية[١].

(٢) **دور المثقفين:** وهم من الفئات الأساسية التى يؤكد رودنى على أهمية دورهم فى قيادة حركة التحرير الجماهيرية من القيم والمعتقدات الرأسمالية، ولكن نقطة البدء هى أن يتحرر هؤلاء المثقفون من سيطرة القيم الرأسمالية عليهم، فقد غيرت الأخيرة من القيم والطموحات والاهتمامات والأولويات البحثية لهذه الفئة[٢]، ولذلك يرى أن إدراك هذه الفئة لهذه التبعية الثقافية والتخلص منها، والاهتمام بالتثقيف الشعبى ورفع مستوى الوعى الجماهيرى من الآليات المهمة فى مواجهة الاستعمار الجديد[٣].

(٣) **القوة السوداء:** وهى أيديولوجية لونية تغييرية ينظر إليها رودنى على أنه يمكن أن يتم توجيهها لمواجهة أشكال الاستعمار الجديد الثقافية، فهى: «عقيدة للشعب الأسود، وهى عن الشعب الأسود، ويتم التبشير بها بواسطة الشعب الأسود»، وهى رد فعل على القوة البيضاء، وتهدف لإعادة هيكلة المجتمع الأسود فى مواجهة الإمبريالية البيضاء، وهى بذلك: «اعتراض على اليأس وسياسة عدم فعل شيء حتى يتم إيقاف استغلال الإنسان الأبيض للإنسان الأسود...تأمل فى القوة على المستوى العالمى فى المستقبل»[٤]، وستأتى مناقشة القوة السوداء تفصيلاً فى الفصل الثالث من الدراسة.

(٤) **التاريخ ومواجهة الاستعمار الجديد:** حتى يستطيع الإنسان الأفريقي أن يتصدى للقيم والثقافة الرأسمالية لابد أن تكون له معرفة بالمرجعية التاريخية

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣١٣-٣٤٠.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52 & 56.

(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35.
& Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.67.

(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16 & 20.

والثقافية التى له، ويصبح للنماذج التى يدركها الأفريقي من التاريخ عظيم الدور فى مواجهة الإمبريالية الثقافية[١]، ولذا اهتم رودنى بالمطالبة بتدريس التاريخ الأفريقى لأبناء القارة حتى من هم فى الكاريبي للترابط الثقافى، وإيجاد المرجعيات الثقافية، بل وطالب بتدريس اللغات الأفريقية الأصلية للحفاظ على الامتداد الثقافى[٢].

(٥) **النضج الطبقى**: سمح هيكل الطبقات الذى وجد بعد الاستعمار بإمكانية التغلغل واستمرار السيطرة الرأسمالية، فلم تكن هناك الطبقات الوطنية التى تضمن تحقيق كامل الاستقلال، ولم تبن الطبقات على أساس من النشاط الاقتصادى، لذلك يؤكد رودنى على أن التطور الاقتصادى والتنمية التى ستحدث فى القارة، واستقلال القارة فى إدارة شئونها الاقتصادية سيفرزان طبقات وطنية تسعى للوقوف ضد محاولات التغلغل الغربى فى القارة[٣].

إذن، حاول رودنى التصدى بالتحليل لقضية الاستعمار الجديد وأشكاله وأدواته، محاولاً أيضاً تقديم الرؤى والتصورات التى يمكن أن تشكل إطاراً لمواجهة هذا النمط من الاستعمار والذى يراه رودنى أخطر من الشكل التقليدى للاستعمار، ويحتاج إلى جهد وكفاح وتنظيم ووقت يفوق ما قامت به القارة فى مواجهة الشكل التقليدى، وقد أكد على أهمية أن تكون للأفارقة القدرات السياسية والاقتصادية والثقافية التى تمكنهم من مواجهة هذا الشكل، ولذا اتخذ من التاريخ والخبرات التى مر بها مرجعية وأساساً تحليلياً لهذا الشكل من الاستعمار، بل وأكد على النماذج الثقافية التى كانت سائدة والتى ستشكل أداة رفض للرأسمالية، وستكون رموز مهمة يمكن الارتكان إليها فى تحقيق الوحدة الأفريقية ومواجهة أساليب وأدوات وقوة وممارسات الاستعمار الجديد.

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35 & 36.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58. & - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.



المبحث الثالث

أثر علاقة أفريقيا بالغرب على التقسيم الطبقي والتكوين الإثني

تحتل قضية التقسيم الطبقى للمجتمع والأسس التى يستند إليها هذا التقسيم أولوية فى رؤى وتصورات المفكرين ذوى التوجه الاشتراكى، ويتخذ أنصار هذا التوجه من النشاط الاقتصادى معياراً وأساساً للتقسيم الطبقى فى المجتمع، لذلك استحوذت العلاقة بين التقسيم الطبقى والتكوين الإثنى واللونى على اهتمام رودنى، وكان اهتمامه بدراسة تلك العلاقة كأحد أبعاد دراسة طبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، محاولاً التأكيد على استخدام الغرب لهذه الاختلافات الإثنية واللونية وتوضيح الهدف من ذلك، وكيف كان لهذه التعددية تأثيرها على التقسيم الطبقى داخل المجتمع[1].

(١) تقسيم المجتمع على أساس اللون يعتبر نمطاً مميزاً من التعددية، وهناك نوعان من التعددية :

- **التعددية الثقافية: حيث توجد عدة ثقافات داخل مجتمع واحد، أو عدد من الثقافات الفرعية المنبثقة عن ثقافة واحدة داخل المجتمع الواحد.**
- **التعددية الاجتماعية**: أى وجود جماعات إثنية مختلفة لكل منها مؤسسات خاصة بها داخل المجتمع، ويشترك بعض هذه المؤسسات فى الهيكل والتشكيل مع مؤسسات أخرى، لكن الاختلاف يكون فى الهدف والوظيفة .

حدد فان دن بيرغ سمات سبع ترتبط بمفهوم التعددية وهى: الغياب النسبى للإجماع على القيم، الوجود النسبى للصراعات بين الجماعات، الاستقلال النسبى بين أجزاء النظام الاجتماعى، الأهمية النسبية للإكراه والتداخل الاقتصادى كأساسين للاندماج الاجتماعى، السيطرة النسبية لجماعة على الجماعات الأخرى، غلبة الطابع الفئوى والنفعية والوظيفية على العلاقات بين الجماعات . انظر:

- إبراهيم أحمد عبد المنعم نصر الدين: **حركات التحرر الأفريقي فى مواجهة النظام السياسي لجنوب أفريقيا**، رسالة دكتوراه (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٢.

وحتى يتسنى لرودنى دراسة هذه العلاقة اعتمد على ما أطلق عليه «نظرية النشوء التاريخى للطبقة العاملة»، والتى تعتمد على تتبع تاريخى للطبقة العاملة وتطورها، أو ما يطلق عليه Creolization، وهو الطريقة التى استخدمها فى الدراسة التطبيقية للعديد من الدول، ويؤكد على أن فهم النشوء التاريخى سيوضح لنا كيف حدثت العنصرية والانشقاق بين الطبقة العاملة[1]. وسيتم تناول ذلك فى :

المطلب الأول: العلاقة بين التكوينات الإثنية والهيكل الطبقى.

المطلب الثانى: دلالات وآثار ونتائج التقسيم الطبقى على الواقع الاجتماعى.

المطلب الأول: العلاقة بين التكوينات الإثنية والهيكل الطبقى

قام رودنى بالعديد من الدراسات حول المجتمعات الأفريقية والكاريبية للوقوف على هيكل الطبقات الموجود بها، وعلاقته بالتكوين اللونى والإثنى فى هذه المجتمعات، وكان اهتمامه منصباً على دراسة موقع الجماعة السوداء فى الهيكل الاجتماعى فى هذه المجتمعات، كما حاول أيضاً تحليل إمكانية الحراك الاجتماعى فى هذه المجتمعات والوحدة بين أعضاء الطبقة العاملة لتكوين طبقة عاملة على درجة من الوعى تستطيع قيادة الصراع الاجتماعى الذى يكون مسئولاً عن التطور الاجتماعى والطبقى فى هذه المجتمعات، وما هو أثر الخبرة التاريخية على ذلك التقسيم الطبقى. فعند حديثه عن الوضع فى جويانا يقول: «لقد كان أكثر من حزب سياسي هم المسؤولون عن أزمة العلاقات الإثنية فى هذه الدولة، وأظن أن قيادتنا هى من أوقعتنا فى تلك المحنة، وأرى أن التدخل الخارجى كان له دوره فى وضع تلك الإثنيات فى مواجهة بعضها البعض منذ الخمسينيات والسنوات الأولى من

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.119 & 120.
& Walter Rodney: **A History of the Guyanese Working People, 1881-1905** (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1981), pp.174-176.

الستينيات، ولكننى أهتم بالموقف الحاضر، فقد قمنا بذلك الخطأ مرة سابقة، وأعتقد أننا غير مهيئين لأن نقوم بذلك الخطأ مرة أخرى، ولن يقبل الهندوجويانى أو الأفروجويانى العادى أن يتم السقوط فى خطأ أسطورة الإثنية، ولن نفعل ذلك الخطأ مرة أخرى»[1]، والقاسم المشترك بين الرؤى التى قدمها حول هذه المجتمعات هو تقسيمه المجتمع إلى ثلاث طبقات، ومحاولته الدائمة إيجاد الأسس الإثنية واللونية لهذه الطبقات، وهذه الطبقات هى:

أولاً: الطبقة العليا:

هى الطبقة أو المجموعة التى تأتى على سدة الحكم، وأساس هذه الطبقة عند رودنى هو المجموعة التى ورثت السلطة بعد نهاية الفترة الاستعمارية، ويؤكد على أن تلك الفئة تعلى من القيم الغربية، وهى تتبع الرأسمالية، فقد نشأت على القيم والثقافة الغربية الرأسمالية، واستطاعت الأخيرة أن تجعل المصلحة الفردية هى الأكثر أهمية عند هذه الفئة من المصلحة الجماعية[٢]، ويطلق رودنى على هذه الفئة «البرجوازية الصغيرة» وهم «سود البشرة ذو قلوب بيضاء»[٣]، وأشار إليهم فى بعض المجتمعات على أنهم: «الرجال الذين يخدمون مصالح الأجنبى والنظام الرأسمالى العالمى الأبيض، وهم فى موطنهم يدعمون النظام الاجتماعى الذى يؤكد على أن الإنسان الأسود لابد أن يظل قابعاً فى قاع السلم الاجتماعى»[٤]، ولم يتناول رودنى أساساً إثنياً أو لونياً أو نشاطاً اقتصادياً بعينه لهذه الفئة، ولكنها فئة وصلت إلى الحكم دون النظر إلى كونها من السود أو الملونين أو البيض فى بعض الحالات، وتسود منظومة القيم الغربية فى تلك المجموعة، ولذا يؤكد رودنى على أنه لا

---

(1) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.6.

(٢) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣٢٨-٣٤٠.

(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.34.

(4) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.165.

يستطيع إنسان أسود أن يرى أسوداً آخر سوى من خلال الإنسان الأبيض، بمعنى سيطرة المنظور الأبيض للأمور على عقلية وتوجه هذه الفئات[١]، وقد تم إعداد تلك الطبقة من قِبل الرأسمالية من خلال عدة أدوات استعمارية، وكان الهدف هو أن تظل تلك الطبقة فى خدمة مصالح الغرب، وأن تظل العلاقة الاستغلالية قائمة، ويصبح الاستقلال شكلياً، ولذا كان يجب أن تمنع ظهور طبقات البروليتاريا الوطنية، وإغلاق سُبل التعبير الاجتماعى والمشاركة السياسية[٢].

وقد قدم رودنى بعض الأسس والأسانيد التى تحاول هذه الفئة الارتكان إليها فى تبرير حكمها ووجودها على سدة الحكم، ووصف هذه الأسانيد بأنها عادة ما تكون أسطورية، ولا تستند إلى أسس مقبولة، فقد رفعت هذه الفئات العديد من الشعارات التى تقول: «إننا مجتمع متعدد إثنياً، لكننا مجتمع واحد» كما كان الحال فى جاميكا، أو الاستناد إلى توجه أيديولوجى واستغلال التنافس الأيديولوجى العالمى مثل عيدى أمين فى أوغندا، ومانجستو فى إثيوبيا، وكذلك سياد برى وموبوتو، وفى بعض الحالات كانت تحاول تعبئة الشعب خلف نماذج وطنية جاعلة منهم أبطالاً وطنيين، كما حاول بعض المجتمعات الأخرى أن يلصق بالحاكم سمات الشخصيات الكاريزمية أو صفات وطنية مع أن ذلك الحاكم كان له نمط الديكتاتور فى العديد من المجتمعات[٣].

ويؤكد رودنى على افتقاد العديد من هذه النظم لشرعية الوصول للسلطة، وكذلك شرعية الاستمرار فى الحكم[٤]، بينما يرتبط استمرارها بسيطرتها على أدوات القهر كالجيش والبوليس، وكذلك استمرار الدعم الغربى لها، وتؤدى سياساتها

---

(1) **Ibid,** p.34 & 35.
(2) **Ibid,** p.12.
(3) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.14 & 15. **&** - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.12.
(4) Clive Thomas: **op.cit.,** p.6.

الاقتصادية عادة إلى اتساع الفجوة بين من يملكون ومن لا يملكون؛ لأن سياستها لا تخدم المواطنين والعمال، بل يكون الهدف منها هو خدمة مصالح فئة بعينها، ويؤكد على زيف شعارات التنمية أو الاشتراكية التى ترفعها تلك الفئة، فهى فقط شعارات لا تحتوى على محاولات العدل الاجتماعى أو المساواة، فهى اشتراكية زائفة لا تحتوى على السياسات الاشتراكية سوى فى محاولات التأميم والتى عادة ما تكون فاسدة لا تهدف لخدمة عامة الشعب[١].

وقد كان لبعض تلك البرجوازيات دور فى حركات التحرير حسب تصور رودنى، وبعد الحصول على الاستقلال سعت إلى تحقيق مصالحها الخاصة، بمعنى أنها غلبت القيم الفردية على حساب القيم الجماعية، ويؤكد: «كان بروز مفهوم الفردية من أخطر النتائج التى سببت آثاراً تدميرية فى المجتمع الأفريقي...لأنه يمكن القول بأنه فى المجتمعات الغربية قد أدى بروز الطبقة البرجوازية إلى إفادة الطبقة العاملة بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال التطور التكنولوجى الذى حدث، وتقدم وارتفاع مستويات المعيشة، ولكن فى أفريقيا لم تسمح أوروبا بحدوث مثل تلك الفوائد، فقد كانت تهدف إلى تكثيف معدلات استغلال الطبقة العاملة الأفريقية، وأن تقوم بتصدير الفائض»[٢]، بل يؤكد على أنها استخدمت تيارات فكرية كالزنوجة والوحدة الأفريقية فى إعلانها عن تكوين هيئات ومؤسسات يصفها رودنى بأنها مؤسسات «عقيمة» أو «معتلة» أدت إلى زيادة التعصب السياسي بين الإثنيات، ولم تكن هذه المؤسسات قادرة على مواجهة الرأسمالية والإمبريالية[٣].

ولم تكن البرجوازية الصغيرة بالفئة الملتزمة أو المتعهدة بالتغيير والتطوير، وبدأت

(1) **Idem.** & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.60.
(2) Immanuel Wallerstein: **op.cit.,** p.333.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

فى توسيع سيطرتها الاقتصادية فى مقابل تنازلها عن العديد من الاختصاصات السياسية لصالح أطراف خارجية، لذا: «فهى طبقة حاكمة لها مصالح وأهداف تختلف عن تلك التى للمواطنين والعمال، ولم يكن لهذه البرجوازية قوى تقدمية، ولم تحاول الوصول إلى المساواة والعدل الاجتماعى فى أفريقيا والكاريبي»[١]، بل حاولت هذه الفئات أن تستخدم الانقسامات التى بين الشعب لتخليد بقائها فى السلطة، إذ يقول رودنى: «النظام لا يتوقف عن التمييز الإثنى، فهو نظام قهرى طبقى، هو فقط يقوم بالخداع عندما يضع هذه الطبقات تحت التقسيم الإثنى، وفى النهاية سوف يتحرك ضد أى لون حتى لو كان اللون الذى ينتمى إليه...لأنه عندما ينمو ذاك المَسَخ لن تصبح هناك قدرة للتحكم فيه، لأنه سوف يلتهم حتى من كانوا مسؤولين عن تكوينه»[٢].

وبسبب أن هذه الفئة لم تنشأ على أساس طبقى أو نشاط اقتصادى فإنها ستظل تدافع عن مصالح فئة محدودة هى الحكام والتابعون لهم، لذلك تنبأ رودنى بتحول هذا الفئة إلى نمط الحكم الديكتاتورى فى الغالب؛ لأنها ستسىء استخدام الاقتصاد الوطنى وأدوات تشكيل الوعى (الصحافة–التليفزيون–المؤسسات التعليمية....)، وعلى إثر ذلك سيغلب الطابع المسلح على المجتمع، إلى جانب افتقاد الفئة الحاكمة الثقة فى كل ما هو غير أبيض. ومع استمرار سيطرة وتسلط حزب الأقلية الحاكمة على أدوات وهيئات ومنظمات الدولة فإن ذلك سيؤدى إلى اختفاء الحدود بين ما هو عام وما هو خاص[٣]، وستصبح الدولة منطقة نفوذ للديكتاتور، ولذا يؤكد رودنى: «أن الشعب الأبيض سوف ينتج شعباً أسوداً يدير ويخلد النظام الاستعمارى، ويخلد القيم البيضاء»[٤]، ويؤكد أيضاً: «أن السود والهنود الذين استغلوا سوداً وهنوداً

([1]) Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress......, **op.cit.,** p.732 &733.
([2]) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.3.
([3]) Clive Thomas: **op.cit.,** p.10.
([4]) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.32.
& - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66.

آخرين لم يظُهروا القيم والمبادئ التى لهم، ولا يستطيعون أن يفعلوا ذلك بسبب مصالحهم الفردية، لكن يحدث ذلك الاستغلال بسبب خداع البيض لهم حتى يتصرفوا ضد مصالحهم الخاصة أو ضد أبناء جنسهم»[١]، وتصبح النتيجة التى توصل إليها: «أن قيادة الطبقة البرجوازية الأفريقية الصغيرة منذ الاستقلال قد شكلت عائقاً أمام نمو الثورة الأفريقية، وتوضيح ذلك يكون من خلال نهج طليعة حركة الجامعة الأفريقية (التى برزت من المؤتمر الخامس) التى فقدت اتجاهها، وانغمست فى الاتجاهات النظرية والممارسات البرجوازية»[٢].

ثانياً: الطبقة الوسطى وتكوينها الإثنى:

لم يُبد رودنى اهتماماً بدراسة الطبقة الوسطى يعادل اهتمامه بالطبقتين العليا والدنيا، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء التوجه الاشتراكى الذى يتبناه، وكذلك تحت تأثير طبيعة المجتمعات التى عاش فيها والتى عادة ما انقسمت إلى طبقتين إحداهما تحكم والأخرى هى الطبقة المقهورة المحكومة، وبسبب اهتمامه بالأسس والأصول الإثنية واللونية وعلاقتها بالتقسيم الطبقى حدد رودنى العديد من الجماعات التى يمكن أن تشكل أساس الطبقة الوسطى، ومن أهمها الفئات الملونة Brown التى لا تصل للقهر الذى يتعرض له الأفريقى، وفى ذات الوقت لا تصل هذه الجماعات لرفاهية الطبقة الحاكمة، وتضم هذه الطبقة أحياناً بعض الجماعات السوداء الذين وضُعوا ليشكلوا خروجاً عن الجماعات السوداء، فعندما ترتبط فئة بهذه الطبقة المسيطرة لا يكون هناك اهتمام باللون، ولكن تصبح فقط مستغلة للسود، ولا يصبح أعضاء هذه الفئات من بين أعضاء الطبقة المسيطرة كطبقة، لكنهم انضموا لـ«هيكل القوة البيضاء» بمفاهيم النشاط الاقتصادى والثقافى، وباتباعهم لقيم بيضاء، بل

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.115.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress......., **op.cit.,** p.735.

وبتلك السياسات يخلدون كل ما هو أبيض ويتبعونه[١]، وقد ارتفعت نسبة هؤلاء السود فى سبعينيات القرن العشرين، فهم ملاك المشروعات والاستثمارات الصغيرة التى ظهرت بعد الاستقلال[٢].

وقد أطلق رودنى على هذه الفئة ومن نتج عنها «المهاجرين» Immigrants وأحياناً الخلاسيين أو المخلطين Mullattos وذلك تمييزاً لها عن السود ومن انحدر منهم«الكريول» Creole، حيث يقول رودنى عنهم: «هم خدام الإمبريالية والرأسمالية، ويتسم الإنسان الملون بالغموض والتناقض، وقد سقطت أغلبيتهم فى فخ الإمبريالية البيضاء، بل وتفوق بعضهم على البيض فى كره واستغلال وقهر السود فى بعض الأحيان، فهم لا يقبلون أن يُصنفوا كسود، ولكنهم يريدون أن يصنفوا كبيض»[٣]، ويعول رودنى على الفئات التى فى الطبقة فى استخدامها كأداة وكعقبة فى منع الوحدة الطبقية بين الطبقة العاملة، لذا ففى الكتابات الأولى لرودنى لا يصنف هذه الفئات كطبقات عاملة؛ لأن الأخيرة كانت تساوى الطبقة السوداء المقهورة فقط مستبعداً البيض والملونين من هذه الطبقة، ويؤكد على أن الملونين وسيط غير حيادى بين الأفارقة والطبقة الحاكمة[٤].

وقد حدث تحول فى الرؤى والتصورات التى قدمها رودنى فى الكتابات الأخيرة التى أنتجها، إذ اختفت الطبقة الوسطى من رؤيته حول التقسيم الطبقى لصالح الحديث عن طبقة واحدة عمالية تضم ما هو غير أبيض بجميع الفئات، وتراجعت معايير الإثنية واللونية التى كانت السبب فى استبعاده لفئات من الطبقة العاملة[٥]

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.115.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.12.
(3) **Ibid,** p.29.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.125 & 126. & - Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People, 1881-1905, **op.cit.,** p.179 & 180.
(5) Compare between :
-Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** pp.174-190. **&**
-Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.24-34.

ليصبح التقسيم الطبقى عنده بين طبقة تحكم وطبقة أخرى تُحكم، ولونياً بين الأبيض (الأبيض وذوى القلوب البيضاء) فى مقابل الأسود، والأخير عند رودنى يصبح «الأسود= غير الأبيض= من لا قوة له» [١]، ولذا يقول: «خضع الهنود ليصبحوا رقاً جديداً...ويمكننا الآن أن نتحدث إلى الجماهير السوداء سواء من الأفارقة أو الهنود، فعندما أتى الهنود إلى غرب الإنديز لاقوا ذات الازدراء الإثنى من البيض مثل الأفارقة...وهناك بعض الخوف من أن القوة السوداء ستكون ضد الهنود، ولكن ذلك ستناقضه أفكار واضحة بسبب عاملى الخبرة التاريخية والمشهد السياسي الواقعى» [٢].

ويمكن القول بأن التحول الذى حدث فى رؤى وتصورات رودنى أبعده عن تيار الماركسيين الجدد فى التقسيم الطبقى لصالح العودة للأخذ بالاشتراكية الماركسية، فقد أكد على أنه من الأهمية رفع مستوى الوعى الطبقى للوصول للوحدة الطبقية بين العمال لمواجهة الطبقة الحاكمة وخدام الرأسمالية العالمية من الأفارقة والهنود لصالح طبقة عاملة واحدة [٣].

ثالثاً: الطبقة الدنيا وتكوينها الإثنى:

من أكثر الطبقات التى اهتم رودنى بدراستها وتحليل الأسس الإثنية التى تقوم عليها، حيث يرى أنها الطبقة التى جاء تكوينها فى فترة تجارة الرقيق فى الكاريبي، ومن العمال الذين أتوا بعقود للعمل بعد نهاية فترة الرق، وهى الطبقة التى لاقت أسوأ الخبرات العنصرية فى أفريقيا وخارجها، والتى سببت لها الممارسات الاستعمارية بالغ الضرر، ويؤكد رودنى على الآثار السيئة للفترة العنصرية ومن بعدها ممارسات البرجوازية الصغيرة على وحدة تلك الطبقة [٤].

وفى الكتابات الأولى لرودنى كانت الطبقة الدنيا هى الطبقة العمالية ذات

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.26-28.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.126 & 127.
(4) **Ibid,** p.119.

الأصول الأفريقية الخالصة- كما سبقت الإشارة – ومن نتج عن تلك الفئة الأفريقية، وهذا هو المفهوم الذى كان سائداً فى الفترة الاستعمارية ليسهل التحكم فى الدول الصغيرة[١]، لذلك رفض فى هذه المرحلة العناصر والإثنيات المختلفة التى أتت بعقود من شرق آسيا للعمل فى أفريقيا والكاريبي أن تصُنف داخل هذه الطبقة، مؤكداً على أن الانتماء اللونى هو الأساس فى التقسيم الطبقى، ويربو فى أهميته على عناصر كالنشاط الاقتصادى، والدين، واللغة، والثقافة، والموطن....الخ[٢]. ومع أن البرجوازية الصغيرة ومن ينتمى إليها هم من السود، لكن تشبعها بالقيم الرأسمالية واتباعها لسياسات الرأسمالية العالمية جعل رودنى يخلع عنها الصفة اللونية[٣]، ولكن حدث تعديل فى رؤى رودنى فى مرحلة متقدمة.

وفى مراحل متقدمة من كتابات رودنى، وبسبب تراجع الاستعمار بشكله التقليدى، والحاجة لطبقة موحدة تقود حركة الصراع الطبقى لتطوير المجتمعات، وتعرض الملونين لذات الخبرات العنصرية وسوء الحالة الاقتصادية تراجع عن الاهتمام بالاختلافات والصراعات الإثنية لصالح أن يكون هناك تماسك طبقي بين الجماعات التى تتكون منها الطبقة العاملة، إذ يقول: «أعتقد أن هناك مستويين على الأقل نستطيع أن نتحرك عليهما حتى نتصدى لمثل تلك المنازعات الإثنية، إذ لابد أن يحدث قدر من التنظيم داخل الجماعة الأفريقية وداخل الجماعة الهندية حتى يتم الوصول إلى أشكال مختلفة من الوعى، وأنماط مختلفة من الأسس الاجتماعية، والتى ستصبح أسس الدولة الجديدة والتى سوف تصبح متزامنة، ولابد من إيجاد ميكانزمات ثورية تكاملية فعالة وذلك وفقاً للمفاهيم الأيديولوجية والتنظيمية، وكذلك وفقاً لمفاهيم الشعب، حتى يصبح للجميع إسهام فى مفاهيم الوعى الذى

([1]) **Ibid,** p.112.
([2]) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** p.186.
([3]) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66.
& - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.113.

للجماعة، ويصبح لهم إسهام فى قوة الجماعة»[١]، ولذا تراجع عن الحديث عن التنافس بين «المهاجرين» و«المنحدرين» Creoles لصالح الحديث عن طبقة عمالية واحدة، مؤكداً على أن خبرة الصراع السابقة بين المجموعتين كانت بسبب أن المجموعتين مأسورتان بالرؤية الغربية لكل منهما بما أثر على مدركات المجموعتين، وبخاصة على الأفارقة وعلى نظرتهم للملونين فى كونهم بديلاً لهم، بما سيؤثر على الوضع الاقتصادى لهم.

كذلك حاول رودنى أن يصل إلى الوحدة الطبقية بين العمال بذات الأدوات والآليات التى استخدمها الغرب فى التأثير على وحدة هذه الطبقة وهى الانقسامات اللونية والإثنية، وأكد على أن الرؤية الغربية للون هى أن كل ما هو غير أبيض هو أسود، ولا تمييز على أساس قبلى أو إثنى[٢]، ولذلك نظر إلى الأسود باعتباره كل ما هو غير أبيض[٣]، وبدأ الحديث عن إمكانية أن تقوم بعض الفئات بـ«الانتحار الطبقى» Class Suicide للجماعات الملونة، بمعنى أن يختار بعض من هذه المجموعات التى ارتبطت بالبرجوازية الصغيرة أن يرجع للوحدة والاندماج مع القوة السوداء[٤]، ويصبح الهدف هو رفع مستوى وعى هذه المجموعات بأهمية وضرورة وحدة الطبقة العاملة فى مواجهة الطبقة المسيطرة، وتوجيه إدراك هذه الفئات للمنافع من هذه الوحدة، والتأكيد على ضرورة مؤسسية هذه الوحدة الطبقية[٥].

كما أكد رودنى على أن الدول الاستعمارية نجحت فى استخدام الاختلافات اللونية والإثنية لمنع ظهور طبقة البروليتاريا الوطنية، إلى جانب أن المناخ لم يكن يسمح بظهور الطبقة البرجوازية الوطنية أو الرأسمالية الوطنية التى يمكن أن تحقق

(1) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.7.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.113.
(5) Clive Thomas: **op.cit.,** p.11.

الاستقلال الاقتصادى للدول بعد انتهاء الاستعمار، ولذلك بدأ رودنى التأكيد على أهمية اتباع عدد من الممارسات والآليات التى تهدف إلى الوحدة، وتحد من آثار الفوارق الطبقية[١]، ولذلك عمل على تقديم نماذج نظرية وعملية لهذه الآليات منها الوعى الأسود الإثنى، وأكد على أهمية حركة القوة السوداء ودورها فى توحيد القوى العاملة، وكذلك دور المؤسسات والاتحادات العمالية وضرورة سيطرة العمال عليها لتصبح مؤسسة تعبر عنهم وتسهل الوحدة بينهم[٢]، ومن الأمثلة العملية التى قدمها رودنى ائتلاف الشعب العامل WPA والذى كان يهدف إلى الوحدة بين الطبقة العاملة فى جويانا كخطوة أولى نحو وحدة الطبقة العاملة على مستوى العالم، وهذا يفسر نشاط رودنى الواسع فى هذه المؤسسة، ومحاولة ربط هذا الائتلاف بالمؤسسات الأخرى التى تتشابه معه فى الأهداف[٣]،بل وحاول أن يجعل من هذا الائتلاف المُعبر الرسمى فى البرلمان عن وجهات نظر العمال ومتطلباتهم، لذلك عمل على تحويله إلى حزب سياسي، وهذا ما تم قبل اغتياله بفترة قصيرة.

لقد آمن رودنى بأن الانتماءات الإثنية واللونية والثقافية لن تتوارى تماماً، فالأساس هو التنوع والاختلاف الذى يمكن أن يؤدى إلى صراع فى بعض الحالات، إذ: «ربما يندلع بسببها العديد من الصراعات والممارسات العنصرية، ولكن هذه الصراعات لا تحاكى فى أى من أبعادها العنصرية التى مارسها الأوروبيون على الجماعة الأفريقية والهندية»، ويفسر حدوث هذه الصراعات على أساس المكانة الإنتاجية التى يحتلها العامل فى المنظومة الإنتاجية، ولكنها ليست صراعات إثنية أو لونية بالأساس[٤].

(1) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** p.180.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.16-18.
(3) Working People Alliance, Guyana-Twenty Eight Years after Walter Rodney, **DayClean Global** (Guyana: Working People Alliance. Vol.2, No.7, June 2008), pp.1-17.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.111-113.

ويمكن القول بأن معيار التقسيم الطبقى عند رودنى لم يكن فقط النشاط الاقتصادى، كما هو الحال فى التيار الاشتراكى الكلاسيكى، ولكن يتداخل معه العديد من العوامل كالمكانة الاجتماعية التى تحتلها الجماعة الاجتماعية، والخبرة التاريخية، إلى جانب ميراث العنصرية والممارسات الاستعمارية، والتى كانت من المحددات الأساسية فى تحديد طبيعة وشكل الهيكل الطبقى فى أفريقيا والكاريبي. لم يرفض رودنى هذه المعايير، بل حاول استخدام منطقها النظرى لإيجاد سبُل وحدة الطبقة العمالية على أساس النشاط الإنتاجى مؤكداً: «يجب أن تتوحد الجماعة الاجتماعية فى أشكال منقسمة سياسياً وثقافياً واقتصادياً فى ضوء مفاهيم النظام الإنتاجى...وإن الهوية الإثنية الثقافية ليست المصلحة الجوهرية لهذه الطبقات، إنما المصلحة الأساسية تتم من خلال الهيكل الطبقى والصراع مع الطبقة الحاكمة»[١].

ومع أن رودنى قد اهتم بحركة الطبقات العمالية، وأكد أنها هى التى ستقود حركة التنمية والثورة فى المجتمع، ومع أن العديد من الرؤى والتصورات التى قدمها كان لها الطابع العالمى، لكن يظل التمييز بين الأبيض والأسود من المحددات الأساسية فى الرؤى التى يقدمها، لذلك رفض رودنى وحدة الطبقة العمالية بين ما هو أبيض وما هو أسود، إذ يقول: «بالتأكيد الاختلاف بين البروليتاريا البيضاء والبروليتاريا السوداء ذو أهمية مفاهيمية مثل الاختلاف بين الفئات الوسطى من الفلاحين والفئات الفقيرة، مع أنه اختلاف يسير، لكنه اختلاف مهم سياسياً، لذلك يجب أن يكون الاختلاف بين الطبقة العمالية البيضاء والطبقة العمالية السوداء مهم سياسياً أكثر من الاختلاف بين شرائح طبقة الفلاحين الفقيرة والوسطى والدنيا»[٢].

---

(1) **Ibid,** p.121 & 122.
(2) Walter Rodney: **History is Weapon,** Selection from Walter Rodney's Speeches, p.14 & 15,at:
http://www.historyisaweapon.com/defcon1/rodspesel2.html

المطلب الثانى: دلالات ونتائج وآثار التقسيم الطبقى على الواقع الاجتماعى

اختلفت الرؤى والتصورات التى قدمها رودنى حول التقسيم الطبقى عن أسس تقسيم الطبقات التى للتوجه الماركسى الكلاسيكى والذى كان معيار النشاط الاقتصادى هو الأساس فيه دون النظر للمعايير الأخرى، حيث يقترب رودنى فى التصورات التى قدمها من الماركسيين الجدد(1)، فمن النقاط الأساسية التى أكد عليها التوجه الماركسى ضرورة الوعى الطبقى العمالى بطبيعة التكوين والأهداف والآليات التى لهم(2). لكن رودنى يرى أن الطبقة العاملة فى أفريقيا ودول الكاريبي -والتى تقترب عنده من مفهوم السود- كانت لها خبرات تاريخية ومؤثرات استعمارية وعنصرية جعلت هناك تقارباً (يصل لدرجة التطابق فى بعض الأحيان) بين الانتماء الإثنى/ اللونى والانتماء الطبقى، ويصل من ذلك إلى نتيجة مؤداها أن الطبقات الاجتماعية التى وجدت فى هذه المناطق تفتقر لـ«الوعى الطبقى»، وإدراك أهمية تشكيل طبقة واحدة، وأن الوضع الطبقى المشوه الذى تم تكوينه فى أثناء الفترة الاستعمارية له العديد من الآثار السلبية، لعل من أهمها:

أولاً: علاقة الهيمنة المحلية والاشتراكية الزائفة:

يؤكد رودنى على أن معظم الطبقات العاملة فى دول القارة ودول الكاريبي

---

(1) Look and Compare between:
- Eric Olin Wright: **the Foundations of Neo-Marxist Class Analysis**, at:
http://www.ssc.wisc.edu/~wright/Chapter%201%20--%20 Wright%20Jan%202004.pdf
- Vol Buris: the Neo-Marxism Synthesis of Marx & Weber on Class, In Nobert Wiley (ed.): The Marx-Weber Debate (London: Sage Publications, 1987), pp.67-85.

(2) Alan Shandro, Lenin and Marx: Class Struggle, the Theory of Politics and the Politics of Theory, in Darly Gloser & David M. Walker (eds.): **Twentieth Century Marxism: Global Introduction** (London: Routlege, 2007), pp.15-28.

افتقدت إدراك أهمية وحدة تلك الطبقة، وأهمية صراعها مع الطبقة الحاكمة والتى تحل عنده محل البرجوازية فى الفكر الاشتراكى؛ لأنها المسيطرة اقتصادياً فى هذه الدول، وكان لهذا عظيم الأثر على مكانة هذه الطبقة وطبيعة تكوينها(١)، وبذلك ظلت الطبقة المقهورة الـ«Unprivileged» هى التى تتعرض للممارسات العنصرية الاستعمارية، بل حاولت الطبقات الاستعمارية والبرجوازية الصغيرة أن تستخدم فئات من العمال من الخارج Indentured فى تأجيج هذه الصراعات بين الفئات التى تتكون منها الطبقة العاملة من خلال الإعلاء من الولاءات اللونية الإثنية تجنباً لبروز ولاء ووعي طبقي عمالي يمكن أن تتوحد تحت مظلته هذه الطبقة، ولذلك لم يستطع أعضاء تلك الطبقة أن يجدوا السبل المؤسسية والمرجعيات الفكرية التى يمكن أن تشكل أساساً لنشاط طبقة عاملة وطنية تقود الصراع وحركة التغيير والتطوير فى هذه المجتمعات(٢).

كما يؤكد رودنى على أن سياسة «فرق تسد» التى طُبقت من القوى الاستعمارية هى جزء من التناقض العالمى بين البروليتاريا والبرجوازية، وكان هدف رأس المال هو خلق الانقسامات داخل الطبقة العاملة محلياً، وبذلك يحقق المصلحة الخاصة به وهى الحفاظ على نمو رأس المال دون أى شيء آخر(٣). وقد حافظت البرجوازية الصغيرة على ذات الاستراتيجيات حتى تضمن تحقيق التراكم الرأسمالى والبقاء فى السلطة، لذا «فقد صمم هؤلاء الأشخاص السياسات والقرارات التى تخدم رفاهيتهم الخاصة...وتم تقليص السياسات لتصبح هى أداة وفن التلاعب»(٤).

كذلك يقدم رودنى أمثلة تطبيقية على تطابق المصالح بين البرجوازية الصغيرة

(1) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** pp.14-16. & - Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People, 1881-1905, **op.cit.,** pp.174-180.
(2) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.65 & 66.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52.
(4) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66.

والرأسمالية العالمية، وتدخل الأخيرة فى الحفاظ على هيمنة الأولى، فمثلاً حالة النظام السياسى فى جويانا وكيف تدخلت بريطانيا للحيلولة دون استمرار الحزب التقدمى الشعبى PPP فى السلطة بعد أن فاز بانتخابات عام ١٩٥٣، كما عملت على اعتلاء فوربيس بورنهام السلطة والاستمرار فيها حتى عام ١٩٨٥ من خلال التعديل فى النظام الانتخابي[١]، وكان هذا هو الحال مع عيدى أمين فى أوغندا، ومانجستو فى إثيوبيا، وسياد برى فى الصومال، وموبوتو سيسيكو فى الكونغو الديمقراطية، وحالة شيرارShearer فى جاميكا، لذا فإن الهيمنة والسيطرة المحلية لنخبة بعينها هى انعكاس للهيمنة والسيطرة العالمية للرأسمالية، وتهدف لذات الأهداف من استمرار أقلية (من الدول ومن الفئات الحاكمة) فى السلطة وموطن القوة لخدمة مصالحها الخاصة.

ويؤكد رودنى على أن البرجوازيات الصغيرة قد أيقنت أن من يحاول منها الخروج عن النهج الغربى سيفقد مكانه والدعم الخارجى له، بل ويمكن أن يواجه بحروب داخلية، لذلك أبدى تقديره للنظام السياسي فى تنزانيا وخروجه عن النماذج الرأسمالية واتباعه للأوجاما، وكذلك النظام السياسي فى كوبا وتحديه للرأسمالية العالمية، وفى ذات النطاق يرفض رودنى السياسات الزائفة التى يتبعها بعض النظم ويطلق عليها الاشتراكية، ويرى أن الحكومات ترفع رايات دون أن تهتم بالقضايا الشعبية أو أن تسعى لرفع مستوى الوعى الطبقى، ويؤكد على أن تلك الاشتراكية الزائفة هى أشد خطراً من وجود حزب فى السلطة يطبق سياسات ضد مصلحة الطبقة العاملة؛ لأن هذه الاشتراكية ستؤدى إلى حالة من الغوغائية فى حركة الجماهير والعمال، مما سيفضى إلى بقاء الطبقة الحاكمة فى السلطة، بل وستتجه فى الكثير من الحالات إلى الممارسات الديكتاتورية[٢].

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.122.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** pp.5-7.

ثانياً: إجهاض تكوين الطبقات الوطنية لمنع الثورة الاجتماعية:

حتى تصل الطبقة العاملة إلى الثورة الاجتماعية لابد لها أن تكون على درجة من التجانس فى التكوين والهيكل المؤسسى والمطالب، وكذلك فى إدراكها لأدوات الصراع الطبقى[1]، وهذا ما شهد العديد من أوجه التعثر بسبب سياسات البرجوازية الصغيرة محلياً والرأسمالية دولياً واللتين منعتا رفع مستوى وعى الطبقات العمالية من خلال سيطرتهما على أدوات تشكيل الوعى وبخاصة المؤسسات التعليمية، وكذلك رفضهما لتطور الهيكل المؤسسى لهذه الطبقة، فقد كان الرفض الدائم لظهور منظمة أو حزب أو مؤسسة لها توجه يسارى لخدمة الطبقة العاملة؛ لأن ذلك يعتبر تهديداً لاستقرار الطبقة الحاكمة، ويقدم موقف الحكومة فى جاميكا وجويانا من رودنى وسياساته دليلاً على ذلك[2]، ولذلك لم تنشأ الطبقات الوطنية، وبدأت بعض البرجوازيات الحاكمة تسُخر بعضاً من المفكرين لتقديم تبريرات لسياساتها، ولنشر أن التهديد الأكبر للشعب يأتى من الماركسية التى ستجردهم من ثرواتهم[3]؛ لضمان سيطرتها واستمرار النماذج التنموية التى تتبعها.

ويؤكد رودنى على أن الرأسمالية ومن بعدها البرجوازية الصغيرة اتبعتا العديد من السياسات التى تحول دون التكوينات الطبقية الوطنية، كان من أهمها السيطرة على الاقتصادات الوطنية، والسماح باستغلالها من الشركات والاستثمارات الأجنبية، وجميعها يهدف أن تظل الطبقة العاملة قيد الاستغلال[4].

وكما سبقت الإشارة انطلق رودنى من معيار أن كل ما هو غير أبيض هو أسود حسب ما يؤمن به الغرب، ومن هنا حاول أن يصل إلى ما يسمى بـ«الزنوج

---

(1) Alan Shandro: **op.cit.**, pp.18-24.
(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.**, p.53.
(3) **Idem**.
(4) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.**, pp.178-180. &

- وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٢٥٣، ٢٦١، ٢٨٥-٢٩٠

المتكاملين» والذى يهدف إلى: «حياة متعددة الإثنيات، لكنها متماسكة ومتجانسة، لا يستطيع أى شخص أن يعترض عليها فكرياً، وهذا ما نكافح من أجله»، مؤكداً على أحد الشعارات التى رفُعت: «تذكروا اللون الأسود والانشقاق الذى بيننا»، ولهذا كانت الدعوة إلى «ضرورة اندلاع الثورة والنشاط الدائم من الشعب الأسود الذي أدرك أن النظام لا يملك له سوى القمع والاستغلال»[١].

ويعول رودنى كثيراً على دور المثقفين والمفكرين فى القيام بمجهودات من شأنها رفع مستوى وعى الإثنيات والجماعات الملونة التى تتكون منها الطبقة العاملة، مؤكداً على ضرورة الاتصال بالعمال والوصول إليهم فى الأماكن التى يعيشون فيها، إذ قال: «كانت الجلسات مع إخوتى السود أحد أهم الخبرات التى لى... يجب أن يرتبط الأكاديميون السود بعمل ونشاط الجماهير السوداء... سوف أتحدث كلما أمكن ذلك فى أى مكان نصبح فيه مع بعضنا البعض، فى النوادى الرياضية، فى المدارس، فى الكنائس، فى الحارات التى يلجأ إليها الإنسان الأفريقي، وستكون مضطراً للذهاب إلى هناك إذا كنت تريد الحديث معنا»[٢].

وعن الدور الجماهيرى يؤكد رودنى على استخدام الأدوات السلمية فى البداية وبخاصة استخدام الجماهير أصواتها التى فازوا بها بعد سنوات من الكفاح ليكون التصويت لصالح السياسيين الذين يأملون فى أن يكونوا أكثر استجابة لمطالبهم، ويؤكد على أنه سيقُابل بالرفض من البرجوازية، ولكن يجب أن يتم ذلك بتنظيم المطالب وتنظيم الطبقة العاملة[٣]، ولذا كان ائتلاف الشعب العامل والرغبة فى تحويله إلى حزب سياسي كمثال عملى على قوة وحدة الطبقة العاملة، والسعى نحو الوصول للسلطة بصورة سلمية فى أولى خطوات الكفاح، وإن لم تتحقق مطالب هذه الفئة العمالية بالصور السلمية يكون اللجوء للعنف الذى سيصبح فى هذه الحالة

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16 & 61.
(2) **Ibid,** p.63 & 64.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.

مشروعاً[١]، ولذا يؤكد على: «القوة السوداء فى مواجهة القوة البيضاء، لابد للسود من قوة تتناسب مع عددهم عالمياً، وكذلك على المستوى المحلى... لابد للشعب الأسود أن يجاهر بالمطالبة بحقه، فالهدف عندهم أن يضعونا فى موقف الدفاع ونصبح صامتين، كيف يمكن أن تصبح مقهوراً وصامتاً؟... لابد للسود من أن يبدأوا فى الطابع الهجومى، وإن كان لأحد أن يخجل فليكن الأبيض، هل قام السود بحرق ستة ملايين يهودى؟، من الذى أباد الملايين من سكان أمريكا وأستراليا؟، من الذى استعبد ملايين ليس لها عدد من الأفارقة؟، لقد تعدى البيض آكلى لحوم البشر بالنسبة للقوة السوداء على مستوى العالم»[٢]، والهدف النهائى لرودنى هو الوصول لثورة عالمية يقوم بها ما هو غير أبيض ضد ما هو أبيض على المستوى العالمى[٣].

ثالثاً: الوقوف أمام الحراك الاجتماعى والمشاركة السياسية:

يؤثر عدم المساواة الذى يعانى منه بعض الفئات فى جيل بعينه على الأجيال القادمة، وموقع هذه المجموعات فى الهيكل الاجتماعى فى المستقبل، لذلك فإن حصول فئة أو طبقة اجتماعية على موقع اجتماعى أو موارد بعينها أو مواطن قوة فى المجتمع سيكون له تأثيره على الأجيال القادمة، لذا تظل الفئات التى تحصل على ميزة معينة والأجيال القادمة منها لها تقريباً ذات السمات والمزايا فى المجتمعات التى ليس بها حراك اجتماعي وتكافؤ للفرص، إن لم يحدث تغيير ثورى فى المجتمع يعدل من هذه الترتيبات[٤]، وهذا ما حدث فى أفريقيا ودول الكاريبى، فقد أفضى التقسيم السابق الإشارة إليه إلى صعوبة الحراك الاجتماعى، وأصبح الأخير يحدث فقط عن طريق العلاقات مع البرجوازية الصغيرة وبسماحها لفئات بعينها، مما أثر فى استمرار

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 25.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.
(4) Wendy Bottero: **Stratification: Social Division and Inequality** (London: Routledge, 2005), pp.3-5 & 14-16.

التحيز ضد فئات بعينها، واستمرار العنصرية بأشكال مختلفة ومستمرة[١].

لقد أنتجت تلك الطبقات البرجوازية –وبدعم من الرأسمالية العالمية– اقترابات قسرية تهدف إلى التحكم السياسي فى الدول فى الفترة التالية للاستقلال، وكانت أولى خطوات هذه الاقترابات أن يتم تحويل اهتمام الجماهير إلى صراع إثنى بينى يؤدى إلى إضعاف الحلول الديمقراطية كالمشاركة السياسية، وإمكانية الحراك الاجتماعى وتداول السلطة، ولذلك كان الاختلاف فى توزيع الثروة، ونسب التمثيل السياسي غير المتكافئة بين الجماعات التى يتكون منها المجتمع متعمداً، مما أدى إلى سيطرة فئة على السلطة، وعدم الحراك أو تقدم أية مجموعة إلى تلك السلطة بما يعنى إغلاق سبل الحراك الاجتماعى[٢].

ويؤدى تراجع المشاركة السياسية، وصعوبة الحراك الاجتماعى أو تداول السلطة إلى وصول الدول إلى سيطرة الديكتاتورية على نظام الحكم؛ فمن خلال سيطرة هذه البرجوازية على الحياة السياسية واقتصادات الدول ومؤسساتها وهياكلها، وصعوبة الحراك الاجتماعى والمشاركة السياسية ستتولد حالة من الركود بما يفتح المجال للممارسات الديكتاتورية[٣]، ويصبح الحاكم فى تلك المجتمعات: «ليس مسؤولاً أمام أي من الأشخاص أو المنظمات أو الهيئات الاجتماعية، بل يعطى انطباعاً بأنه يملك كل شيء، وكل شخص وكل منظمة فى قبضة يده... ويعتقد أنه يفعل الخير والراحة والنفع للشعب... وتختفى الحقوق المدنية تحت الحكم الديكتاتورى، ويصبح الديكتاتور ممثلاً لطبقة معينة أكثر من كونه ممثلاً لأغلبية المواطنين والعمال المقهورين... ولا يوجد مجال للتعبير، ولا يلتزم الديكتاتور بأية قوانين، ولا أية قواعد»[٤].

(١) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.52.
& - Trevor Campbell A.: **op.cit.**, p.53.
(٢) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.**, p.67. & - Perry Mars, **op.cit.**, p.357.
(٣) Clive Thomas: **op.cit.**, p.10.
(٤) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.**, p.65 & 66.

وقد قدم رودنى تصوراً فكرياً يدعم من خلاله حركة الجماهير المقهورة التى تعرضت للخبرات العنصرية، ويسهل المشاركة السياسية وإمكانية الحراك الاجتماعى داخل المجتمعات، ويبدأ هذا التصور من التطور الاقتصادى وظهور أنشطة اقتصادية على درجة من التطور تفى باحتياجات الجماهير العريضة داخل الدول، وليس لخدمة البرجوازية أو استجابة لمطالب السوق الرأسمالى العالمى، ويقصد رودنى بالجماهير هنا الفئات التى ليست لها قوة نابعة من دين أو عمل أو تفوق طبقى أو إثنى، ويؤكد على أن الاحتياجات الأساسية التى سيتم الوفاء بها هى توفير الغذاء والمسكن والكساء، إلى جانب الاحتياجات العامة من تعليم وصحة وخدمات مائية وطرق....إلخ، مما سيؤدى إلى خلق طبقة عمالية على درجة من الوعى تبدأ عند ذاك بالمطالبة بحقها فى عمل اختيارى، ورفض الإجبار فى العمل، وعندها تنشأ شبكة من العلاقات على أساس الصناعة والعمل بالمصانع تصل إلى المطالبة بضمانات لحقوقها فى العمل، وينتهى ذلك بإمكانية الاعتماد على الذات، ومن ثم تُجبر الطبقة الحاكمة على دمقرطة السلطة والمشاركة فى صنع القرار، وتبدأ الفئات العمالية فى ممارسة حقها فى التعبير وتشكيل الأحزاب لتصل فى النهاية إلى توزيع عادل للثروة والدخل وموارد الدولة، وإلى المعرفة ومدخل إلى المعلومات فى الدول، ويصل الفرد إلى التعبير عن رأيه وإمكانياته، ويسعى إلى تنمية ذاته[1].

رابعاً : الهيمنة والسيطرة المحلية هى انعكاس للهيمنة العالمية :

يرى رودنى أن التقسيم الطبقى فى الدول الأفريقية الذى قدمه هو انعكاس لتقسيم عالمى بين دول مسيُطرة ومسُتغلة هى الدول الرأسمالية التى تسيطر على الاقتصاد العالمى وعلى المؤسسات المالية العالمية، وتسيطر بقوتها على النظام العالمى، ويخص بالذكر الولايات المتحدة التى ورثت بريطانيا فى التوسع الإمبراطورى لها،

---

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.9 &10.

وهذه تناظر البرجوازية الصغيرة على المستوى المحلى، وعلى الجانب الآخر هناك الدول التى تُستغَل وتُقهر، فهناك دول تضع السياسات ودول عليها أن تتبع تلك السياسات، إذ يقول: «كنا نحن (السود) من أكثر القطاعات قهراً فى المجتمع، لأننا نتاج مجتمع الرق، ومازالت تركة الرق على كاهل الإنسان الأسود»[١]، فالتقسيم العالمى بين الأبيض والأسود هو المسئول عن هذه التركة الاجتماعية داخل المجتمعات المحلية، لذا يقول: «منذ البداية كان المجتمع الأبيض يحدد من هو أبيض ومن هو أسود...وإن لم يكن الإنسان أبيض فهو أسود، دون النظر لكونك أسوداً أم لا، لكن الشعب الأبيض هو من يقرر، أو بمعنى آخر القوة البيضاء»[٢].

ويؤكد رودنى على أن تصنيف الدولة على أنها سوداء أو مخالفة للرأسمالية العالمية سيصبح هو المعيار والمحدد الأهم فى قوتها ووجودها، وفرصها على الساحة الدولية، وفرصها التنموية فى المستقبل، وكذلك الحال على المستوى المحلى، فعندما يصنف الفرد على كونه أسوداً تصبح هى الصفة الأهم فى تحديد فرصه المستقبلية، إذ يقول: «عندما يقول الأبيض عن فرد أنه أسود تصبح هى الصفة الأكثر أهمية من أى شىء آخر...مع أن الإنسان الأبيض لا يستطيع أن يميز بين إنسان أسود وآخر؛ لأنه جاهل...لكن يفسر لنا ذلك نية الغرب أن ينكر شخصيتنا، فهو ينكر علينا أن نكون أشخاصاً ولنا آدميتنا»[٣]، وعلى المستوى العالمى تناول التمييز بين الدول والأقاليم بذات المعيار اللونى، إذ يقول: «نحتاج إلى النظر وبدقة لطبيعة العلاقة بين اللون والسلطة فى العالم الإمبريالي...كل دولة من الدول المُسيطرة بها الأغلبية من سكانها من البيض، مثال ذلك الدول التى فى أوروبا وأمريكا، فى حين أن الدول المُسيطَر عليها بها الأقلية من البيض فى حين أن الأغلبية الكاسحة من السود كما هو الحال فى آسيا وأفريقيا وغرب الإنديز...لذا تظل القوة فى يد القوة البيضاء، وتتم ممارستها

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.25.
(2) **Ibid,** p.16.
(3) **Ibid,** p.17.

على السود(غير البيض)»[١].

إذن يؤمن رودنى بأن السيطرة الداخلية للبرجوازية هى انعكاس وبدعم من سيطرة الرأسمالية البيضاء على المستوى العالمى، إذ يؤكد على: «إن التقسيم الدولى فى النظام الرأسمالى العالمى قد تم على أساس من الهيراركية الإثنية والطبقية التى تعبر عن نفسها أيضاً على المستوى الوطنى»[٢]، وقد كانت السياسات الرأسمالية تنعكس فى محاولات البرجوازية الصغيرة الداخلية للحفاظ على هذا التقسيم، وأن تظل هناك فئات مسُيطرة وفئات مقهورة ومسُيطر عليها؛ إذ يقول: «حصلت البرجوازية الصغيرة المستقلة حديثاً على أدوات الدولة والمجتمع والفائدة الاقتصادية...وكانت هناك أوجه ارتباط بين البرجوازية المحلية الصغيرة والنظام الرأسمالى العالمى»[٣].

وينطلق رودنى مما سبق للتأكيد على ضرورة القوة السوداء حتى تصبح مكافئة للقوة البيضاء على المستوى الداخلى والدولى، ويمكن أن تكون أساس الوحدة السياسية السوداء، والاستفادة من الدروس التاريخية، ورفع مستوى الوعى لدى الجماهير السوداء، وهذه الأدوات يمكن أن يتم استخدامها لجعل المواجهة بين القوتين لها أبعاد دولية ليس على المستوى الداخلى فحسب[٤]، ولذلك يؤكد على أنه: «يجب أن تصبح لنا أهمية سواء نتيجة القوة أو نتيجة تغير الظروف، وأن يصبح لنا دور فيما يمكن أن نطلق عليه بصورة أوسع الثورة العالمية، أو حركة الجامعة الأفريقية، أو أى حركة تهدف إلى التعجيل بالتغيير الدياليكتيكى للرأسمالية وسيطرة المجتمع الأوروبى، إلى أن تستطيع شعوبنا -سواء أكانوا العمال أو الشعوب الأفريقية أو شعوب العالم الثالث جميعا- أن تشارك كلية»[٥].

(1) **Ibid,** p.18.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.114.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.167.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16. &- Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.59.
(5) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58.

إذن الحل عند رودني يكمن في امتلاك قوة منظمة ناشئة عن وحدة طبقة مقهورة هي الطبقة العاملة لتكون نواة لقوة شعبية جماهيرية بين كل ما هو غير أبيض، مع عدم إعطاء القوة الخارجية الفرصة في أن تتدخل في الشؤون الداخلية، وذلك من خلال تحرك الشعب بشكل منظم[1]، وهذا الشكل سيحقق للشعب التماسك، ويكفل له القدرة على الحراك الاجتماعي والمشاركة السياسية، لذلك يؤكد الكثيرون على أن رودني تخلى في كتاباته الأخيرة عن المنظور الثقافي الوطني لصالح المنظور الماركسي الديمقراطي بشأن مناقشة قضية التكوين الطبقي، وهو المنظور الذي يؤكد على إمكانية أن تتآكل وتتراجع الانتماءات الإثنية في ضوء تقسيم طبقي أوسع يمكن أن يصل إلى العالمية، وهذا ما سمح له بتقديم أجندة سياسية تغييرية تصل إلى الثورية في بعض الأحيان.

ويمكن القول في النهاية بأن اهتمام رودني بالعلاقة بين العنصرية الإثنية وأثرها على التكوين الطبقي في المجتمعات السوداء هو انعكاس لرؤاه واهتمامه بدراسة العلاقة بين أفريقيا والغرب، أو بعبارة أخرى طبيعة العلاقة بين الأبيض والأسود، إذ نجحت القوى الغربية في إدارة الاختلافات الإثنية والتعددية اللونية في بعض المجتمعات لتحقيق أهداف سياسية، وهذا ما سمح بتشوه العديد من أسس الهيكل الطبقي الذي كان قائماً في القارة وتطوراته المستقبلية، ولذلك حاول أن يقدم الرؤية التي تجعل الجماعات السوداء تتجاوز الاختلافات التي بينها بهدف الوصول لبناء قوة عالمية تسمى القوة السوداء لتوازن القوة البيضاء، ويرى أن الوحدة والنضج الطبقي بين الطبقة التي لاقت أشد الممارسات العنصرية من هذه القوة البيضاء ستكون هي النواة الحقيقية ونقطة الانطلاق للقوة السوداء، والتي يمكن أن تصل في النهاية إلى صراع أو ثورة سوداء عالمية ضد كل ما هو أبيض.

---

(1) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.**, p.78.

يمكن القول من محصلة العرض السابق لرؤى وتصورات رودنى أن عدم التكافؤ وسيطرة الغرب عالمياً من السمات الأساسية التى يؤكد رودنى على أنها طبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، وأن ذلك كانت له انعكاسات داخلية على واقع الدول اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً بشكل تماثل آثاره على دور هذه الدول على المستوى العالمى، وقد أكد أيضاً على استمرارية ذلك طالما استمرت الدول بدون قوة تعبر عنها وتجابه تحديات الرأسمالية العالمية، وتكون الوحدة على المستوى الاجتماعى الطبقى وعلى المستوى السياسي من الآليات الأساسية التى سوف تحد من سيطرة الرأسمالية العالمية التى يجب أن تتبنى دول القارة نماذج تنموية تختلف عنها، وتكون هذه النماذج التنموية عند رودنى لها الصبغة الأفريقية الخالصة والتى تتخذ من التاريخ وإدراك القيم الثقافية التى لنا مصدراً لها، ومنها تكون القوة السوداء لها الشكل المؤسسى الوحدوى، ولها المرجعية الفكرية التاريخية والتى تستطيع من خلالها الوقوف فى وجه القوة البيضاء العالمية، وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الدراسة حول سبل تعديل وتصحيح ما فى العلاقة بين أفريقيا والغرب من مثالب فى رؤى وتصورات وولتر رودنى.





الفصل الثالث

رودني والعلاقة بين الغرب وأفريقيا نحو تصور بديل



قُدمت العديد من الرؤى والتصورات فى الفكر الأفريقي لمحاولة تغيير سمات علاقة القارة الأفريقية بالغرب، وكان محور تلك الرؤى السبل والأدوات التى يجب أن تتعامل بها القارة مع العالم الخارجي وبخاصة الغرب، وما هى الأساليب التى يجب أن تنتهجها لتصل إلى المساواة فى علاقتها مع الغرب، وفى حين يعول بعض هذه الرؤى على الغرب نفسه فى السماح لأفريقيا بالتنمية واستعادة مكانتها على الساحة الدولية، ترى فئة أخرى من هذه الرؤى أنه لابد أن تتحقق التنمية والنهضة بالاعتماد على الذات وبأساليب تعارض توجهات الغرب، وذهب اتجاه ثالث إلى إمكانية التطور والتنمية من خلال مفاهيم ونماذج غربية تتسق وتتناسب مع طبيعة المجتمع الأفريقي، ولكن الثابت إلى الآن أن التنمية والتقدم واستعادة أفريقيا لمكانتها الدولية لم ولن تحدث فى ضوء سمات علاقة القارة بالغرب السابق الإشارة إليها، وفى ظل الأسلوب الذى تتعامل به الدول الرأسمالية مع القارة ومستقبلها.

وقد اشترك رودنى مع هذه التيارات فى محاولة تقديم تصور بديل لطبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، بل كانت هذه القضية هى محور فكره ونشاطه، إذ تعهد ببحث تاريخ تلك العلاقة، وأن يحاول تقديم الحلول التى تمكن هذا الشعب الأسود من أن يتخلص نفسياً وفكرياً من ثوابت وسمات تلك العلاقة التى حاول الغرب فرضها على القارة، حيث يرى أن أفريقيا لها ما يؤهلها لأن تتعامل مع الغرب ليس على قدم المساواة فحسب، بل لها من التاريخ والقدرات ما يؤهلها لأن تتعامل وكأنها الطرف الأفضل والذى له الفضل على الطرف الآخر فى هذه العلاقة، ومن ثم حاول رودنى أن يقدم الأسس التى تؤهل القارة لأن تصل إلى الوحدة السياسية، وأن تبنى قوة سوداء فى إطار مرجعية تاريخية أفريقية تمكنها من التعامل مع الغرب على قدم المساواة على أسوأ الاحتمالات، وأكد على أهمية دراسة وإدراك واقع القارة الأفريقية قبل الاتصال الأوروبى بها، وكيف أصبح بعد هذا الاتصال، وتحليل سمات وآثار

هذه العلاقة التاريخية، والسعى نحو استخدام ذلك الأساس التاريخى فى بناء مرجعية فكرية تسهم فى ظهور قوة سوداء ووحدة أفريقية يمكن من خلالها تعديل وتغيير سمات تلك العلاقة وما يشوبها من مثالب.

ويمكن أن تتم دراسة وتحليل التصور البديل الذى قدمه رودنى لهذه العلاقة فى ثلاثة محاور أساسية، وهى ستكون محل مناقشة ثلاثة مباحث؛ يتناول **الأول** منها تصورات ورؤى رودنى لكيفية وصول القارة لتحقيق الوحدة السياسية بين دولها كأحد أهم أدوات تغيير سمات تلك العلاقة، فى حين يناقش **المبحث الثانى** رؤيته لأيديولوجية القوة السوداء، وكيف يمكن أن تشكل أساساً فكرياً ومؤسسياً لتصحيح العلاقة بين أفريقيا والغرب، فى حين يشكل التاريخ وإعادة كتابته وإدراك ما يقدم من نماذج محوراً **للمبحث الثالث** من هذا الفصل.



المبحث الأول

الوحدة السياسية بين الدول الأفريقية

حاول رودنى مناقشة وتقديم العديد من الرؤى والتصورات حول قضية الوحدة السياسية فى أفريقيا كأحد الأبعاد المهمة فى تعديل شكل العلاقة بين أفريقيا والغرب، وتعد الوحدة السياسية الأفريقية من القضايا التى اهتم بها ولا تزال محل اهتمام العديد من المفكرين المهتمين بالشأن الأفريقي، وكان الحديث قبل وأثناء حصول الدول الأفريقية على الاستقلال حول فكرة الجامعة الأفريقية وأسسها وكيف يمكن الوصول إليها، وامتد الحديث منذ الاستقلال وحتى الآونة الراهنة عن كيفية تحقيق الوحدة الأفريقية فى شكلها السياسي والمؤسسى، وقام رودنى بدراسة وتحليل الروابط المشتركة بين الدول والجماعات الأفريقية ليصل إلى تقديم هيكل فكرى ومؤسسى يعبر عن هوية واحدة للشعب الأسود؛ إذ تأثر فى فترة نشأته بتوجهات أفارقة الدياسبورا وخصوصاً أنه نشأ فى منطقة نفوذ وتأثير تيار الجامعة الأفريقية والرواد الأوائل له، وانطلق رودنى من دراسة فكرة الجامعة الأفريقية وكيف يمكن أن تصبح الأساس الفكرى لوحدة أفريقية؟ وكيف ستكون الأخيرة أداة لتحقيق التنمية والتصدى للاستعمار الجديد بأشكاله المختلفة؟ وكيف يمكن استخدامها لإصلاح عدم التوازن الذى يعترى علاقة القارة بالغرب؟ ولذا سيتناول هذا المبحث رؤى رودنى للوحدة السياسية فى أفريقيا من خلال ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** مفهوم الوحدة الأفريقية وأهميتها.
- **المطلب الثانى:** أسس الوحدة الأفريقية.

- المطلب الثالث: معوقات وتحديات الوحدة الأفريقية.

المطلب الأول: مفهوم الوحدة الأفريقية وأهميتها

ينتمى رودنى لتيار فكرى راسخ فى الفكر الأفريقى كان محور اهتمامه مفهوم الجامعة الأفريقية، وتقديم الرؤى التى توضح كيف يمكن تطوير وبلورة أبعاده ليشكل أساساً فكرياً لوحدة سياسية بين الدول الأفريقية، وكيف ستكون هذه الوحدة هى الحل للعديد من المشكلات والتحديات التى تواجه القارة، إذ كانت هذه الوحدة من المرتكزات الفكرية الأساسية لفكره، لذا حاول أن يجد الصيغ والنماذج الفكرية التى يمكن من خلالها الجمع بين الاشتراكية كتوجه أيديولوجى والوحدة السياسية كحركة قومية.

وتعتبر حركات الجامعة (Pan) من الحركات الثقافية السياسية التى تهدف إلى تنمية وترابط وتضامن جماعات بشرية توجد بينها قواسم مشتركة، قد تكون هذه القواسم لغوية، أو دينية، أو اجتماعية[١]، وهو ما ينطبق على الجامعة الأفريقية، وإن كانت الروابط اللونية قد شكلت محدداً رئيسياً فى الجامعة الأفريقية قديماً وفى توجهات الوحدة الأفريقية فى الآونة الراهنة[٢]، وقد حاول العديد من المفكرين الاهتمام بتعريف وتحديد أبعاد هذا المفهوم من أهمهم جورج بادمور، وسلفستر ويليامز، وماركوس جارفى، وويليام ديبوا، وإيمى سيزار، وسيريل ليونيل روبرت جيمس C.L.R. James، وكذلك وولتر رودنى[٣]، وتعنى الجامعة الأفريقية بالنسبة لرودنى: «مفهوم الجامعة الأفريقية هو اختبار للتعريف الذاتى من الشعب،

(١) د. عبد الملك عودة: م.س.ذ.، ص ١٩.

(2) Mazi E. N. Njaka: Africanism, **A Journal of Opinion** (New Jersey: African Studies Association, Vol. 1, Autumn 1971), p.13.

(3) For Information about the History of Pan- Africanism look :
- Imanuel Geiss: Pan-Africanism, **Journal of Contemporary History** (London: Sage Publication, Vol.4, No.1, January 1969), pp.190-197.

وهو محاولة لتأسيس تعريف للذات أكثر اتساعاً من الذى فُرض على السود من الشعوب التى تمتلك القوة والسلطة، ونحن نتحدث عن الجامعة الأفريقية إذن نحن نتحدث عن تضامن بين العالم الأسود فى مختلف المراكز التى يعيش بها السود»[1].

ويتفق رودنى مع التيار القائل بأن الجامعة الأفريقية هى جهد واتجاه لتوحيد السود فى الصراع من أجل التحرير والاستقلال، ولكن ليس على أساس رابط لغوى ثقافى واحد، وأنها تأتى نتيجة لموقف الرفض والنفى[2]، فقد بدأت كرد فعل على الممارسات الاستعمارية والعنصرية وتراجع مكانة الإنسان الأسود اجتماعياً، ولذا بدأت فى الكاريبي، وانتقلت إلى أفريقيا، وهى تعبر عن هيكل مؤسسى للتعبير عن إحساس الإنسان الأسود بالانتماء لجنس (لون) بعينه، ولذا ينظر رودنى للون الأسود كتعبير عن أفريقيا ومرادف لها، وينظر للقارة باعتبارها وطناً واحداً وشعباً واحداً[3].

ويرتب رودنى على إحساس الشعب الأسود بضرورة وإمكانية الوصول للوحدة السياسية عدداً من المسؤوليات على الإنسان الأسود تسهل قيام هذه الوحدة، من أهمها ضرورة أن يُعرف الإنسان الأسود نفسه، ويقدم هذا التعريف للأجزاء الأخرى من العالم المتقدم[4]، وكذلك عليه أن يعارض النماذج القيمية والتنموية التى فرضها عليه الغرب؛ لأن: «القوة البيضاء نجحت من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام والتعليم والاتصالات أن تقدم نماذج تخلد من القيم البيضاء...والطريق إلى القوة السوداء أن نبدأ بإعادة تعريف أنفسنا كسود، وأن نعيد

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **Africana Colloquium Series** (New York: The Africana Studies Research Center, September 2005), p.18 & 19.

(٢) د. عبد الملك عودة: م.س.ذ.، ص ٢٠.

(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.58.
(4) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.18 & 19.

تعريف العالم من وجهة نظرنا»[١]، وكان هدف رودنى هو الوصول إلى هيكل مؤسسى لتنمية السود فى كافة أرجاء العالم .

ويصل رودنى إلى تقديم رؤية يكون فيها هيكل الجامعة الأفريقية هو البداية الفكرية لوحدة سياسية فى القارة الأفريقية بعد الاستقلال، ولكن جوهر هذه الوحدة يرتكز على الإحساس والوعى المشترك وهو لونى بالأساس، ولذا يصبح: «من المبادئ الأساسية للجامعة الأفريقية أن يكون الإخوة السود فى القارة مسئولين عن إخوانهم وأخواتهم فى الأجزاء الأخرى من أفريقيا، بل وفى الواقع يصبح كل أفراد الشعب الأسود فى كل جزء من العالم مشتركين فى هذه المسؤولية»[٢]، ويؤكد على أن أى مفهوم لحركة «جامعة Pan» هو محاولة لتعريف الذات من جماعة أو من شعب معين، ولذا فإن الشعب الأسود يسعى من خلال مفهوم الجامعة الأفريقية إلى توسيع مفهوم الشعب الأسود وتقديمه بصورة أفضل من تلك التى كانت فى الفترة الاستعمارية، وتتطلب هذه الجامعة وجود مجموعة تقود وتتحدث باسم الشعب، ويعول رودنى هنا على الطبقة العاملة الوطنية كأساس للجامعة والوحدة الأفريقية[٣] .

وتعتبر الجامعة الأفريقية هى الأساس الفكرى للوحدة السياسية التى يمكن أن تحدث فى أفريقيا، وهى بالأساس حركة شعبية وليست سياسات فوقية من الطبقات الحاكمة، وهو يعول على طبقات العمال والفلاحين للقيام بهذه الحركة الشعبية الوحدوية، والشرط الأساسى للشخص الذي ينتمى لهذه الطبقات أن يكون أفريقيا، إذن من هو الأفريقي من وجهة نظر رودنى؟ وما هو المعيار الذى يمكن

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.34.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.25.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress…., **op.cit.,** p.731.

الاحتكام إليه لأن نطلق على شخص أنه أفريقي؟ يمكن القول بأن مفهوم الإنسان الأفريقي فى فكر رودنى يترادف مع مفهوم الأسود، فهو معيار لونى، دون اهتمام بالمعيار الإقليمى لتحديد هوية هذا الأفريقي، وأن يدرك هذا الإنسان الأسود واقع مجتمعه ومشاكله والأسباب التاريخية التى أدت إلى هذا الواقع، ويسعى إلى تغيير سمات هذا المجتمع من خلال عدة أدوات أهمها الوحدة السياسية السوداء[١]، ويوسع رودنى من مفهوم الأسود عندما يضع أنه كل شخص غير أبيض ومر بخبرات الاستغلال والقهر على يد القوة البيضاء، واختار اللون لأنه: «اخترت عامل اللون لأنه من أهم العوامل التى تشكل أداة ربط فى عالمنا المعاصر...أنى أدركت العالم الواقعى»[٢]، حيث يرى رودنى أن اللون هو ما يجب أن يشكل أساس الوحدة السياسية فى محاولة لجعل سبب القهر والاستغلال تاريخياً يصبح أساس الوحدة، ولذا لم يُعر أوجه الانقسام الأخرى بين السود أى اهتمام[٣]، ولذا كانت إحدى القضايا التى اهتم بها بشكل دائم كيفية تحقيق الوحدة السياسية أو تفعيل الجامعة الأفريقية فى المجتمعات المتعددة إثنياً، وحاول تقديم السبل التى يمكن من خلالها التغلب على هذا التحدى[٤].

كما يرى رودنى أن الوحدة السياسية سوف تسهم فى إنهاء حالة الضعف والاستغلال وأشكال الاستعمار الجديد، كما ستساعد فى علاج حالة عدم التوازن فى علاقة أفريقيا بالغرب من خلال الإسهام فى التغلب على أكثر من تحد يواجه المجتمع الأفريقي، ولذا فأهمية الوحدة السياسية فى فكر رودنى تنطلق من كونها:

([1]) Walter Rodney: **African Revolution**, pp.5-7, at: http://www.sojournertruth.net/rodney.pdf
([2]) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16.
([3])Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** pp.67-69.
([4])Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.

١) **الحل لمشاكل الحدود السياسية فى أفريقيا:** من القضايا الأساسية التى برزت على إثر شكل الحدود السياسية التى ورثتها أفريقيا من الاستعمار هى قضية مدى تناسب هذه الحدود مع التكوين الاجتماعى داخل الدولة، وما ترتب على ذلك من مشكلات وصراعات داخل وبين الدول، ويرى رودنى: «أن أغلب الدول صغيرة الحجم حاولت أن تعزز حدودها الإقليمية، وكان ذلك من خلال الحفاظ على نمط وطبيعة العلاقات الاجتماعية التى تسيطر داخل هذه الحدود السياسية، وكذلك من خلال حماية الإمبريالية فى شكل الاحتكارات»[١]، ويؤكد أن ذلك كان يتم بالتوافق مع رغبة القوى الغربية التى حاولت الحفاظ على حالة الضعف والانقسام بين وداخل الدول الأفريقية على أساس من أوجه الانقسام التى تم ترسيخها وقت الاستعمار، ولذا يرى أن الوحدة ستسهم فى حل مشاكل الحدود عن طريق إلغاء الحدود القائمة بين الدول، وخلق هيكل مؤسسى واحد للقارة يحقق الأهداف التى تسعى إليها أفريقيا[٢].

٢) **أداة لمواجهة الاستعمار الجديد:** تستطيع القارة أن تتخذ من الوحدة مجالاً وأداة لإعادة هيكلة ثورية لعلاقتها بالغرب ولتحطيم الطابع الأبوى الذى يحاول الغرب أن يصُبغ به علاقته مع القارة، وكذلك يمكن من خلالها مواجهة أشكال الاستعمار الجديد[٣]، ولذا ينظر رودنى للوحدة الأفريقية على أنها رغبة فى الوصول لوحدة الهوية الأفريقية، لذا فهى حركة لها أبعاد ثقافية ونفسية وتاريخية إلى جانب أبعادها السياسية والاقتصادية، وتستمد هذه الحركة جوهرها من الديناميات والتغيرات التى تحدث داخل القارة وبخاصة محاولة الأفارقة الكفاح من أجل التحرر من سيطرة الغرب فى كافة المجالات، ولذا: «يجب أن تتم القطيعة المباشرة

(1)Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.732.
(2) **Ibid,** p.739.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69 & 70.

والكلية مع الغرب حتى يتم الوصول للوحدة السياسية والاقتصادية لأفريقيا»[١]، ويُبدى رودنى تخوفاً من دور بعض البرجوازيات الصغيرة الحاكمة فى أفريقيا وعلاقتها بالغرب، وأثر هذه العلاقة على الوحدة الأفريقية[٢]، وكذلك نبه لأنشطة الغرب الاقتصادية وبخاصة الشركات المتعددة الجنسيات لأثرها السلبى ودورها الاقتصادى المعارض لإمكانية تحقيق الوحدة الأفريقية وبخاصة فى المجال الاقتصادى والتنموى[٣].

٣) **مواجهة العنصرية البيضاء**: يرى رودنى أن أساس استغلال وقهر واستعمار الإنسان الأسود هو العنصرية البيضاء وممارساتها، ويكمن السبب فى تعظيم آثار تلك العنصرية فى حالة الضعف والتفكك التى كان عليها الشعب الأسود، وأكد أن أساس تلك الخبرات العنصرية هو اللون الأسود، ولذلك سعى إلى أن يصبح هو أيضاً أساس الوحدة والقوة التى ستكون رداً على العنصرية البيضاء وأداة التخلص من آثار تلك الخبرات التاريخية، فالوحدة الأفريقية عند رودنى هى محاولة من الشعب الأسود لتعريف نفسه على أساس من أسباب وعوامل المعاناة التاريخية والخبرات العنصرية، ولكن لم يكن الهدف أن يتم الوصول لمجتمع عنصرى لونياً أو إثنياً، بل تكوين قوة وأساس فكرى ومؤسسى لمواجهة العنصرية البيضاء وإرثها التاريخى[٤].

٤) **أداة لتحقيق التنمية والدعم المتبادل بين الدول الأفريقية**: تستطيع الدول الأفريقية أن تحقق درجة من التنمية إذا استطاعت أن تصل إلى درجة من الوحدة والاعتماد المتبادل فيما بينها، بل يؤكد أنها سوف تستطيع تعظيم منافع التنمية، وستعجل

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.9 &25.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117. & - Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress…., **op.cit.,** p.732.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.76 & 77.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 25. **& -** Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

من تطور الهيكل الإنتاجي والأدوات المؤسسية التي تنهي حالات الاحتكار والاستئثار بمنافع التنمية التي يمارسها الغرب[١]، بل ويرى أن الوحدة التي ستتحقق في أفريقيا في ضوء الصراع من أجل التنمية ستكون أكثر شعبية وراسخة الأركان، وستسهم في توفير الشرعية السياسية للعديد من الفئات الحاكمة التي تسعى نحوها[٢].

٥) **الهيكل المؤسسي للثورة السوداء**: يؤكد رودني أن الوحدة السياسية تمثل مرحلة محورية في توفير هيكل مؤسسي ناضج يستطيع قيادة الثورة السوداء العالمية، ويؤمن بأن: «إثنية بدون قوة أو سلطة هي إثنية بدون احترام»[٣]، لذلك يمثل السعي نحو التنسيق بين الفئات والطبقات الاجتماعية واتخاذ خطوات من شأنها رفع مستوى الوعي بالحضارات والثقافات والنماذج التاريخية الأفريقية محوراً فكرياً يساعد في الوصول إلى الوحدة والتقدم نحو الثورة السوداء العالمية، وإنهاء الاستغلال الرأسمالي المستمر، ولذلك: «يمكن أن ينتهي استغلال الأفارقة عن طريق تأسيس المجتمع الاشتراكي...ويجب أن تكون الجامعة الأفريقية ذات طابع دولي، وتصبح سلاحاً اشتراكياً ضد الإمبريالية»[٤]، وإذا استطاعت الجماهير السوداء أن تنتصر على أوجه الانقسام التي بينها سيسهل ذلك من إحداث التغيير الثوري في حياتها وفي علاقتها مع الغرب، ولكن يجب توافر هياكل وحدوية ومؤسسات تنسيق تسهل حدوث تلك الثورة[٥].

٦) **مؤسسية القوة السوداء العالمية**: تستطيع القارة من خلال الهياكل والتوجهات الوحدوية والتنسيق فيما بين أجزاء العالم الأسود أن تصل إلى بناء هيكل من القوة السوداء يمكنها من إعادة هيكلة علاقتها بالغرب، وترك دور التابع للقوة

---

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.26.
(2) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.76 & 78.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.20.
(4) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164 & 165.
(5) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8 & 12.

البيضاء الغربية[١]، وحتى يصل السود إلى تحقيق هذا الهدف يجب توافر تيارات فكرية تحاول التنسيق بينهم فى الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية بشكل يسهل بناء هذه القوة السوداء[٢]، ولذا سعى رودنى إلى تقديم الرؤى التى تربط بين الوحدة الأفريقية والقوة السوداء العالمية فى محاولة للاستفادة من وحدة سياسية فى القارة تكون الخطوة المؤسسية الأهم فى سبيل خلق تلك القوة[٣].

٧) **إعادة هيكلة العلاقات بين الجماعات فى القارة:** يرى رودنى أن الاستعمار قد نجح إلى حد كبير فى تشويه العلاقات بين عدة جماعات فى القارة، واستطاع السيطرة فى العديد من الأماكن من خلال خلق حالة من الخلاف والصراع، وإدارة هذه الاختلافات بشكل يحقق أهدافه، ويسهل سيطرته، ولذا كان هدف رودنى فى العديد من الرؤى والتصورات أن يصل للوحدة الأفريقية أو حتى الوحدة على المستوى الطبقى بين الجماعات والإثنيات المختلفة، وفى رأيه أن الوحدة ستعالج العديد من الآثار الاجتماعية السلبية للاستعمار[٤]، وستكون ضد الاستقلال الشكلى، وضد ائتلاف المصالح الناشئ بين البرجوازية الصغيرة والرأسمالية العالمية، والذى يحاول الحفاظ على حالة الانشقاق والخلاف التى بين الجماعات حتى فى الوقت التالى للحصول على الاستقلال ليحول دون الوصول إلى درجة من الوحدة؛ لأن الأخيرة ستكون فى غير صالح البرجوازيات الصغيرة والرأسمالية العالمية، ولذا: «من النادر أن تسعى الطبقة الحاكمة الأفريقية إلى بناء شىء يغير قواعد الانقسام الإثنى الموجود...ولم يكن من المفاجئ أن تجد الاشتراكية العديد من الرافضين لها فى الدول الأفريقية»[٥]؛ لأنها تهدف إلى درجة من الوحدة بين الطبقات

---

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.8 & 17.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.16-20.
(4) David Renton: **op.cit.,** p.152.
(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.733 & 734.

الاجتماعية التى يعول عليها رودنى فى قيادة حركة الوحدة الأفريقية.

وقد حاول رودنى أن يجعل من الوحدة أساس الأدوات التى يمكن أن تنهى الصراعات والخلافات التى بين الطبقات المقهورة المُستَغَلة، وأن يوجه هذا الصراع ليصبح بين كل من هو مُستغَل مع كل من يستغِل[1]، ولذلك حاول أن يطوع بعض المبادئ الاشتراكية لتتناسب مع احتياجات وسمات وخصائص القارة، ويؤكد هورد دوبسون Howard Dobson – صاحب مقدمة كتاب Walter Rodney's Speaks – أن رودنى يجمع بين القناعة بالاشتراكية وضرورة تطبيقها فى أفريقيا كحل للتنمية ولرفض الرأسمالية، وفى نفس الوقت يؤمن ويؤيد الجامعة والوحدة الأفريقية كسبيل لحل العديد من المشاكل، وكأداة لتوحيد الإثنيات المختلفة والوصول لقوة سوداء، ويُفسر ذلك فى ضوء قناعة رودنى التامة بأن القارة الأفريقية لها النماذج الحضارية والقيم الثقافية التى يمكن أن تصبغ بها أى توجه أيديولوجى ليصبح متناسباً مع سمات مجتمعها، وأن تحقيق ذلك التوافق بين التوجهين يمكن أن يتم عن طريق الجماهير الموحدة التى على درجة من الوعى وتقود التوجه الاشتراكى، وخصوصاً أن الجماهير فى فكر رودنى تتكون من العمال والفلاحين، وهذا يفسر لنا النشاط الواسع النطاق الذى كان يقوم به لإنهاء سيطرة القيم البيضاء، ولعلاج حالة التفكك الاجتماعى بين الجماهير التى يحاول أن يستخدمها[2].

المطلب الثانى: أسس الوحدة الأفريقية

قدم رودنى العديد من الأسس العملية التى يمكن من خلالها تحويل الرؤى والتصورات السابقة إلى واقع عملى، وحاول إبراز القواسم والخبرات والسمات المشتركة التى تتشكل منها أسس الوحدة الأفريقية؛ لأن هناك اتفاقاً على أن الوحدة

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.114-117.
(2) Horace Campbell: »Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney», **op.cit.,** p.5 & 6.

الأفريقية قد تضمنت أبعاداً جديدة بعد الحصول على الاستقلال، وتحت ضغط ممارسات الاستعمار الجديد، وسوء حالة التنمية بشكل دفع مفكرى وقادة الدول أن يحاولوا تذليل التحديات والمعوقات التى تقف حائلاً دون الوصول للوحدة الأفريقية، وأن يسعوا إلى تفعيل القواسم المشتركة التى يمكن أن تيسر الوصول لهيكل وحدوى سياسي مشترك(١). ويقدم رودنى أسس الوحدة الأفريقية على النحو التالى:

أولاً: اللون الأسود وموقف رودنى من الدول الأفريقية العربية:

يؤكد رودنى أن لون بشرة الشعب الأفريقى كان العامل الأساسى والسبب الرئيسي فى الخبرات التاريخية الاستغلالية والعنصرية التى مر بها الإنسان الأسود على أرض القارة أو خارجها، ولذا احتل عامل اللون أولوية فى فكر ورؤى رودنى بشكل يفوق عوامل كالدين أو الانتماء الطبقى أو الإقليمى(٢)، ولذلك حاول أن يقدم الرؤى التى تصل بالقارة للوحدة على أساس العامل الذى كان سبب القهر والاستغلال والاستعمار، وفى نفس الوقت حاول أن يغير مدركات السود أنفسهم لقيمة اللون ودوره فى الوحدة السياسية مؤكداً على أن النظام العالمى بالأساس يقُسم على أساس لونى(٣).

ويرى العديد من محللى نشاط ورؤى رودنى أنه يعتبر امتداداً لأفكار ماركوس جارفى فى اهتمامه بالطابع اللونى للمؤسسات التى احتوتها أفكاره، لكن لا يصل الانتماء اللونى عنده لدرجة العنصرية السوداء كما هو الحال عند جارفى(٤)، ويؤكد رودنى: «لقد فقد الشعب الأسود قدرته على إدارة أموره بسبب ما نتج عن الفترة

---

(1) Imanuel Geiss: **op.cit.,** pp.187-194.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.112-114.
(4) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54. – for More Information about Garvey look :

- رانيا حسين خفاجة: «ماركوس جارفى....وفكرة العودة إلى أفريقيا»، **آفاق إفريقية** (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، العدد الثالث، خريف ٢٠٠٠) ص ص ٥٦-٥٩.

الاستعمارية، والهدف الأساسى للبيض أن يروا أننا لن نستعيد هذه القوة مرة أخرى...يجب أن تكون للسود القوة التى تتناسب وتتساوى مع عددهم»[١].

ويتسع مفهوم الشعب الأسود عند رودنى ليشمل كافة الجماعات التى تعرضت لخبرات السلب والقهر والاستغلال على يد الشعب الأبيض، ويصبح الأخير هو «كل من يستغل الإنسان الأسود» حتى لو كان من السود أنفسهم، ويعتبر الفئة الأخيرة من ذوى القلوب البيضاء، وأنها قد حققت منافع ومصالح شخصية على أساس من الإثنية أو الأبعاد الثقافية، لكن ليست تلك هى المنافع الأساسية التى يمكن السعى نحوها لأنها حقُقت بعيداً عن معيار اللون، ولذا فإن توحيد جهود السود على أساس اللون ستعظم من المنافع التى يمكن الوصول إليها[٢].

كما يؤكد رودنى فى الرؤى والتصورات التى قدمها على إمكانية تحقيق الوحدة فى ظل المجتمعات المتعددة إثنياً، مبرراً ذلك بأن كافة المجتمعات التى يعيش الإنسان فى ظلها هى مجتمعات متعددة إثنياً، ولا توجد سوى حالات استثنائية تتمتع بالتجانس الإثنى بين سكانها[٣]، ولذا رفض العنصرية التى كانت تمارس فى جنوب أفريقيا، وكان يراها أحد تحديات تحقيق الوحدة الأفريقية، وكان دائماً ما يؤكد على المساواة كقيمة عليا، وعلى مركزية اللون كمنطلق أساسى للوحدة[٤]، وتعبر الأخيرة عن تطور مؤسسى لتضامن السود على مستوى العالم، وينشأ هذا التطور لرفض القوة البيضاء والسعى لوحدة وقوة سوداء[٥].

ومع أن الوحدة الأفريقية هى حركة لكافة أفراد وجماعات وطبقات العالم

(1)Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.18-21.
(2)Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.112-115.
(3)Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.68.
(5) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.

الأسود، يرى رودنى أن هناك طبقة بعينها تستطيع أن تقود هذا النهج الوحدوى لتصل إلى تحقيق أهداف وتطلعات الإنسان الأسود، ويعول على الطبقة العاملة فى القيام بهذا الدور، ويرى أنه من السهل أن يصل السود لوحدة هذه الطبقة ومنها يمكن الانطلاق لتحقيق الوحدة الكلية، ولذا كانت هذه الطبقة محور اهتمامه الفكرى والحركى، حيث يؤكد على أهمية رفع مستوى وعى هذه الطبقات تمهيداً لقيامها بهذا الدور(١).

وإذا كان اللون الأسود هو المحدد والعامل الأساسى فى الوحدة الأفريقية، فماذا كان موقف رودنى من الأفارقة غير السود؟ يعُرف اللون الأسود لدى رودنى من خلال علاقة التضاد والتناقض مع اللون الأبيض، وما يرتبط به من سياسات وممارسات، ويرتبط الأبيض عند الأفارقة بتاجر الرقيق وصاحب المزارع والحقول واسعة النطاق المُستغِل والقائد المستعمر، ولذا أصبح الأسود عند رودنى هو غير الأبيض، والذى تعرض للاستغلال والقهر والخبرات التاريخية الاستعمارية، ولذا قبل رودنى الدول الأفريقية العربية والشعوب غير السوداء، وكذلك الهنود وغير الأفارقة فى وحدة الطبقة العاملة، بل كان يرى أن هناك أوجه ترابط وتشابه ربطت حركة الوحدة الأفريقية بحركة القومية العربية من حيث التطلعات وظروف النشأة، كذلك يؤكد على أن خبرات التعامل مع العرب قد أثبتت الطابع التسامحى لهم حتى فى تجارة الرق، وعلى أن مصر قد شكلت حلقة اتصال مهمة بين الطرفين(٢)، وأكد على عمق التشابه بين حركة الجامعة الأفريقية والحركة القومية العربية بقوله: «نحن نشهد أنه فى أوقات معينة من التاريخ -كما فى نهاية الحرب العالمية الثانية- تشابهت رغبات وتطلعات أصحاب توجه القومية العربية التقدميين مع رغبات وتطلعات أصحاب اتجاه الجامعة الأفريقية»(٣)، بل ويمكن استخدام

(1) **Ibid,** p.19.
(2) **Ibid,** p.21 & 22. **&** - Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.71 & 72.
(3) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.20 & 21.

الحضـارة المصريـة للتـدليل عـلى قبـول رودنـى للـدول الأفريقيـة العربيـة ودورهـا الحضارى، فقد تحيز فى عدد من دراساته إلى إصباغ الصفة الأفريقية على الحضارة المصرية، ويرى أنها حضارة أفريقية خالصة، ولكنها لم تحظ بالاهتمام الكافى، ولم يتم تناولها بقدرها المستحق كحضارة أفريقية، بل ويرفض أن يتم تصنيفها داخل نسق حضارى يكون سابقاً للنسق الحضارى الأفريقي، ويقول: «لنا وصف جغرافى بسيط، حيث يشير مفهوم الأوروبي إلى الأشياء التى فى أوروبا...ومع أن مصر موجودة ومترسخة فى أفريقيا لم يظهر اتجاه فى أفريقيا مثل ذاك الذى فى أوروبا»[١].

ولم يرفض رودنى الحضارة المصرية حتى عند تطبيقه لعامل اللون، بل انطلق منه للتأكيد على أفريقية هذه الحضارة، واستخدم منطلقات ومفاهيم الغرب لإثبات عكس ما يقوله الغرب، فالمفهوم اللونى للغرب هو «ما هو غير أبيض: هو أسود»[٢]، ويستخدم ذلك فى تفنيد أية محاولة غربية لإضفاء اللون الأبيض على الحضارة المصرية، إذ يقول: «قدم المصريون أنفسهم أشخاصًا ذوى لون أحمر، أو لون نحاسى، وفى هذا الصدد يمكن القول بأنهم ميزوا أنفسهم عن الأشخاص البيض الذين يعيشون خارج مصر، وعن الأشخاص ذوى اللون الأسود الداكن الذين يعيشون فى الجنوب من مصر»، ولكنه يؤكد أنه من خلال الاتصال وعلاقات مصر مع هذه الأماكن الجنوبية وجلب العبيد السود اختلطت دماؤهم بنسبة مرتفعة مع دماء السود، بل ووصل السود إلى سدة الحكم فى بعض فترات الحضارة المصرية، ويؤكد أن محاولة الغرب لإصباغ اللون الأبيض على الحضارة المصرية ما هى إلا محاولة لتفكيك وتقسيم القارة حضارياً[٣].

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.71.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16 & 17.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** pp.72-74.

ويرفض رودنى الاتجاه الذى يميز بين العرب والأفارقة، كما أنه يرفض التمييز بين العرب والمسلمين؛ لأنها جميعاً محاولات لمنع ظهور الحركات الوحدوية، ويمكن القول بأن معيار اللون عند رودنى يرتبط بحيز جغرافى فى بعض الأحيان، ويرتبط بخبرة تاريخية مشتركة فى أحيان أخرى، ولكنه لا يهدف لتكوين مجتمع متعصب أو عنصرى إثنياً، فكل من على إقليم القارة وشهد خبرات استغلالية عليه أن يشارك فى حركة الوحدة الأفريقية، ويؤكد: «هذا هو الوقت حتى نعمل خارج مسألة الإثنية دون اللجوء للعنف، ولكن إذا فُقدت هذه الفرصة فإن المجتمع سوف يتجه لحرب إثنية مدمرة، وسوف يعانى السود بسبب قلة عددهم، ولكن إذا أصبحوا جماعة منظمة فإن بإمكانهم أن يسببوا تدميراً واسع النطاق للبيض»[١].

ثانياً: الخبرات التاريخية المشتركة:

استخدم رودنى دراسته وعمق معرفته بتاريخ القارة فى توضيح مدى ترسخ مفاهيم الوحدة فى الخبرة والثقافة والتاريخ السياسي الأفريقي، وحاول أن يحفز الشعوب على استخدام خبرات المعاناة والاستغلال التى تعرض لها الشعب الأسود بعد الاتصال الأوروبى فى دفع عملية الوحدة قدماً كأداة للتخلص من مواريث الماضى، ولتصبح أداة حصانة وضمان لعدم تكرار مثل تلك الخبرات مرة أخرى، فالتوجه الوحدوى عند رودنى: «شُكل ليناشد ويعزز الكرامة الذاتية والثقة فى قوة جزء من أولئك الذين حولهم الرق إلى حالة الحيوان حامل الأعباء»[٢].

وقد حاول رودنى التأريخ ودراسة المجتمع الأفريقي قبل الاتصال الأوروبى، وتقديم القيم والمبادئ والهياكل الوحدوية التى كانت داخل هذا المجتمع، مؤكداً على دور الغرب فى تفتيت وتدمير العديد من الهياكل الاجتماعية والممالك والإمبراطورايات والهياكل السياسية واسعة النطاق التى سادت تلك الفترة، إذ كان

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.23.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.**, p.116.

لهذا الاتصال أثره في تغيير طبيعة المؤسسات السياسية والاجتماعية، وستصبح التوجهات الوحدوية أكثر فاعلية إذا انطلقت من مثل تلك الخبرات والنماذج التاريخية المضادة للاستعمار والرأسمالية[1]، فقد حاول أن يجعل من الإرث الاستعماري والعنصري رابطاً بين الشعوب السوداء، مستخدماً أوجه الترابط تلك في مواجهة الأنماط الحديثة من الاستعمار والعنصرية التي يمارسها الغرب[2].

ويرى رودني أن خبرة الاستغلال الأوروبي للقارة شعباً وموارداً قد أسهمت في خروج مراحل التنمية وتطور المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن التطور التدريجي والنضج التاريخي لها[3]، وأنهم: «قد كثفوا استغلال السود، وتاريخياً شكلت التوجهات البيضاء الإثنية ومصالح الطبقات الإمبريالية عائقاً أمام تكوين تعبير اجتماعي من الجماهير السوداء المقهورة»[4].

لقد كان رودني على وعي بأهمية أن تتخلص القارة من تلك الخبرات حتى تستطيع أن تسترد مكانتها في السياق العالمي، وأن تكون الوحدة السياسية أحد أهم الأدوات التي تساعد القارة في الوصول إلى هذا الهدف، ولهذا حاول التأكيد على ضرورة استمرار الكفاح والصراع خارج وداخل القارة لإدراك هذا الهدف[5]، كما أكد أيضاً على أهمية حركات الوحدة الطبقية، فالوحدة في أفريقيا وإن كانت تنطلق من خبرات تاريخية إلا أن الهدف منها هو التخلص من آثار الاستعمار وما يرتبط به من هياكل موروثة أو طبقات حاكمة تخدم مصالحه[6].

وينظر رودني للوحدة الأفريقية على أنها مغامرة جماعية وُضعت أسسها من

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.128 & 129.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.121 & 129.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.12.
(5) Trevor Campbell: **op.cit.,** p.57 & 58. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.
& - Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.67.
(6) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66 &76-78.

الأفارقة فى الدياسبورا، ولذلك لابد أن تكون: «نظرة العالم الأسود تجاه الآباء الأوائل على أنها جزء تكميلى فى حياة الجماعة السوداء، وهذا يجعل معرفة الأجيال الحالية بكفاح الأجيال الأولى أكثر سهولة»[١]. وإذا كانت الوحدة الأفريقية ستأخذ الخبرات التاريخية فى الحسبان، فإنها ستحاول أن تستخدمها فى خلق هوية مشتركة للسود على أساسها، وفى نفس الوقت تحاول التصدى للعنصرية البيضاء التى فى هذه الخبرات، وأن تصحح العديد من أوجه الزيف والأخطاء التى يحاول الغرب أن يجعلها من ثوابت تلك الخبرات[٢]، ولذلك: «فالجامعة الأفريقية ليست وحدة لونية فحسب، بل هى أيضاً وحدة فى الظروف المشتركة...فقد استمرت المجموعة التى تسيطر على الاقتصاد السياسي الدولى فى تعريف الأشياء بمفاهيم عنصرية تتوافق وتتناسب مع مصلحتها»[٣]، وتصبح الوحدة السياسية الأفريقية هى الرد على تلك العنصرية التاريخية الراسخة فى علاقة القارة بالغرب، إذ يقول: «تصبح الهوية الأفريقية سلاحاً للتحرير، وعلى مستوى المنظمة يصبح من أهم المبادئ أن نقول : إن الوحدة واتساع مداها سيعطى القدرة على التحمل، وسيكون أداة ضد العدو، ولذلك فمن المنطقى أن يسعى الإنسان الأسود لتفعيل نقاط القوة...ويمكن أن تجعل الوحدة والثورة الأفريقية ما تم استخدامه سابقاً للذل والخضوع سنداً ورمزاً للوحدة وأداة للتحرير»[٤]، ولذلك يصبح الوعى والتثقيف التاريخى ضرورة للتصدى لسياسات الغرب، وخطوة ثورية نحو الوحدة[٥].

ثالثاً: الوعى الأسود:

لا يكفى التشابه اللونى بين جماعة أو شعب أن يكون السبب فى الاتجاه نحو

---

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.7 & 8.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 25.
(3) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.8.
(4) **Ibid,** p.9.
(5) Walter Rodney: **Sign of the Times: Rodney's Last Speech** (Georgetown, Guyana: Working People's Alliance, 1981), p.13.

الوحدة، ولكن يجب أن تكون هذه الجماعة على وعى بأثر هذا اللون وما سببه من تشابه فى الخبرات وفى نمط ومستوى التعامل والعلاقات مع العالم الخارجى. ويربط رودنى بين فاعلية حركة الوحدة الأفريقية وبين مستوى الوعى الجماهيرى بما سببه هذا اللون من خبرات تاريخية، وما قد يُستخدم فيه هذا اللون للوصول إلى درجة من الوحدة فى الحركة والأهداف[1].

ويرتبط الوعى الأسود لدى رودنى بالخبرات التاريخية، إذ حاول أن يجعل منه فى ظل إدراكه لقيمة الثقافات والقيم الأفريقية نقطة انطلاق نحو الوحدة الأفريقية[2]، لأنه حتى تنشأ الوحدة السياسية الأفريقية لابد أن يكون ذلك عن طريق حركة جماهيرية على درجة من الوعى، بمعنى أن يكون لها ذلك التوجه التغييرى الذى تفرضه أيديولوجية الوعى الأسود، ولذلك فإن إدراك النماذج التاريخية ومحاولة الاستفادة منها فى فرض حركة تغييرية على كامل المجتمع يبدأ من الخروج عن نمط علاقات التبعية للغرب، وينتهى بتأسيس هيكل وحدوى يمكن من خلاله القيام بهذا التغيير المنشود من أيديولوجية الوعى الأسود[3]، ويعول رودنى على دور المثقفين ومؤسسات تشكيل الوعى فى رفع مستوى الوعى وتصحيح العديد من نماذج الوعى الجماهيري، والإسهام فى تغيير طموح ورغبات الإنسان الأسود للتحول لأهداف يمكن من خلالها الوصول لوحدة تسهم فى إحداث تغيير فى حياة الشعوب السوداء[4]، وأنه يجب التخلص من النماذج والضغوط البيضاء التى تمنع حدوث هذا التغيير الثورى الواعى، إذ يقول: «يجب أن تكون فى أذهاننا صورة الأيام الماضية بوضوح، ونحن نعيد التأكيد على أهمية استمرار الصراع...نحن نتحرك نحو ما نرغب، وندرك الضغوط لكن لا يمكن أن نخضع لمثل تلك

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7 & 8.
(2) David Renton: **op.cit.,** p.152.
(3) Wazir Mohamed: **op.cit.,** P.4 & 5. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.124.
(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.

الضغوط»[١] ، ويجب على المثقف: «أن يربط نفسه بالأبعاد الأخرى للوجود البشرى، ويحاول أن يكافح حتى يزيل ذلك الغطاء الكثيف الذى نسجه المفكرون المحترفون حول أنفسهم وحول المجتمع، وهذا يتطلب قدرات عملية قبل التنظيرية»[٢]، كما يؤكد على أن الغرب استطاع السيطرة على العالم من خلال امتلاكه لأدوات تشكيل الوعى، ولذا استطاع التلاعب بالوعى الجماهيرى للسود، وحتى تصل هذه الجماهير إلى الوحدة لابد لها أن تدرك أنها تسعى إلى تغيير ثورى فى مجتمعاتها يكون الهدف منه الخروج عن الأنساق الموروثة فى علاقتها مع الغرب، والوصول إلى هيكل وحدوى يحقق أهداف هذه المرحلة الثورية[٣].

رابعاً: تحديات ما بعد الاستقلال:

فرضت العلاقة الأفريقية مع الغرب عدداً من التحديات أمام السود فى الفترة التالية لحصول دولهم على الاستقلال، ويرى رودنى أن مواجهة تلك التحديات تحتاج إلى إعادة هيكلة العلاقة بين الأفارقة فيما بينهم قبل أن تتم هيكلة علاقة القارة بالغرب، وحتى يصل السود إلى ذلك يطرح نموذج الوحدة الأفريقية لإعادة هيكلة علاقة السود فيما بينهم ومع الغرب فى آن واحد[٤]، وفى نفس الوقت يطرح رودنى الاشتراكية كتوجه أيديولوجى وإطار مرجعى يمُكن القارة من تحقيق هذه الأهداف، ولذا: «لابد أن تصبح حركة الجامعة الأفريقية سلاحاً اشتراكياً ضد الإمبريالية»[٥]، وأنه: «يمكن أن يتحقق الاستقلال تحت مظلة الاشتراكية فقط،

(1) Walter Rodney: Sign of the Times: Rodney's Last Speech, **op.cit.,** p.15.

(2) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.39.

(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.165. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.62.

& - Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.12.

(4) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.33. & - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.118.

(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.740.

كذلك يمكن أن تنمو أفريقيا إذا استطاعت قطع صلاتها مع النظام الرأسمالى»[١].

ويمكن تفسير التعاون بين الاشتراكية والوحدة الأفريقية فى ضوء الاعتبارات العملية التى يفرضها الواقع، وإن كان هناك اختلاف فى الأسس الفكرية بين التوجهين، فقد كان هدف رودنى أن يصل للوحدة، وفى نفس الوقت يحرر عقول السود من القيم الرأسمالية مستغلاً الاستقطاب الذى يحدث فكرياً على المستوى العالمى.

وفى رؤيته أن الوحدة ستتم تحت قيادة الطبقة العمالية، كما سبقت الإشارة، وأن التوجه الاشتراكى هو الذى يهتم بوعى وبوحدة هذه الطبقات العمالية أيضاً، كما كان يرى أن الرؤى الاشتراكية ستكون مقبولة سيكولوجياً من الأفارقة لأنها لم تمارس الإمبريالية الفكرية والثقافية على السود، كما أنها ستسهم أيضاً فى مواجهة التحديات التى تفرضها مرحلة ما بعد الاستعمار على الدول الأفريقية، ولكنه يضعها فى قالب أفريقي، وتطبق فى ضوء قيم وثقافات ونماذج أفريقية خالصة[٢].

إذن حاول رودنى أن يجعل الوحدة الأفريقية حركة شعبية تستمد أسسها من خصائص وسمات وخبرات الشعب الأسود، وتسعى إلى تغيير وتطوير راديكالى فى سمات وخصائص وموروثات هذا الشعب، لتصبح الأداة التى يمكن من خلالها مواجهة تحديات ما بعد الاستقلال، والخروج من حالة التبعية التى تحاول الرأسمالية أن تحافظ عليها كسمة أساسية لعلاقتها بالقارة، وذلك للوصول إلى كيان قادر على تحدى إمبريالية وسيطرة الرأسمالية العالمية.

---

(1) David Renton: **op.cit.,** p.151.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.68.
& - Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.738 & 740.
& - Michael O. West: Walter Rodney and Black Power....,**op.cit.,** P.10.

المطلب الثالث: معوقات وتحديات الوحدة الأفريقية

اختلفت أهداف الوحدة السياسية الأفريقية فى الفترة التالية للاستقلال عما كانت عليه فى فترة الكفاح ضد الاستعمار، ولكن تظل قضية إعادة هيكلة العلاقة مع الغرب تحتل موقع الصدارة فى أولويات اهتمام قادة الدول، وهى فى مقدمة أهداف مفكرى الوحدة السياسية الأفريقية، وإذا كان رودنى قد تطلع لإبراز الأسس والسبل التى يمكن من خلالها تحقيق الوحدة، إلا أنه قدم العديد من التحديات التى يمكن أن تؤجل أو تحول دون الوحدة بين الدول الأفريقية، ومن أهمها:

أولاً: البرجوازية الصغيرة وطبيعة توجهاتها بعد الاستقلال:

تنبأ رودنى بتحول العديد من النخب الحاكمة فى أفريقيا والكاريبى إلى ممارسات ديكتاتورية بعد الحصول على الاستقلال –وهذا ما سبقت الإشارة إليه– وتوقع أن تكون ممارسات تلك النخب حائلاً دون أوجه التعبير الديمقراطية والممارسات الشعبية، وكذلك ستحول دون تكوين الحركات الجماهيرية واسعة النطاق والتوجهات الوحدوية فى القارة[1]، ويفسر ذلك فى ضوء سعى هذه النخب للحفاظ على مناصبها والرغبة فى إحكام سيطرتها على المساحة الإقليمية التى تحت سيطرتها، وأنها لن تكون على استعداد لأن تتنازل عن كل ذلك سريعاً بعد الاستقلال وسنوات الكفاح، بل يرى أنها ستكون على استعداد لأن تستخدم ذات السياسات والأدوات الرأسمالية الإمبريالية لتحقيق ذلك، كأن تحاول الحفاظ على حالة التفكك والصراع داخل وبين الدول الأفريقية[2]، بمعنى أن يكون هناك العديد من الصراعات

(1) Clive Thomas: **op.cit.** pp.9-12.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.70.
& - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.18.
& - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126 & 127.

والحروب السياسية التى تهدف منها النخب الحاكمة إلى الحفاظ على سلطتها وقوتها.

ويرى رودنى أن: «حركة الجامعة الأفريقية وحتى الزنوجة قد أصبحت تحت سيطرة البرجوازية الصغيرة (المعتلة) مما أدى إلى تشكيلات عقيمة من التعصب الأسود غير قادرة على تحدى الرأسمالية والإمبريالية»[1]، وأن: «التأمل القريب يكشف أن الطبقات الحاكمة فى أفريقيا قد فشلت فى الوصول إلى وحدة مؤثرة لها معنى، ولا يمكن تفسير ذلك فى ضوء ضعف هذه الفئات فحسب، بل إن هناك أيضاً عملية التفكك التى كانت تحدث وقت التفاوض من أجل الاستقلال... ويكشف لنا ذلك مدى جبُن هذه الفئات فى عملية التفاوض لقبولها بدول مفككة صغيرة الحجم غير قابلة للنمو»[2].

ويؤكد رودنى أن أحد أهداف الوحدة الأفريقية بعد الاستقلال هو التخلص من هذه البرجوازيات التى تخدم مصالح الرأسمالية، والتى حاولت إفراغ هذه الوحدة من مضمونها[3]، مؤكداً على «أن قيادة الطبقة البرجوازية الصغيرة الأفريقية منذ الاستقلال قد شكلت عائقاً أمام نمو الثورة الأفريقية، وتوضيح ذلك يكون من خلال نهج طليعة حركة الجامعة الأفريقية (التى برزت من المؤتمر الخامس) التى فقدت اتجاهها، وانغمست فى الاتجاهات النظرية والممارسات البرجوازية...كما انغمس عدد من القادة فى التناقض الخاطئ بين الاشتراكية والجامعة الأفريقية»[4]، بل ويرى أن «مفهوم الجامعة الأفريقية قد تعرض للسخرية من الحكومات الحالية التى زعمت أن مفهوم «أفريقي» قد توارى بتأثير عدد من الاعتبارات العملية كالسفر والعمل»[5].

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress…., **op.cit.,** p.733.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117. **&** - Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.14.
(4) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress…., **op.cit.,** p.735.
(5) **Ibid,** p.733.

وقد قدم رودنى الحل للتغلب على هذا التحدى وهو أن توجه الحركة الكفاح ضد هذه الفئات الحاكمة كما هو ضد الرأسمالية، وأنه «سيتم تحقيق التحرير والوحدة الأفريقية من خلال الكفاح ضد الموالين للرأسمالية العالمية من الأفارقة»[١]، مؤكداً على بداية هذا الكفاح بأدوات سلمية فى البداية ليصل إلى ثورة اجتماعية واستخدام صريح للعنف[٢].

ثانياً: التدخل الخارجى: العنصرية البيضاء ورفض الغرب للوحدة الأفريقية:

على الرغم من حصول الدول الأفريقية على الاستقلال يرى رودنى أن هذا الاستقلال فى العديد من جوانبه كان استقلالاً شكلياً، فقد أرادت الدول الغربية منه أن تترك دور المستعمر المباشر المكلف لها اقتصادياً، والذى تتعرض بسببه لانتقادات دولية ونشاط حركات التحرير، وأن تحقق الأهداف الاستعمارية ولكن بأدوات مختلفة الشكل تحقق نفس المضمون، ولذلك فمن مصلحة الرأسمالية العالمية أن تظل الدول الأفريقية على ذات الواقع المتشرذم، وأن تحافظ على أسباب التفكك والتقسيم التى تم ترسيخها فى وقت الاستعمار[٣]، وأن تظل الجماهير السوداء «مقسمة على أساس الهيراركية الإثنية والطبقية التى تم ترسيخها أثناء الاستعمار، ومحاولة الحفاظ عليها فى الفترة التالية للاستقلال»[٤].

وإذا كانت بداية الجامعة الأفريقية بتأثير السياسات الاستعمارية والعنصرية فى فترة بعينها، فإن الوحدة السياسية الأفريقية تمثل محاولة للتصدى للأشكال الجديدة من الاستعمار والعنصرية[٥]، فقد حاولت الرأسمالية العالمية استخدام أدواتها

(1) **Ibid,** p.740.
(2) Clive Thomas: **op.cit.** p.11 & 12. & - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.68 & 76.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.732.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.114.
(5) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.8 & 9.

للاختراق والتغلغل فى الدول الأفريقية للحيلولة دون الوصول للوحدة الأفريقية، وتنوعت تلك الأدوات ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية، ولكن تشترك جميعها فى كونها: «التعبير الواضح عن الرأسمالية الحديثة والتى تحقق الاستغلال المستمر للدول الأفريقية»[1]، وينتمى رودنى بذلك لتيار فكرى يؤكد أن الفارق التنموى والتقنى والفارق فى القوة لصالح الغرب سيشكل عائقاً فى سبيل إدراك الوحدة الأفريقية؛ لأن ذلك سيسمح بالاحتفاظ بالقارة فى وضع التابع بشكل مستمر، ولن يسمح الغرب للقارة بأن تصل للأدوات أو الترتيبات التى يمكن من خلالها تقليص هذا الفارق[2]، ويطرح رودنى دور الإرادة الشعبية والحركة الجماهيرية المنظمة واسعة النطاق، وكذلك رفض النماذج الأيديولوجية الغربية لصالح نماذج أيديولوجية وتنموية لها صبغة أفريقية كأدوات لتحدى أدوات الرأسمالية العالمية وللاتجاه لحركة وحدوية أفريقية[3].

ثالثاً: الحدود السياسية والتمسك بالسيادة:

إذا كان رودنى يرى أن الوحدة الأفريقية ستكون الحل للعديد من مشاكل الحدود فى أفريقيا، لكنه يؤكد فى نفس الوقت على أن التقسيمات الصناعية لحدود الدول الأفريقية أثرت على إمكانية الوصول للوحدة، وذلك فى ظل عدم قبول فكرة تعديل أو إزالة تلك الحدود، ويرى أن الحدود فى حد ذاتها ليست المشكلة، ولكن المشكلة فى الطريقة التى وضُعت بها، وفى إدارة القوى الاستعمارية للعلاقات الاجتماعية داخلها، وفى أسلوب إدارة النخب الحاكمة للعلاقات داخل وبين الدول التى لها جماعات مشتركة عند الحدود، بل وتتمسك هذه النخب بذلك الحيز الجغرافى الذى تراه يعبر

---

(1) Walter Rodney:People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.77 & 78.
(2) Imanuel Geiss: **op.cit.,** pp.195-197.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.740
& - Horace Campbell: »Walter Rodney and Pan-Africanism Today», **op.cit.,** p.9.

عن سيادتها، وهذا ما شكل معوقاً أمام إمكانية الوصول للوحدة السياسية[١].

ويرى العديد من النخب الحاكمة أن التوجه الوحدوى هو عبارة عن انتهاك للسيادة الوطنية التى كافحت من أجلها لعقود طويلة، ويلقى ذلك التوجه دعماً من الغرب الذى يحاول الحفاظ على مصالحه وتغلغله داخل القارة، كما يحاول أن يستخدم النخب الحاكمة فى تحقيق ذلك[٢]، ولذا يؤكد رودنى على أن: «الحكام الأفارقة يفترضون أن الحدود السياسية الأكثر اتساعاً ستؤثر على رفاهية طبقتهم الصغيرة، وفى كافة أرجاء القارة لم ينكر أى من حركات التحرير شرعية الحدود السياسية التى تم تكوينها فى ظل الإمبريالية...وقد حاول أغلب الدول الأفريقية الصغيرة أن يعزز من حدود إقليمه...وحاولت الدول الرأسمالية الكبرى بطرق مباشرة وغير مباشرة وبسلوك فردى تارة وسلوك جماعى تارة أخرى أن تحافظ على وجود البرجوازية الصغيرة الأفريقية كطبقة حاكمة يتم استخدامها للتغلغل والتلاعب بالمجتمع الأفريقي»[٣]، ويكمن الحل عند رودنى فى: «أن تتم إزالة حدود الدول الأفريقية الحالية ليتم فتح المجال أمام إمكانية الوحدة السياسية والاقتصادية فى القارة»[٤].

رابعاً: واقع التنمية وتخلف الهياكل الاقتصادية:

أدت العلاقة التاريخية بين الأبيض والأسود إلى تكوين الثروة لصالح طرف على حساب استغلال الطرف الآخر، ولذلك ليس من الصدفة التاريخية أن تكون الثروة فى يد الأبيض، بينما يظل الأسود فى حالة من الفقر والتخلف بسبب الغرب؛ وذلك

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.118.
& - William Bascom: Tribalism, Nationalism, and Pan- Africanism, **Annals of the American Academy of Political and Social Science** (London: Sage Publication, Vol.342, July 1962), pp.26-29.
(2)Rupert Emerson: Pan-Africanism, **International Organization** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.16, No.2, Spring 1962), pp.275-278.
(3)Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....», **op.cit.,** p.732.
(4) **Ibid,** p.740.

حتى تظل القوة والثروة حكراً عليه[1] . ومع أن القارة من أغنى مناطق العالم فى الثروات والموارد الطبيعية، لكن كان - ولايزال- نمط الاستثمارات الأجنبية والشركات المتعددة الجنسيات والعلاقات الاقتصادية الغربية تهدف فقط إلى نهب وتحويل القيمة المضافة لصالح دولها، وحتى يحافظ الغرب على هذه الفوائد حاول أن يحافظ على القارة مقسمة ومفككة من ناحية، وأن تظل فى دور التابع بشكل دائم، وأن يقف أمام أية محاولة لتكوين هيكل وحدوى ينهى هذه العلاقة الاستغلالية من ناحية أخرى، بل ونجد البرجوازيات الصغيرة تصل لمعدلات من الفساد بها يخدم مصالحها ومصالح الفئات التى ترتبط بها، حتى لو كان ذلك ضد مصلحة شعوبها[2] .

لذلك يرى رودنى أنه لابد من تحدى الرأسمالية كنهج تنموى، ورفض أساليبها التى تحاول أن تفرضها على القارة، كذلك يجب أن يشكل الاعتماد على الذات المخرج الأساسى من هذه الأزمات الاقتصادية، وأن يكون ذلك أداة لتوحيد الجهود لمواجهة هذا الوضع الاقتصادى، وأن يسهل فى نفس الوقت النهج الوحدوى فى القارة، لأن: «الأوروبى استعبد الإنسان الأفريقي، بل واستعمر القارة أيضاً، ولم يتخيل أن بعضاً من هؤلاء العبيد سيكونون الأدوات التى يتم بها تحريرها»[3]، وحتى تقوم هذه الوحدة الأفريقية فإنها «تتطلب عدم تغلغل رأس المال العالمى، وأن يتم إنهاء استغلال الأفارقة من خلال تأسيس المجتمع الاشتراكى»[4].

خامساً : التأثيرات الثقافية والسيكولوجية السلبية للخبرات الاستعمارية :

يسهم الاستعمار وخبرات الاستغلال والعنصرية فى المعوقات سالفة الذكر، لكن رودنى يضيف إلى هذه المعوقات أثر هذه الخبرات الاستعمارية على النواحى الثقافية

---

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.19.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress…., **op.cit.,** p.737. **& -** Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125 & 126.
(3) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.9.
(4) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.740.

والسيكولوجية للسود، ومدى إحساسهم بالدونية، وافتقاد الثقة فى أنفسهم وفى قدرتهم على تغيير ظروفهم كأحد المعوقات الأساسية للوحدة الأفريقية(١)، فقد حال الاستعمار دون بروز برجوازية صناعية، وساهم فى تشويه الهيكل الطبقى، وحاول التلاعب بالتاريخ والحضارات الأفريقية، وتشويه ما تقدم من نماذج إيجابية، وأن ينكر الحقيقة القائلة: «بأن محاولات الثورة وحركة الجامعة الأفريقية التى تتم فى مختلف أرجاء القارة لها أسس ومبادئ راسخة فى الحضارات والثقافات الأفريقية التاريخية»(٢)، بل وحاول الغرب استخدام أدواته الثقافية فى تفكيك القارة الأفريقية، فكان: «على ما يبدو الاختلاف الظاهر فى اللغة السبب فى انقسام حاد فى حركة الجامعة الأفريقية...لذلك أصبحت الجامعة فى بعض الحالات بمثابة هيكل مجدب غير قادر على تحدى القوى الرأسمالية»(٣)، فى إشارة منه لأثر الاختلاف بين سياسة فرنسا وبريطانيا الاستعمارية على التوجهات الوحدوية فى القارة.

ويؤكد رودنى على أن أثر هذه الخبرات الثقافية والسيكولوجية السلبية لا يزال موجوداً عند الأفارقة «فلا تزال تركة الرق على كاهل الإنسان الأسود»(٤)، ذلك الإنسان الذى حاول الاستعمار أن يفقده ثقته فى نفسه لتصبح: «أنماط التفكير المسيطرة عليه الآن هى من ميراث الفترة الاستعمارية، ويتم تزكيتها من خلال أدوات وسلطات الدولة»(٥)، وقد أدى هذا الاتجاه الغربى: «إلى أن يترك فى عقول الأغلبية الساحقة من الأفارقة فى كل مكان أنهم لم يغيبوا تاريخياً تماماً، إنما يمكن للفرد أن يظل ساكناً لا تأثير له، ويمكن أن يتم الاعتماد على سكان بعينهم لخلق

(1) Rupert Lewis: **op.cit.**, pp.1-5. & - Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,**, p.4.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.**, p.69, 71, &80.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.**, p.737.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.25.
(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.**, p.733.

وحدة راسخة واسعة المدى فى وقت معين»[١]، مستهدفاً بذلك الوصول بالجماهير لسلبية الحركة، ولكن رودنى يرى: «أن هناك وقائع أساسية تشكل الوعى السياسي لذلك الأسود فى العالم الجديد تجاه القارة الأفريقية...من بين تلك الوقائع الحاجة إلى منظمة مشتركة؛ لأن هذه الوحدة ستحدد من هو العدو المشترك»[٢].

ويعبر رودنى عن توجه فكرى راسخ فى ثقافة وتاريخ القارة يرى أن الوحدة الأفريقية والوصول لبناء هيكل مؤسسى سياسي مشترك هو الحل للعديد من المشكلات الأفريقية، بل هو الحل أيضاً لجملة مشكلات الإنسان الأسود على المستوى العالمى، وقد حاول جذب الانتباه إلى ضرورة الاستفادة من الإرث الحضارى والثقافى والتاريخى المشترك فى تحرك السود نحو الوحدة، ولكن لابد أن تبدأ الأخيرة من حركة جماهيرية واسعة النطاق، وتحت قيادة فئات عانت من خبرات التفكك والتشرذم الذى عليه القارة. وأنه على الأخيرة أن تسعى لتعميق أوجه التنسيق فيما بين وحداتها وفى أسلوب تعاملها مع الغرب، وأكد على أن هذه الوحدة ستشكل الحل للعديد من المشكلات التى تمثل نقاط ضعف وأسباباً لتدخل الغرب فى الشئون الداخلية لدول القارة، ويرى أن القارة تمتلك العديد من أبعاد التنسيق وأوجه التقارب والمظاهر المادية التى يمكن أن تشكل أساساً لهذه الوحدة، ولكن عامل اللون احتل أولوية فى فكره من بين هذه الأبعاد، وإذا كان هناك العديد من التحديات المؤسسية والسياسية والفكرية التى تعترض سبيل الوحدة الأفريقية، فإن الخروج عن النماذج التى تفرضها الرأسمالية العالمية يمثل بداية منطقية لهذه التوجهات الوحدوية عند رودنى، كما يؤكد على أن أسس ومنطلقات تلك الوحدة راسخة وموجودة فى الثقافة والإرث الحضارى الأسود، ولذا فالوعى بهذا الإرث سيزيل العديد من العقبات والتحديات التى تجابه هذا التيار.

---

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.8 & 9.
(2) David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.

المبحث الثانى

أيديولوجية القوة السوداء

حتى تستطيع القارة الأفريقية أن تغير عدم التوازن الذى يشوب علاقتها بالغرب لابد لها من قوة سوداء تتصدى بها لتحديات وأهداف القوة البيضاء، ولذا حاول العديد من المفكرين وضع الهيكل الفكرى لهذه القوة، وكان من بينهم وولتر رودنى الذى حاول تقديم الرؤى والتصورات لنشأة هذه القوة وأهدافها وعلاقتها بالمفاهيم الأخرى ذات الصلة، متخذاً منها أداة لعلاج العديد من المواريث والخبرات الاستعمارية، ويضع بها حداً أيضاً لعدم التوازن فى علاقة أفريقيا بالغرب، ويمكن تناول رؤى رودنى للقوة السوداء فى ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: مفهوم القوة السوداء.
- **المطلب الثانى**: أهداف وأدوات القوة السوداء.
- **المطلب الثالث**: الروافد الفكرية للقوة السوداء.

المطلب الأول: مفهوم القوة السوداء

تشابه العديد من التيارات الفكرية الأفريقية فى العديد من جوانبها وأبعادها، ومن أهم تلك الأبعاد هو استخدامها للون الأسود فى سبيل تحقيق الأهداف والتطلعات التى تسعى إليها، فقد كان اللون من المحددات والمؤثرات الأساسية فى تيارات فكرية أفريقية عدة مثل: الجامعة الأفريقية وتطورها لوحدة سياسية بين الأفارقة، وتيار الوعى الأسود، وكذلك تيار الزنوجة، بل وكان للون الأسود تأثيره فى تيارات التنمية فى الفترة التالية للاستقلال، فقد حاول أنصار هذه التيارات وضع الصبغة اللونية على الرؤى والتصورات التى قدموها، ومن بين هذه التيارات التى

كان عامل اللون محدداً رئيسياً بها تيار القوة السوداء الذى برز بشكل مكثف فى ستينيات القرن العشرين فى العديد من الجامعات الغربية[١].

وقد قدم رودنى العديد من الرؤى لكيفية الوصول للقوة السوداء العالمية كأحد الأبعاد الفكرية لعلاج الأوجه السلبية فى علاقة أفريقيا بالغرب، إذ كان يؤمن بأن وصول أفريقيا للتعامل مع الغرب على قدم المساواة ليس بالأمر اليسير تحقيقه، ولن يتم ذلك سوى من خلال جهد مكثف يحقق الوحدة والتنمية كخطوات أولية نحو تحقيق القوة السوداء على المستوى العالمى، ولكن كان الاختلاف حول دور المجتمع التقليدى وموقعه فى هذا البناء الفكرى للقوة السوداء بين عدد من المفكرين[٢]، ولكن رودنى كان يؤمن أن القيم والحضارات والثقافات الأفريقية يجب أن تكون أساس أية محاولة لبناء القوة السوداء، وما تحتاجه القارة هو إعادة إحياء العديد من تلك النماذج[٣].

ويعرف رودنى القوة السوداء بأنها: «حركة وأيديولوجية تنشأ عن حالة القهر التى تعرض لها السود...فهى بمثابة عقيدة للشعب الأسود، وهى عن الشعب الأسود، ويبُشر بها بواسطة الشعب الأسود، فإنى أضع أمام الإخوة والأخوات السود أن لون بشرتنا من أهم سماتنا...فالقوة السوداء هى اعتراض على حالة اليأس وسياسة عدم فعل شىء، وتهدف إلى أن يتم إيقاف استغلال الأبيض للإنسان الأسود، وتدرك هذه الحركة عدم وجود قوة للسود، ولكنها تأمل فى الوصول للقوة على المستوى العالمى فى المستقبل»[٤].

(1) For More Information about the History of Black Power Movement look:
Peniel E. Joseph: "Toward A Historiography of the Black Power Movement» In Peniel E. Joseph (ed.): **The Black Power Movement: Rethinking the Civil Rights- Black Era** (London: Routledge, 2006), pp.1-25.
Simon Wendt: "The Roots of Black Power», In Peniel E. Joseph (ed.): **op.cit.,** pp.145-167.

(2) Imanuel Geiss: **op.cit.,** p.197 & 198.

(3) Walter Rodney: "African History in the Service of Black Liberation», **op.cit.,** p.67 & 68.

(4) Walter Rodney: "Black Power, a Basic Understanding», In Fred L. Hord (ed.): **I Am Because We Are: Readings in Black Philosophy**

ويرى رودنى أن القوة السوداء عبارة عن أيديولوجية، فهى بناء فكرى تغييرى لواقع اجتماعى معين، وقدم الآليات والأدوات التى تغُير هذا الواقع، وهو ما يعبر عن الشق الحركى لهذه الأيديولوجية إلى جانب الشق الفكرى/ المعنوى لها.

وينطلق رودنى فى تكوين هذا البناء الفكرى الأيديولوجى من تحليله لسمات المجتمع والخصائص التى يجب تغييرها، ويؤكد على أن هذا المجتمع يفتقد القوة على إحداث التغيير، ولذا يحتاج للعديد من الرؤى التغييرية التى يمكن من خلالها استئصال أوجه الضعف فيه، ويرى: «أن الشعب الأسود فقد قدرته على إدارة أمور حياته بسبب نتائج المرحلة الاستعمارية، والهدف الأساسى عند البيض أن يروا أننا لن نستعيد هذه القوة مرة أخرى»[١]، فقد تم إجبار الأسود على ترك نماذجه التاريخية، وبدأت مراحل من التخلف الاقتصادى مع الاتصال الأوروبى، وكذلك تفكيك العديد من الممالك والإمبراطوريات، وبدأت تجزئة ورسم حدود الدول بطريقة لا تتناسب ولا تسمح ببناء القوة، ولذلك فقد الشعب الأسود قوته داخل القارة، وبالطبع كانت العناصر التى تم نقلها إلى خارج القارة هى من أضعف الفئات التى توجد فى المجتمع[٢]، وحتى الاستقلال لم يعد بالقوة لهذه المجتمعات إذ إن: «هناك اعتقاداً خاطئاً بأن الإنسان الأسود قد حقق القوة مع الوصول للاستقلال، ولكن يظل من يحكم الشعوب السوداء غير مستقل ومجرد تابع للنظام الرأسمالى، وبالتالى لا قوة لهم، فهم ببساطة خدام للبيض»[٣].

وقد حاول رودنى تفسير افتقاد السود لهذه القوة فى ضوء العلاقة بين الأبيض والأسود، أو بين أفريقيا والغرب بمعنى آخر، فالقوة البيضاء هى من تحدد من هو

(Massachusetts: University of Massachusetts Press, 1995), p.182 & 186.

([1]) **Ibid,** p.184.

([2]) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.

([3]) Walter Rodney: "Black Power, a Basic Understanding», **op.cit.,** p.184.

الأبيض ومن هو الأسود، بل وتحدد مدى القوة التى ستكون لكل طرف منهما، ويرى أنه: «قد أصبح التعريف الأكثر اتساعاً الذى يستخدم على المستوى العالمى أنه إن لم تكن إنساناً أبيضاً فإنك أسود ويتم استبعادك من السلطة والقوة، لتظل السلطة والقوة بيضاء خالصة»[1]. ومن خلال هذه العلاقة التاريخية بين الأبيض والأسود، ونتيجة المكاسب التى حققتها القوة البيضاء ونجاحها فى السيطرة عالمياً أصبح الوضع: «أن الأبيض سيطر على السلطة والقوة فى كل جزء من العالم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وربما ثقافياً أيضاً»[2]، واستطاعت القوة البيضاء أن تتحكم فى حاضر الجماعات السوداء استعماراً واستغلالاً، بل وتحاول تحديد سمات وفرص مستقبل تلك الجماعات، وأصبحت محاولتها الدائمة أن يفقد هذا العالم الأسود قوته، وطمس هويته وتاريخه[3]. ولما كان عامل اللون غير قابل للتشويه أو التغيير أو الطمس، يرى رودنى أنه يجب السعى نحو بناء القوة على أساس من هذا العامل، وكل ما يحتاجه هذا العامل هو تصحيح بعض مدركات السود بإمكانية استخدامه والاستفادة من الفرص التى يمكن أن يوفرها.

وقد قدم رودنى القوة السوداء كأيديولوجية تغييرية لهذا الواقع الاجتماعى، حاول من خلالها علاج افتقاد السود للقدرات التغييرية، وقدم لها شقين أحدهما الشق المعنوى النظرى، والأخر هو الشق الحركى أو العملى.

ويتمثل **الشق المعنوى/ الفكرى** لأيديولوجية القوة السوداء عند رودنى فى رفض أفكار دونية السود التى قدمتها القوة البيضاء، وأن تحاول القوة السوداء أن تتعامل مع النواحى الفكرية والثقافية للمجتمع بهدف تعديل الوعى الثقافى للأجيال الحديثة[4]، فقد كان لأفكار القوة البيضاء تأثيرها فى العديد من القيم الحضارية والثقافية السوداء، لتصبح الثقة فى كل ما هو أبيض. وبذلك تصبح القوة السوداء

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.16.
(2) Walter Rodney: "Black Power, a Basic Understanding», **op.cit.**, p.183.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.21 & 22.
(4) Mazi E. N. Njaka: **op.cit.**, pp.12-14.

هى دعوة لتعريف النفس، وتعريف العالم على أسس من القيم السوداء، ليصبح أساس القهر والدونية فى الماضى هو أساس القوة فى الآونة الراهنة وفقاً لنماذج قيمية وثقافية سوداء، وتصبح لهذه القوة أبعاد مؤسسية (هياكل الوحدة الأفريقية)، وأبعاد ثقافية أساسها اللون الأسود، وكذلك هياكل اجتماعية واقتصادية تبُنى جميعها على أساس من اللون الأسود، وتهدف لإعادة هيكلة العلاقة مع الغرب وهى تتمتع بذات القوة التى تناظر القوة البيضاء[1].

وكانت رؤى رودنى بمثابة صرخة أو دعوة Appeal للسود حتى يستخدموا رموزًا وأسباب الرق والاستعمار والعنصرية التى تعرضوا لها لتصبح أسباب التماسك والقوة، إذ يقول: «يجب أن يكون فى عقولكم صورة الأيام الماضية بوضوح، نحن نعيد التأكيد على ضرورة استمرار الصراع، ونقول: نحن مستعبدون بسبب ذلك، ولابد أن نكمل الصراع»[2]، وينتقد كره السود للون بشرتهم قائلاً: «إن اللغة التى نستخدمها نحن السود فى وصف أنفسنا توضح كيف أننا نسخر من مظهرنا الأفريقي، فالشعر الجميل يعنى الشعر الأوروبى، والأنف الجميلة تعنى الأنف المستقيمة، والبشرة الجميلة تعنى البشرة البيضاء، وكل شخص يعرف مدى تنافر وقبح مثل تلك الأوصاف، ومازلنا نستخدمها كتأكيد على الافتراض القائل بأن الأوروبيين قد استحوذوا على معدلات ومظاهر الجمال، وأصبح الأسود هو تجسيد للقبح، وهذا ما جعل القوة السوداء تجد أنه من الضرورى التأكيد على أن اللون الأسود يعنى الجمال»[3].

وبالرغم من مكانة اللون فى الرؤى والتصورات التى قدمها رودنى والذى سيصبح أساس الوحدة وأساس القوة، فإنه لم يطرح فكرة عنصرية سوداء، بل كانت دعوته للتناسب بين القوة التى تحصل عليها جماعة ما وبين عدد أو وزن تلك الجماعة فى

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.111-113.
(2) Walter Rodney: Sign of the Times: Rodney's Last Speech, **op.cit.,** p.15.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.33.

المجتمع، إذ يقول: «حركة القوة السوداء ليست متعصبة إثنياً، ولكنها تعبر عن أمل لدى الإنسان الأسود فى أن تكون له القوة ليحدد مصيره، هى ليست متنافرة مع المجتمعات المتعددة إثنياً، حيث إن كل إنسان فى هذه المجتمعات يتم التعامل معه بالمساواة، وفى هذه الحالة تصبح السلطة والقوة موزعة بين الجماعات الإثنية المتعددة»[١].

ويهدف رودنى إلى تكوين واستغلال القوة الشعبية، بمعنى التعبئة الجماهيرية وحشد القوى الشعبية من الشعب الأسود ليصل إلى كامل التحرير الذاتى وكامل حقوقه، ولذلك عبر نشاطه العملى عن ذلك الهدف مؤكداً على أن الوعى والتثقيف الجماهيرى من وسائل تنمية القوة السوداء[٢]، فالجماهير السوداء عنده هى أساس الحركة والمعرفة، لذا كانت دعوته للمفكرين والمثقفين بالعمل بين هذه الجماهير حيث إنها مصدر جميع الرؤى والتصورات التى يقدمها المفكر؛ لأن هذه الرؤى تهدف إلى تعديل وتغيير حياتها[٣]، ولذا كانت دعوته للجماهير بقبول القوة السوداء، وترك الخلافات والصراعات التى بينها، إذ يقول: «تدعو القوة السوداء للتخلص من سيطرة البيض، وأن يعود السود للإمساك بزمام مصيرهم... لابد للسود أن يبدؤوا فى الطابع الهجومى، وإن كان لأحد أن يخجل فسيكون البيض»[٤].

وبالنسبة **للشق الحركى أو الجانب العملى** من أيديولوجية القوة السوداء فإنه يتمثل فى محاولة رودنى دفع السود لمراجعة العديد من جوانب حياتهم، والتى ستثبت أفضلية وسمو النماذج السوداء، وأنها ستكون هى الأجدر أن تُتبع، وأن هذه الجماهير ستقبل على ترك كل ما هو أبيض لصالح الأسود فى العديد من القيم والمجالات العملية، ومن أهم تلك المجالات التى تستحق إعادة النظر:

١) **العلاقة بين الجماعات فى المجتمع**: يؤكد رودنى على أن القوة البيضاء

(1) Ibid, p.29 & 30.
(2)Horace Campbell: Walter Rodney: A biography and Bibliography, **op.cit.** p.133 & 134.
(3)Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.12.
(4)Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.25 & 62.

والثقافة الغربية هى ثقافة استبعادية واستعبادية للآخر، ويستشهد بأن: «المجتمع الأمريكى استمر فى العنف تجاه السود، وأنكر أى قوة تأثيرية لهم فى المجتمع...وتم تجاهل مطالبهم، لذلك كان يموت مئات وآلاف منهم بسبب سوء حالة المياه والمسكن والتغذية»[1]، وبالرغم من ذلك حارب السود إلى جانب القوة البيضاء من أجل الحفاظ على الرأسمالية والديمقراطية الغربية، ولكن فى المجتمعات الأفريقية لا يعنى السعى للقوة فيها أن يتم رفض الآخر أو أن تصل إلى العنصرية[2]، ولذا يؤكد على أنه: «ليس للقوة السوداء موقف من الملونين أو ذوى اللون الأحمر، أو الذين يطُلق عليهم بيض غرب الإنديز، فعلى الحركة أن تترك المجال مفتوحاً أمام هؤلاء وتجلعهم هم من يختارون»[3].

لقد تأثر رودنى بطبيعة المجتمع الذى نشأ به، والذى شهد تدخل القوة البيضاء لتفتيت الحركة الوطنية وإشعال الخلافات والصراعات بين الجماعات التى يتكون منها الشعب الجويانى[4]، فقد عاصر فترة اتساع قاعدة القوة البيضاء واستخدامها لعناصر ملونة وسوداء فى قهر واستغلال الجماعات السوداء[5]، ولذا يؤكد على أن القوة السوداء تسعى لاستقطاب كافة الجماعات الاجتماعية فى المجتمع دون الاهتمام بالاختلافات الإثنية والطبقية كما هو حال القوة البيضاء[6]، وأن «تصبح القيادة السياسية السوداء على وعى بضرورة وأهمية الحرب من أجل القوة، والحرب ضد القوة البيضاء داخل وخارج بلادهم»[7]، دون أن تؤدى هذه القوة السوداء لاستبعاد الآخر، ولا أن تشتمل على ممارسات عنصرية ضد هذا الآخر.

(1)Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.187 & 188.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.25.
(3) **Ibid,** p.29 & 30.
(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.116 & 117.
(5) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164.
(6) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.126.
(7) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.180.

٢) **محتوى العملية التعليمية**: يرى رودنى أن محتوى العملية التعليمية والحياة الفكرية والثقافية والحضارية والتعليمية كان أفضل حالاً قبل وصول الأوروبيين للقارة، ولكن بسببهم تم إيقاف التطور الذى كان يحدث فى هذه المجالات، بل وأصبح محتوى العملية التعليمية يدفع لتخلف القارة وليس تقدمها، فهو لا يقترب من المشاكل والقضايا الأفريقية، ولا ينطلق من سمات المجتمع الأسود[١]، بل ويرى أن التعليم التبشيرى والإرساليات كانا من أدوات هذه الإمبريالية الثقافية[٢].

لذا اهتم رودنى بدور المؤسسات التعليمية فى بناء القوة السوداء، وكيف يمكن أن يكون لها دور فى رفع مستوى الوعى الجماهيرى بالقيم والحضارات والنماذج الثقافية الأفريقية وفى الكفاح المعاصر، بدلاً من أن تحتوى هذه العملية التعليمية على تقديم وتمجيد القيم والنماذج الغربية، وأوضح أيضاً كيف أنه سيكون للمفكر والمثقف الأسود دور فى بناء تلك القوة السوداء إذا استطاع أن يتحرر ذاتياً من سيطرة الثقافة الرأسمالية[٣]، ولذا: «لابد أن يكون هدف القوة السوداء فى غرب الإنديز أن يتم تحويل المثقفين لخدمة الجماهير السوداء، وأن يكون هدف هذه القوة داخل وخارج الجامعة هو أن تتغلب على الثقافة الإمبريالية البيضاء»[٤]، وبهذا يستطيع الأسود أن يتحرر من تأثير القيم والثقافات الغربية، وأن يدرك حقيقة وقيمة القيم والثقافات السوداء. ويحدد رودنى دور المثقفين فى ثلاث مهام، يبدأها بدور والتزام واجتهاد المثقف والمفكر الأفريقي فى مهاجمة التشوه الذى أحدثته الرأسمالية فى القيم والتعليم والثقافة الأفريقية، ويكون البعد الثانى لهذا الدور فى تحرك المثقفين خلف هذا الالتزام وسعيهم لتدمير الأساطير الاجتماعية الراسخة فى أذهان السود، وثالث هذه الأبعاد هو التأكيد على ضرورة ارتباط المفكر بعمل ونشاط الجماهير بشكل عملى[٥]، وهذا ما سيفتح المجال

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣١٣-٣٤٢.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.124.
(3) **Ibid,** p.125 & 126.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.32.
(5) **Ibid,** p.63 & 64.

لإدراك واضح وصحيح من هذه الجماهير للقيم والثقافات والحضارات التاريخية الأفريقية، وهو ما يشكل تصحيحاً مهماً لمسار العملية التعليمية وما قُدم فيها[١].

٣) **في المجال الديني:** يرى رودنى أن القوة البيضاء من خلال سيطرتها على أدوات تشكيل الوعى قد نجحت فى تشويه العديد من المعتقدات الدينية التقليدية، واستخدمت الرموز الدينية المسيحية فى ذلك لتصل من هذا إلى زيادة القوة البيضاء، وإثبات دونية الإنسان الأسود، ولذلك يقول: «يعتبر المظهر الأساسى لمرض مجتمعنا بقضية العنصرية هو احترام مكانة الرموز الدينية المسيحية البيضاء، الإله الأب أبيض، والإله الابن أبيض، وربما الإله الروح القدس أبيض أيضاً، وكذلك التلاميذ والقديسون من البيض، وربما الشاروبيم والسيرافيم والملائكة من البيض، عدا الشيطان فهو أسود، حيث إن اللون الأسود يمثل الشر»[٢].

لم يناد رودنى بلاهوت أسود لكل العالم، بل كانت دعوته إلى لاهوت لكل جماعة لونية أو إثنية يتناسب مع المعطيات الثقافية والاجتماعية والقيمية لهذه الجماعة، وأن يبدأ السود فى التحرر من القيم والنماذج البيضاء التى تسيطر على قيمهم الدينية، ولذا يتساءل: «إذا كان العنصر الأبيض يشكل فقط ٢٠٪ من سكان العالم، وباقى سكان العالم ليسوا من البيض، فهل عليهم أن يقبلوا أن كل سكان السماء من البيض... لماذا لا يصبح الله وجميع الملائكة من الصين؟ والواقع أنه لا يوجد سبب واقعى يمنع أن تحاول كل جماعة أن تزود نفسها بالرموز الدينية، ولذلك يمكن أن تكون صورة المسيح حمراء، أو بيضاء، أو سوداء... لماذا كل طهارة وقداسة لابد أن تغُطى باللون الأبيض، بينما يلُون الشيطان والشر باللون الأسود، هذا يعنى إهانة ذاتية صارخة»[٣].

لقد تأثر رودنى بأفكار ماركوس جارفى عن اللاهوت الأسود، ولكنه يؤمن بأن

---

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.8 & 9.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.33.
(3) **Ibid,** p.33 & 34.

لكل جماعة حرية اختيار الأدوات التى تعبر بها عن معتقداتها الدينية، ولذا يؤكد على أنه: «يجب أن نأخذ شعارالنجم الأسود من ماركوس جارفى، وسوف نتعامل مع المجموعات الأخرى على أساس أن لنا نفس الحقوق، وأنهم ليست لهم ميزة ليستغلوا الأفارقة كما كان سائداً فى فترة تجارة الرقيق وما تلاها»[١]، ويؤكد على أفضلية القيم والمعتقدات الدينية الأفريقية التقليدية فى العديد من جوانبها عن تلك التى للغرب، بل ويرى أن تحول الأفارقة للمسيحية فى الكثير من الأحيان كان اسمياً وتحت ضغط وممارسة القوة، وليس لأنها أفضل من المعتقدات التقليدية[٢]، وحتى يستطيع السود أن يستحوذوا على القوة يجب أن تكون لهم منظومة المعتقدات والرموز الدينية التى تتناسب مع طبيعتهم وقدراتهم وسماتهم.

٤) **التاريخ الأفريقي**: يرى رودنى أنه حتى يتسنى للقوة البيضاء أن تسيطر على شعب ما فإنها كانت إما أن تبيد هذا الشعب كاملاً لتفتح المجال لها، أو أن تستعبده وتُبعده عن نماذجه وإرثه الحضارى والثقافى، وكانت الطريقة الأولى هى آلية سيطرة البيض على أرض الهنود الحمر، فى حين اتبُعت الطريقة الثانية مع مناطق الحضارات كالهند وأفريقيا[٣]، ولذلك كانت دعوة رودنى إلى ضرورة إحياء العديد من النماذج الثقافية والحضارية، وأهمية الوعى التاريخى بقيمة أفريقيا حضارياً، وبدور السود فى التاريخ العالمى، وعن طريق ذلك الوعى تبدأ الثورة والقوة السوداء فى إضعاف مراكز السلطة الاستعمارية، وتحقق السيطرة الفكرية على شعوبها[٤].

٥) **المنظومة القيمية السوداء**: من المجالات الأساسية التى أكد رودنى على ضرورة إعادة النظر فى محتواها وفى أثر الخبرات التاريخية الاستعمارية عليها هى المنظومة

---

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.113.
(2) Walter Rodney: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African Enslaved in the New World, **The Journal of Negro History** (Chicago: Association for the Study of African American Life and History, Vol.54, No.4, October 1969), p.341, 342, &345.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.17.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.67 & 68. =

القيمية المسيطرة على المجتمع؛ لأنه يؤمن أن الشعب الأسود لكى يصل إلى القوة والسيطرة لابد أن يراجع منطلقاته القيمية والحضارية والتى سيدرك سمو وأفضلية مكوناتها عن تلك التى للبيض، إذ قام بوضع التماسك والترابط الجماعى لدى السود فى مقابل السعى نحو المصلحة الفردية عند البيض، ووضع كرم الضيافة والمسئولية الجماعية لدى السود فى مقابل القيم الفردية والمصلحة الشخصية كأساس للمجتمع الأبيض، وأيضاً احترام كبار السن عند الأفارقة فى مقابل رفض مثل تلك الفئات من البيض؛ لأنها فئات غير منتجة، ووضع قيمة احترام القانون الذى ينبع من التزام أدبى عند السود، فى حين يبرر احترام القانون لدى البيض بالخوف من العقاب(١)، ويؤكد أن إدراك السود لهذا السمو القيمى سيسهل من قيام القوة السوداء لأنه: «أنا إنسان أسود قد تعرضت لعملية الرق، ولا أستطيع أن أنظر حولى وأقول إن المجتمع الأوروبى كان متحضراً...لا أستطيع أن أشارك فيما يطلق عليه الفرنسيون العملية الحضارية؛ لأن ذلك كان استعماراً، وهذا التعريف لا نستطيع أن نقبله نحن كشعوب سوداء»(٢).

٦) **الوضع الاقتصادى والتنمية**: حتى تصل الشعوب الأفريقية للقوة السوداء عليها أن تعيد النظر فى طبيعة الوضع الاقتصادى الموجود فى القارة، لابد أن تدرك كيف كان الوضع قبل الاتصال الأوروبى، وماذا حدث بعد هذا الاتصال، وقد سبقت الإشارة لرؤى رودنى حول هذا الوضع، وأثر هذا الاتصال عليه(٣)، ولكن التساؤل الذى يطرحه رودنى حول سبب أن: «يتزامن ويتصل الفقر دائماً مع اللون الأسود أياً ما كان حجم السكان وطبيعة المناخ، أو مدى فقر وغنى البيئة الطبيعية بالموارد، لقد اخترق الفقر كل هذه الظروف ليصل للشعب الأسود...ليست صدفة

=& وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٤٧ و ٤٨.

(1) **Ibid,** pp.74-77.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.73.
(3) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion…, **op.cit.,** p.225, 229, 240, & 241.

تاريخية أن توجد الثروة مع الإنسان الأبيض فى حين يظل السود فى حالة من الفقر، إن ذلك ناتج عن طبيعة العلاقة بين الأبيض والأسود»[١]، بمعنى آخر إن العلاقة هى بين شعب أبيض يملك القوة واستطاع استخدامها فى مواجهة شعب كانت له أسس تلك القوة وتم تجريده منها، لأنه: «لا يحتاج أنصار القوة السوداء إلى أن يتم إخبارهم بأن يحزنوا على اغتيال العناصر السوداء الذى تم على يد القوة البيضاء، لأنهم يحزنون هنا كل يوم عندما تجعلهم القوة البيضاء جاهلين، وعاطلين، وقليلى الكساء، وقليلى الطعام، وسوف يتوقفون عن الحزن عندما تتغير تلك الأشياء، وهذا يعنى الثورة، وأن نكسر القيود التى أوثقنا بها الإمبرياليون البيض»[٢].

إذن القوة السوداء عند رودنى هى أيديولوجية تغييرية تهدف لبناء هيكل يستطيع السود من خلاله تغيير ظروف مجتمعهم والخروج من حالة التبعية للقوة البيضاء، ولكن يجب أن يتم ذلك فى ضوء مراجعة السود للعديد من جوانب حياتهم للكشف عن إيجابيات الحضارة والثقافة الأفريقية التى تشكل منطلقات أساسية نحو القوة، ولذلك فإن: «إثنية بدون سلطة أو قوة هى إثنية بدون احترام...يجب أن تكون للسود قوة تتناسب مع عددهم ومع إسهاماتهم، وحتى يصلوا إلى ذلك لابد أن يحاربوا»[٣]، ويرى أن تلك القوة هى الأداة المعادلة للقوة البيضاء المسؤولة عن الوضع الحالى فى أفريقيا، ويعول رودنى على دور الحركة الجماهيرية المنظمة لإدراك تلك القوة، وفى التخلص من البرجوازيات التى تخدم مصالح الرأسمالية العالمية، وأن هذه الحركة الجماهيرية ستقف حائلاً دون تغلغل القوى الغربية فى مجتمعات ما بعد الاستقلال، ولكن يجب أن تكون هذه الحركة منظمة وعلى درجة من الوعى بمشكلات حاضرها وقيمة ماضيها ومخاطر مستقبلها[٤].

---

(1) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.184 & 185.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.30-32.
(3) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.187.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.108, 111, & 112. **&** - Clive Thomas: **op.cit.** pp.8-10. **&** - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.25 & 26.

المطلب الثانى: أهداف وأدوات القوة السوداء

لم تكن أنشطة وولتر رودنى فى المجتمعات التى عاش فيها تتسم بالروتينية كغيره من الطلاب والأساتذة والمفكرين، ولكن كانت هذه الأنشطة تعبيراً واضحاً عن جملة من الرؤى والتصورات الساعية لتعديل وتغيير واقع المجتمع الأسود، ومحاولة الإسهام فى تغيير طبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب من خلال محاولة بناء ائتلاف القوة السوداء العالمى. ويؤكد العديد من محللى نشاطه والرؤى التى قدمها على مركزية وأهمية القوة السوداء فى فكره ونشاطه وخصوصاً فى الفترة التى كان موجوداً فيها فى جامعة غرب الإنديز سواء للدراسة أو للتدريس بها، والتى كللها بنجاحه فى عقد اجتماع لحركة القوة السوداء داخل هذه الجامعة بجاميكا فى ١٣ مايو عام ١٩٦٨، وبحضور نحو ثلاثمائة شخص من أنصار هذه الحركة، وكان يهدف من هذا الاجتماع إلى أن يتم الكشف عن طبيعة توجهات مفكرى ومؤسسات ومنظمات هذه الحركة[١]، وكان أبرز ما نتج عن هذا الاجتماع هو التحديد الدقيق لأهداف القوة السوداء فى التالى:

أولاً: خلق الوعى الأسود بضرورة الحصول على القوة:

يؤكد رودنى على أن استغلال الإنسان الأسود والاتجار فيه واستعماره يأتى بالأساس من عدم الوعى بحقيقة ومدى قوته وما يمكن أن يقوم به[٢]، ويبرهن على تلك القوة بأن الشعب الأسود قد حارب إلى جانب الغرب للحفاظ على القوة البيضاء، ومن أجل الحرية والديمقراطية كأهداف معلنة، ويتساءل: «إذا كان السود قد حاربوا من أجل حرية وقوة الغرب، أليس الوقت مناسباً لكى يحاربوا من أجل حريتهم وقوتهم ورغباتهم؟!»[٣]، ويؤكد على أن: «القوة السوداء كحركة وأيديولوجية تنشأ

(1) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power….,**op.cit.,** P.17.
(2) **Ibid,** p.21.
(3) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.187.

نتيجة القهر الذى تعرض له السود فى العالم الإمبريالي الجديد من الشعب الأبيض»[١]، ويفسر ذلك فى ضوء افتقاد السود للقوة التى يجب السعى إليها.

ويرى رودنى أن السعى نحو امتلاك القوة يجب أن يكون من المطالب ذات الأولوية للشعب الأسود، فإنه: «قد أدرك قطاع واسع من شباب السود أنهم لن يتراجعوا عن الحرب من أجل السيطرة...وكان لعنف السنوات الماضية أثره فى جعل متطلبات السود الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أكثر شرعية...فلابد أن يتم الاهتمام برغبات وطلبات السود فى الحياة اليومية...ويأتى ذلك من احترام قوتهم، ولكن يمكن أن يتم استخدام هذه القوة للتدمير إذا لم يتم التعامل معها على أنها قوة إصلاحية»[٢]، فالقوة السوداء لن تتحقق سوى من خلال درجة من الوعى تمكن الإنسان الأسود من «أن يتخلص من سيطرة القوة البيضاء...ويحاول إعادة هيكلة مجتمعه على الصورة السوداء»[٣].

ويصف البعض القوة السوداء عند رودنى بأنها «قوة العبيد» الذين كانوا فى الرق ومن انحدر من نسلهم[٤]، وهى دعوة لاستخدام أسس وأسباب الخضوع كرمز للوحدة والقوة والتماسك بين السود، إذ يقول: «القوة السوداء كشعار لا يزال حديثاً، ولكنها كأيديولوجية وحركة لها عمق تاريخى...فى الوقت السابق كنا نستجدى البيض قائلين رجاءً إننا نبتسم لذلك أسناننا تضيء وجوهنا، لكن هذا هو وقت أن نزمجر أكثر من أن نبتسم»[٥].

ويصل رودنى فى تأكيده على القوة وأهميتها للسود إلى إكساب الشرعية لمظاهر وأساليب استخدامهم للعنف للحصول على الحقوق والمتطلبات، ويرى أن القوة البيضاء قد استطاعت من خلال العنف أن تكتسب الشرعية للعديد من الرؤى والتصورات الخاطئة التى سهلت سيطرتها على العالم، ولتحدى هذه القوة يحتاج السود لاستخدام

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 62.
(2) **Ibid,** p.23.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: op.cit., p.164.
(4) Rupert Emerson: **op.cit.,** p.281 & 282.
(5) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.21 & 22.

ذات الأدوات، ولذا يعطى رودنى نوعاً من الشرعية السياسية للعنف الذى يمكن أن يستخدم من السود، فيقول: «بأى معيار يمكن المساواة بين العنف الذى يستخدمه السود المظلومون والمقموعون والمكبوحون والمكتئبون لمدة أربعة قرون مع عنف الفاشيين البيض، فالعنف الذى يهدف لعلاج الهوية الإنسانية والوصول للمساواة لا يمكن الحكم عليه بنفس معايير العنف الهادف للتميز والقمع»[١]، وكأنه يكسب العنف والقوة مبرراً أخلاقياً بقوله: «هل يصبح العنف الذى يستخدمه العبد تجاه السيد شراً، فى حين لا يصطبغ العنف الذى يستخدمه السيد تجاه العبد بهذا الشر، فالحرب والعنف الذى سيقوم به السود هو من أجل الوصول لحريتهم وتحقيقاً لرغباتهم»[٢].

ويعول رودنى على الوعى الجماهيرى وحركة العامة من الشعب فى إدراك القوة السوداء مؤكداً على أن مفاهيم الثقافة القومية والقوة السوداء والوعى الأسود ستجد رافضين لها بين النخب الحاكمة التى نشأت على أساس من القوة البيضاء والقيم الغربية[٣]، حيث يؤكد على أنه: «من المعروف أننا شعب مقهور؛ لأننا لا نستطيع أن نحمل سلاحاً يسهم فى تحريرنا...إن الإدراك الدقيق للأمور يؤكد على أن الحرية الأفريقية لا يمكن الحصول عليها دون بناء عناصر إيجابية فى تاريخ العنصر البشرى»[٤]، فالقوة السوداء هى التى تعطى الإنسان الأسود القدرة على تحديد مصيره، ولكن هذه القوة لابد لها من درجة وعى بأهدافها وكيفية استغلالها، إذ يقول: «الإنسان الأسود ليست له قوة، ولا يستطيع أن يحدد مصيره أيضاً...يمكن أن يدرك الإنسان الأسود أننا فى موطننا لا نملك القوة والسلطة، ويتم التميز ضدنا أيضاً فى العالم الخارجى، ويعانى السود من الفقر فى كل مكان، فيمكن أن تضع صورة مزدوجة تجمع بين الأبيض يستحوذ على القوة ويستخدمها

(1) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.182.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.22 & 23.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.3 & 4.
(4) David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.

فى إذلال الإنسان الأسود، وهذه هى صورة العالم بشكل عام»[١]، كما يؤكد رودنى على أن الجماهير السوداء لديها القدرات والمؤهلات التى تصل بها إلى درجة من الوعى والقوة، ويدرك أيضاً أن الغرب: «لا يريد هذا الهيكل للقوة والسلطة، ولا يريد أن تصل الجماهير إلى درجة من الوعى أو درجة من الوحدة الحقيقية»[٢]، ولذا يصبح للمثقفين الدور المحورى فى تجهيز وقيادة الحركة الجماهيرية، ورفع مستوى الوعى بضرورة الحصول على القوة وسبل استخدامها[٣].

ثانياً: تنمية الإنسان الأسود وتعبئة الشعوب السوداء للعمل فى صالحها:

يؤكد رودنى على أن «الكفاح من أجل الاستقلال كان عملية ثورية تنبعث بالأساس من جماهير الشعب، وتكتنف كافة الطبقات الاجتماعية، وقد تراجع بعض الحكومات الاستعمارية أمام قوة التنظيمات السياسية الشعبية... فى حين استطاع بعض الدول الاستعمارية أن يضمن استمرار وتخليد وجوده، واستمرار طبيعة الاقتصاد الإمبريالي الدولى»[٤]، فالهدف الثانى للقوة السوداء هو دفع الجماهير للعمل من أجل التنمية الذاتية بجهود هذه الجماهير التى تتم تعبئتها للعمل فى صالحها، ويدلل على إمكانية تحقيق الجماهير لهذا الهدف بمجهوداتها فى تنمية والحفاظ على القوة البيضاء نفسها[٥]، وكذلك فقد تراجعت تجارة الرقيق والمد الاستعمارى تحت تأثير التعبئة الجماهيرية والوعى من السود[٦].

وتظهر القوة السوداء ويعُبر عنها عندما تصل الحركة الجماهيرية إلى درجة من الوعى والتنظيم والتعبئة للعمل لصالح أهداف سوداء تسهم فى تغيير الظروف

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.17 & 19.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.733.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.
(4) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.11.
(5) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.187.
&. - وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٩١-٢٦٣.
(6) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.26.

الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والهياكل السياسية التى يعيش السود فى كنفها، أى عندما تتم إعادة توصيف العلاقة بين الجماهير السوداء وبين الشعوب التى تعيش هذه الجماهير فى كنفها خارج القارة، وبين الجماهير وبعضها البعض داخل القارة[١]. ويؤمن رودنى بأن الجماهير السوداء لديها القدرة على إعادة تعريف نفسها، وإعادة تعريف العالم من وجهة نظر سوداء، ولكنها تحتاج إلى درجة من الوعى الذى يصل بها إلى القوة للقيام بذلك، ولذا يجعل للمثقفين الدور المحورى فى إيجاد هذه الدرجة من الوعى التى تحتاجها القوة السوداء[٢].

وقد اهتم رودنى فى أنشطته العملية وكتاباته ورؤاه النظرية بالوسائل التى يمكن من خلالها تعبئة الجماهير ورفع مستوى الوعى، وكان نشاطه بين الجماعات السوداء دليلاً على محاولة تنفيذ هذا الاهتمام بشكل عملى، وفى بعض المراحل وجه نشاطه لكل من هو غير أبيض ليضمن درجة أوسع من التعبئة الجماهيرية، وانتقد حالة الخضوع التى كان عليها بعض الجماهير قائلاً: «قد قبلوا إلى حد كبير بالقليل من الأمن الاجتماعى والاقتصادى، وأصبحوا أضيق أفقاً، وأحجموا عن إثارة أى ثورة للمطالبة بتحسين ظروفهم لخوفهم من فقدان أية فرصة مستقبلية لتحسين وضعهم، وتناسوا علامتهم الكبرى وهى لون بشرتهم وتاريخهم، وأخيراً فقدوا العلاقة والاتصال فيما بينهم»[٣]، كما كان يرغب فى أن يجعل المجموعات التى تنظر إليها النظم على أنها لا فائدة منها، ولا تشكل خطراً أن تصبح هى التى تهتم بتنمية ذاتها للحصول على القوة لتغيير ظروف حاضرها وتنمية فرص مستقبلها[٤]، ويرى أن هذه الحركة لابد أن تتكون من طبقات العمال والفلاحين تحت قيادة تبرز من

(1) Peniel E. Joseph, **op.cit.,** p.2 & 3.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** pp.18-20.
(3) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.9 & 10.
(4) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power…., **op.cit.,** P.9 & 10.

تلك الحركات الجماهيرية ليست مفروضة وليست من الهيراركية الإدارية للدولة[١].

ثالثاً: رفض إمبريالية الثقافة البيضاء:

يختلف الباحثون فى تحديد المدى الزمنى لظهور القوة السوداء كحركة، حيث يرى البعض أنها ظهرت مع مرحلة الكساد العظيم فى مستهل ثلاثينيات القرن العشرين، فى حين يؤرخ لها آخرون بنهاية الحرب العالمية الثانية، ويرى فريق ثالث أن بدايتها كانت مع بروز حركات التحرير وبداية حصول الدول الأفريقية على الاستقلال فى منتصف القرن المنصرم[٢]، ولكن رودنى يرى أن القوة السوداء ظهرت فى النصف الأول من القرن العشرين كأيديولوجية لها بعض الجوانب المؤسسية، ولكنها كفكرة وتوجه عقلى ومبدأ يؤمن به السود يمكن أن يؤرخ لها منذ بداية العلاقة بين السود والغرب، وخصوصاً مع محاولات الغرب ممارسة الإمبريالية الثقافية، ولذلك ينظر رودنى إلى القوة السوداء باعتبارها علماً وفلسفة تهدف إلى تحرير الإنسان الأسود من سيطرة القيم والثقافات البيضاء التى أُجبر على اتباعها فى العديد من الأحيان، ويصبح الهدف الأساسى لها هو تحرير عقلية الإنسان الأسود وتمكينه من البحث فى القيم والحضارات والثقافات التاريخية له ليجد النماذج التى تناظر وربما تفوق ما يفرضه الغرب[٣]، فقد استطاع الغرب عن طريق تلك النماذج أن يوسع الهوة الفاصلة بين ما هو أبيض وما هو أسود بشكل جعل الإنسان الأسود ذاته يرى أن كل ما هو مصدر ثقة وأجدر أن يُتبع هو ما يأخذ الأبيض لوناً له على حساب ترك القيم والثقافات السوداء، بل ووصل الأمر إلى خجل البعض من أن يعترف بأنه ينتمى إليها[٤].

ويؤكد رودنى على أن أربعمائة سنة من الرأسمالية وأدواتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد أثرت على المنظومة القيمية وعلى طموحات وتطلعات السود، بل

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.9.
(2) Peniel E. Joseph: **op.cit.,** p.6 & 7.
(3) Mazi E. N. Njaka: **op.cit.,** p.13 & 14.
(4) Imanuel Geiss: **op.cit.,** p.195 & 196.

ويرى أن الغرب حاول الحفاظ على هذه السمات فى الفترة التالية لحصول الدول الأفريقية على الاستقلال، إذ يؤكد «إنى أثق فى أن استخدامى لمفاهيم «كالرأسمالية» و«الإمبريالية» و«الاستعمار الجديد» لن يُحسب أنه مجرد غطاء لقصد سيئ منى، ولكن انغماسى فى الاهتمام بمثل تلك المفاهيم كان بهدف معارضة نظام يتصف بالبربرية وعدم الإنسانية، ذلك النظام الذى ينتزع بعض الأفارقة كنوع من الاستعباد، ويتم إبعادهم عن أرضهم كأنهم دواب مستعبدة، وكأنهم ليسوا آدميين، ولذا يخرجون عن القانون فى مثل تلك الأماكن، وفى مثل تلك الظروف لا يطلب الفرد فى هذا الشعب أكثر من أن يُسمح له بالتعليم والمشاركة، وأن تتم قيادته بواسطة الثورة الأفريقية فى هذا الجزء من القارة، ويصبح هدف تلك الثورة هو أن يتم فقط تحطيم هذا النظام الفاحش/ الظالم، ويتم استبداله بمجتمع اشتراكى»[١].

ولذا فبداية القوة السوداء تكون فى قطع العلاقة مع الرأسمالية العالمية ونماذجها وقيمها لصالح نماذج وقيم من الثقافة الأفريقية، وتوجهات أيديولوجية تتناسب مع طبيعة المجتمعات الأفريقية، ويرى أن فئات العمال والمثقفين ستكون أكثر إدراكاً لخطورة هذه الرأسمالية وأدواتها؛ لأنها أكثر الفئات التى تعرضت لعنصرية واستغلال أدوات هذه الرأسمالية[٢].

ولذا ستكون آليات وأدوات القوة السوداء أكثر فاعلية إذا كانت موجهة ضد الرأسمالية ولرفض الإمبريالية الثقافية، إذ يقول: «لايمكن أن تكون هناك عدالة كاملة تحت الحكم الاستعمارى والرأسمالية الإمبريالية، وذلك هو سبب عدم المساواة الواضحة والمترسخة بين الطبقات»[٣].

ويرفض رودنى ما يطلق عليه عنصرية «الأنا الثقافية» التى تُمارس من الحضارة

---

(1) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.5.
(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125, 126, & 129.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.71 & 72.

الغربية، ويعنى بها أن الغرب يؤمن بسمو وأفضلية نماذجه الثقافية ومعاييره التقسيمية للثقافات الأخرى(١) لدرجة أنه يصل إلى رفض الممارسات الدينية الكاثوليكية والرموز الأخرى التى يراها تعبر عن إمبريالية ثقافية من الغرب(٢)، ويؤكد على أن الأفريقي يستطيع ابتكار مثل تلك المعايير والنماذج، فالثقافة الأفريقية والحضارات السوداء ليست فارغة المضمون كما حاول الغرب أن يصورها فى العديد من الأحيان، وأن ما يمارسه الغرب هو تعبير عن عنصرية ثقافية، ولذا كان يستخدم مفهومى الإمبريالية الثقافية والعنصرية على أنهما مترادفان(٣)، ويؤكد على أننا: «نستطيع حتى باستخدام تلك المفاهيم والمعايير التى وضعها الغرب نفسه أن نبرهن ونؤكد على وجود التاريخ الأفريقي والحضارة الأفريقية...إننى لا أقبل ولا أشعر بضرورة قبول الفئات والتقسيمات التى أسسها كتاب الغرب، فقد تم تأسيسها على أسس ومعايير المجتمع الأوروبى...ويحاولون الحكم على باقى العالم بواسطتها وكأنها معايير عالمية»(٤)، ولا تصل دعوة رودنى إلى مجتمع عنصرى أسود، بل الهدف هو تحرير السود ثقافياً وفكرياً وحضارياً من النماذج الغربية: «لقد سيطر البيض علينا مادياً ومعنوياً لدرجة أنه قد تم إقناع السود بدونيتهم»(٥)، ويؤكد على أن القيم والحضارات والثقافات الأفريقية قادرة على ذلك التحرير لكنها تحتاج إلى درجة من الوعى بها، وإعادة النظر فى العديد منها.

رابعاً: إعادة الهيكلة الثقافية للمجتمعات على الصورة السوداء:

يؤكد رودنى على أن القوة البيضاء قد نجحت فى تعميق الاختلافات الثقافية

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.72.
(2) Walter Rodney: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African...... **op.cit.,** p.332 **&** - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.33.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.111.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.72.
(5) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.35-37 & 66-68.

بين الجماعات السوداء، واستطاعت غرس العديد من القيم التى تبعث على الإحساس بالدونية وإفقاد الثقة فى كل ما هو غير أبيض، ليصبح هناك شك عند الإنسان الأسود فى إمكانية تطوير مجتمعه ذاتياً، أو الوصول لبناء قوة سوداء أو وحدة أفريقية(١)، وقد استخدم الغرب العديد من أدوات تشكيل الوعى والتعليم للوصول إلى هذا الهدف من أهمها: حركات التبشير، ونمط الكنائس، وطبيعة دورها، ونوع التعليم الذى كانت تقدمه، إلى جانب مؤسسات التعليم ومحتوى العملية التعليمية، ونشر الفنون والأدب الغربى على حساب الأدب الأفريقى الذى تراجعت مكانته أو مُنع من الوصول للسود فى أماكن بعينها، وكذلك اللغة وبفرض لغة المستعمر، إلى جانب نشر القيم الاستهلاكية والسلع الغربية....إلخ، مما ساهم فى التأثير على المنظومة القيمية الأفريقية لصالح قيم ليست أفريقية الأصل(٢).

وحتى تستطيع الشعوب السوداء الوصول إلى القوة لابد أن تترك تلك النماذج الغربية لصالح قيم أفريقية، وأن تحاول إعادة هذه القيم السوداء للسيطرة على مجتمع السود، وهذا ما سيسهم فى إنهاء العديد من الخلافات والاختلافات الثقافية السائدة، كما يجب أن تنمو قناعة لدى السود بسمو القيم والحضارات الأفريقية، حيث يرى رودنى أن نمو هيكل قوة على هذه الأسس السوداء سيعيد الثقة للسود فى تلك القيم الثقافية والحضارية الأفريقية(٣)، ولذا فإن: «الطريق للقوة السوداء فى غرب الإنديز لابد أن يبدأ من إعادة تقييم أنفسنا كسود، وإعادة تعريف العالم من وجهة نظرنا»(٤)، ولذا كانت دعوته إلى إعادة تنظيم مناهج التعليم الجامعى فى الجامعات السوداء لتقوم على أسس اشتراكية سوداء اللون(٥)، ويؤكد دائماً على قوة

(1) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People, 1881-1905,**op.cit.,** p.176.

(٢) ولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣١-٣٣ و ٣٧.

(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** pp.74-77.

(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.113.

(5) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power....,**op.cit.,** P.9.

الثقافة السوداء، وهو ما يجعلها الأساس الذى يجب أن تتم عليه إعادة هيكلة المجتمع للتخلص من القيم الغربية، وإضفاء الصفات الأفريقية على المجتمعات بعد الاستقلال[1]، ولذا: «لا يشير التشابه بين الأفارقة فى العالم الجديد إلى خصوصية الثقافة السوداء فحسب، ولكنه يشير أيضاً إلى تفرد هذه الثقافة التى استطاعت حماية الأفارقة من محاولات الأوروبيين تجريدهم من الإنسانية»[2]، وتستطيع الشعوب السوداء من خلال الوعى بالقيم الثقافية والتاريخ الأفريقي أن تصل إلى إحداث ثورة فى علاقتها بالقوة البيضاء[3].

خامساً: التأكيد على دور السود فى مجتمعاتهم:

يمكن للأفريقي الذى يحصل على القوة والذى يتمكن من إعادة هيكلة ثورية لعلاقته بالغرب أن يصبح له دور أساسى فى مجتمعه، وأن تتقلص سيطرة القوى الغربية والقيم الرأسمالية على هذا المجتمع، ويمكن أن تترك هذه المجتمعات دور التابع للغرب؛ إذ إن: «الدولة التابعة هى التى يحكمها إنسان أسود تحت النظام الإمبريالى، وليست لها قوة، حيث يصبح الحاكم وكيلاً للمستعمر الأبيض فقط، وتكون له سلطات وجيش يتم تصميمها ليحافظا على الممارسات الإمبريالية... فالقوة السوداء هى دعوة للتخلص من سيطرة القوة البيضاء»[4]، وحتى يتم ذلك لابد من حكم جماهيرى، أو فئة تأتى من الشعب، وإنهاء حكم البرجوازيات الصغيرة لأنهم «الرجال الذين يخدمون مصلحة الأجنبى والنظام الرأسمالى الأبيض فى موطنهم، ويدعمون النظام الاجتماعى الذى يؤكد على أن الإنسان الأسود لابد

(1) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion..., **op.cit.,** p.229 & 236.

(2) Walter Rodney: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African......,**op.cit.,** p.332

(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.80.

(4) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164.

أن يظل قابعاً فى قاع السلم الاجتماعى»(١). وحتى يستطيع الشعب أن يقوم بذلك التغيير لابد من تحرك ثورى يصل به للإمساك بزمام أموره: «يجب أن تكون للشعب ثورة وطنية، ليست فقط ضد الإمبرياليين، بل أيضاً ضد الحكام الذين أتوا بأنفسهم إلى قمة وقيادة الثورة، وليس لهم مكان الآن بين القيادة الشعبية، ويجب أن تكون الثورة ضدهم كما هى ضد الإمبرياليين...ويجب أن يبحث المفكرون بعمق بين جماهير الشعب حتى يصلوا إلى عناصر الثقافة الوطنية الحقيقية»(٢)، إذ إن هذه الفئة الحاكمة قد ارتضت دورها المنبوذ من الشعب؛ لأنهم ذوى بشرات سوداء فى حين أن قلوبهم بيضاء، لقد أصبحت النخب الحاكمة فى الكثير من الأحيان تابعة ومأسورة بالمنظور الغربى للأشياء حتى فى علاقتها بذويها(٣)، ولكن القوة السوداء حركة فى أساسها شعبى، ويجب أن تتم تحت قيادة شعبية تتمتع بشرعية سياسية تمكنها من تعبئة الجماهير السوداء. وحتى يستطيع الإنسان الأسود أن يمتلك زمام أموره ويسيطر على شؤون حياته عليه أن ينظر لأموره من منظور أسود وليس من خلال الإنسان الأبيض(٤).

وقد قدم رودنى القوة السوداء وأهدافها كبناء أيديولوجى يستطيع الشعب الأسود من خلاله تغيير طبيعة علاقته بالغرب، وذلك تحت قيادة شعبية وجماهير على درجة من الوعى، ويمكن القول بأن القوة السوداء عنده كانت محصلة تأثره بعدد من التيارات الفكرية التى عاصرها والتى أثرت على إنتاجه الفكرى لتلك القوة، وهذا ما ستتم مناقشته فى الجزء التالى.

---

(1) **Ibid,** p.165.
(2) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.11.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.732 & 733.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.115. **&** - Clive Thomas: **op.cit.** p.10 & 12.

المطلب الثالث: الروافد الفكرية للقوة السوداء

ترتبط القوة السوداء فى فكر رودنى بعدد من المفاهيم والتيارات الفكرية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت، وأثرت فى مجمل أفكاره وخصوصاً فى رؤيته لهذه القوة، حيث تشابه بعضها مع مضمونها وأهدافها، وهذا ما سيُعرف **بالروافد المباشرة**، فى حين تناقضت الفئة الأخرى مع أهداف هذه القوة، ولذا كانت الأخيرة بمثابة رد على هذه التيارات، وهذا ما سيُعرف **بالروافد غير المباشرة**، وسيتم تناولها على النحو التالى:

أولاً: الروافد المباشرة للقوة السوداء فى فكر رودنى:

يقترب ويرتبط مفهوم القوة السوداء فى عدد من الأبعاد مع بعض الرؤى الفكرية والمفاهيم التى أثرت فى فكر رودنى، وأصبحت بمثابة أساس فكري له فى هذه القضية، ومع أن بعض هذه الروافد كان أحداثاً تاريخية فى حين أن بعضها الآخر كان تيارات فكرية ورؤى نظرية، لكن السمة التى تجمع بينهما أنهما كانا بمثابة قوة دفع لرودنى فى تقديمه لرؤيته بشأن القوة السوداء، ومن أهم هذه الروافد:

١) **الرق والاتجار فى الإنسان الأسود**: ينتمى رودنى لمجتمع يتكون من المنحدرين من البشر الذين خضعوا لعملية اتجار واسعة النطاق، وبسبب تقديره لأثر تلك المرحلة فقد تخصص فى دراستها، وأكد على أن هذه التجارة هى التعبير الواضح عن العنصرية البيضاء، وأن تلك المرحلة شكلت نهاية لاستقلال القارة وبداية لمرحلة الاستعمار، كما أنها نهاية لمرحلة من التطور وبداية لمرحلة من التخلف، وهى كذلك نهاية لقوة سوداء كانت فى طور التكون والتطور وبداية لمرحلة سيطرة القوة البيضاء وممارساتها[١].

وقد أسهمت تجارة الرقيق فى ترسيخ مبادئ القوة البيضاء وتقوية أركانها

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٩٨-١٠٥.

والحفاظ على وجود الدول الرأسمالية[1]، حيث يؤكد: «أن تطور الاقتصاد الأمريكى حتى منتصف القرن التاسع عشر قد اعتمد بشكل مباشر على تجارة خارجية كان محورها تجارة الرق»[2]، وكان على القوة البيضاء أن تسعى للحيلولة دون بروز قوة منظمة لهذا الشعب الأسود، حيث نجحت فى تأخير ظهور هذه القوة بشكل منظم، فقد دمرت المؤسسات التعليمية، ومنعت تراكم رأس مال للسود[3]، وحالت دون تطور الهياكل الاجتماعية والاقتصادية، وعملت على تدمير الهياكل السياسية والثقافية، بل ويرى رودنى أن إلغاء تلك التجارة لم يكن لأسباب أخلاقية أو بسبب قوة منظمة للسود، بل كان لأسباب اقتصادية[4]،ولذا كان لدراسة رودنى لهذه المرحلة أثرها فى محاولته تقديم تصور للقوة السوداء وهيكلها، بل ووضع من أهدافها أن يتم تخليص الأسود من الخبرات التاريخية المرتبطة بتلك المرحلة، وما تركته من آثار اجتماعية وثقافية ونفسية وسياسية من خلال هيكل لقوة سوداء يقوم على الأسس التى كانت السبب فى تفعيل تلك التجارة[5]، ويرى أن حصول الإنسان الأسود على ذات حقوق وسلطة الأبيض لن يتأتى إلا من خلال القوة وخروج الأسود عن قاعدة أنه عبد، وأنه لابد أن يظل تابعاً للغرب[6].

٢) **الجامعة الأفريقية: تعبير مؤسسى عن القوة السوداء:** من المفاهيم والرؤى التى تتصل بمفهوم القوة السوداء فى فكر رودنى هو مفهوم الجامعة الأفريقية

(1) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context…., **op.cit.,** pp.431-434.

(٢) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ١١٠ و ١١١.

(3) Immanuel Wallerstein: **op.cit.,** p.331.

(4) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power…., **op.cit.,** P.20 & 21. **&**
- Clive Thomas: **op.cit.,** p.3 & 4. **&** - Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People, 1881-1905, **op.cit**., p.178 & 179.

(5) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.25.

(6) Walter Rodney: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African….., **op.cit.,** pp.329-339. **&** - Clive Thomas: **op.cit.,** p.4.

والذى تطور إلى وحدة سياسية سوداء عنده، فقد اشترك مفهوما القوة السوداء والوحدة الأفريقية لديه فى العديد من الأبعاد وخصوصاً فى ظروف النشأة ومراحل التطور حتى وصل البعض للتعامل مع المفهومين على أنهما مترادفان. ويشترك المفهومان فى العديد من الأهداف التى تتصل بمحاولة تعديل سمات المجتمعات السوداء، ومحاولة إيجاد هيكل مؤسسى أسود يعبر عن هذا الشعب، ويسعى لبناء قوة سوداء عالمية، كما يشتركان فى محاولة استغلال وحدة الحركة التى يمكن أن تنشأ بين السود، ولتحقيق ذلك يجب أن يتخلص السود من سيطرة وتغلغل الغرب(١)، ولكن هناك العديد من أوجه الاختلاف بين المفهومين، ففى حين يعبر مفهوم القوة السوداء عن طبيعة فكرية الهدف منها خلق كيان أيديولوجى فكرى بالأساس يعبر عن بعض جوانبه فى هياكل مؤسسية(٢)، تعبر حركة الوحدة السياسية عن تصور له طبيعة مؤسسية الهدف الأساسى منه الوصول لهياكل وحدوية(٣)، ولكن رودنى حاول أن يجعل من الجامعة الأفريقية تعبيراً مؤسسياً عن القوة السوداء، كما تنعكس طبيعة المفهوم على طبيعة الأهداف التى تسعى هذه الرؤى إليها، ففى حين تهدف القوة السوداء لأهداف تتعلق بالنواحى الثقافية والنفسية والتاريخية لدى السود، تتعلق الوحدة السياسية بالوصول لأهداف مؤسسية كالتعامل مع مشاكل الحدود السياسية والاستعمار والاستعمار الجديد، ولكن لابد من وجود العديد من الجوانب المشتركة بين هذه الأهداف(٤)، وبينما توجه القوة السوداء لكافة الأفراد ذوى البشرة

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.10-20.
& - Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.8 & 17.
(2) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.182 & 186.
(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.731.
(4) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power....,**op.cit.,** P.17. Compare with :
-Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.25 & 26.
-Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164 & 165.

السوداء فى كل العالم دون النظر لمكان استقرارهم، فإن الوحدة الأفريقية بالمعنى السياسي ستوجه للوحدات والأفراد الذين يوجدون فى حيز جغرافى بعينه يمكنهم من إقامة الوحدة فيما بينهم(١)، ويمكن القول أيضاً بأن تيار الجامعة أو الوحدة الأفريقية قد برز حسب رأى رودنى مع سلسة المؤتمرات التى تمت فى بداية القرن العشرين، فى حين يؤرخ للقوة السوداء منذ بداية الاتصال الأوروبى بالقارة، وسعى السود لقوة معادلة للقوة البيضاء(٢)، بأن القوة وهى عند رودنى بمثابة الإطار المرجعى لكافة التيارات بما فى ذلك الوحدة الأفريقية، فحين يصل السود للوحدة فيما بينهم، ويكونون على درجة من الوعى الأسود القائم على أسس حضارية وتاريخية (محور تيار الزنوجة) فإن ذلك سيسهم فى وجود قوة سوداء فكرية لها جوانب مؤسسية تصل فى النهاية لتحقيق أهداف ومصلحة السود(٣).

٣) **الزنوجة كأحد الروافد الفكرية للقوة السوداء:** ظهرت الزنوجة كتيار فكرى فى ثلاثينيات القرن العشرين كرد فعل على سياسة الاستيعاب الثقافى التى كانت تمارس من قبل الغرب، وانصب اهتمام أنصار هذا الاتجاه على الأبعاد الثقافية والحضارية للسود، وكانت محاولة إحياء الثقافات والنماذج الحضارية وإيجاد المرجعية التاريخية هى المحاور الأساسية لهذا التيار وخصوصاً عند الشيخ انتاديوب(٤)، وهذا ما يظهر لنا أوجه التشابه التى تجمع هذا التيار مع تيار القوة السوداء وبخاصة من حيث الصبغة اللونية والاهتمام الواضح بالتاريخ وإحياء النماذج الحضارية، بل وحاول أنصار التيارين أن يجعلوا للتاريخ وظيفة ثورية فى الاعتراض على محاولة الغرب أن تجريد السود من دورهم التاريخى وإسهامهم

(1) Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.9 & 25.
(2) Walter Rodney: Black Power, a Basic Understanding, **op.cit.,** p.182 & 186.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8 & 12. **&** - Trevor Campbell A.: **op.cit.** p.54.
(٤) د.صبحى قنصوة: م. س. ذ.، ص ١٨٧.

الحضارى[1]، فإعادة كتابة التاريخ، ورفع مستوى الوعى بهذه النماذج التى تقدمها الحضارات الأفريقية القديمة، وتقدير قيمة المرجعيات الحضارية الأفريقية عند مقارنتها بالغرب سينهى إحساس الإنسان الأسود بالدونية[2]، و هذا هو أهم الأهداف التى يسعى إليها تيار الزنوجة، وهو فى نفس الوقت يشكل البداية المنطقية لتيار القوة السوداء، حيث يؤكد أنه: «حتى يؤسس الإنسان الأسود علاقة مع الماضى لابد أن يكسر قيود الحاضر التى تمنعه...ونؤكد للبيض أنهم كانوا على خطأ عندما قالوا إننا لا نملك تاريخاً وليست لنا حضارة، فقط انظروا ما قمنا به»[3].

٤) **الوعى الأسود كتيار فكرى:** ينظر العديد من المفكرين لتيار الوعى الأسود باعتباره الصورة الأفريقية الداخلية للقوة السوداء العالمية، فقد بدأ هذا التيار مع بداية تجارة الرقيق والتمييز ضد السود فى الجنوب الأفريقي، وازدهر مع ستيف بيكو (١٩٤٦-١٩٧٧)، وهو من نظر للوعى الأسود على أنه أيديولوجية تغييرية تحاول تنمية إحساس السود بأهمية وسمو نظمهم القيمية، وأهمية التضامن لمواجهة البيض، حيث تكون البداية هى تحرير السود من عقلية العبودية والشعور بالدونية والتى كان السبب فيها سيطرة البيض على أدوات تشكيل الوعى بما سهل لهم امتلاك القوة والسيطرة على العالم، ولذلك ينظر للوعى الأسود كتيار فكرى على أنه يدعو للإنسانية الحقيقية للإنسان الأسود ويرفع من قيمة اللون[4].

ويرى رودنى أنه حتى يصل السود إلى القوة لابد أن يصلوا إلى درجة من الوعى،

---

(1) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164.
& .- د.صبحى قنصوة: م. س. ذ.، ص١٨٥

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117 & 118.

(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.68, 69, & 72.

(٢)د.صبحى قنصوة: م. س. ذ.، ص١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٤. ولمزيد من التفاصيل انظر :

- Robert Fatton: **Black Consciousness in South Africa: the Dialectics of Ideological Resistance to White Supremacy** (New York: State University of New York Press,1986), pp.1-39.

إذ إن الحرية والتحرير الذاتي وبناء القوة السوداء العالمية تبدأ من مستوى من الوعي بواقع وماضي الإنسان الأسود، ومن خلال القوة يبدأ السود في تعديل العديد من مدركات الجماهير والعامة حول ماضي وتاريخ أفريقيا ليس كما يقدمه الغرب[١]، حيث يؤمن رودني بأن عدم الوعي الجماهيري بمؤهلاتهم وتاريخهم وقوتهم قد سهل من سيطرة البيض عليهم، وأدى في نفس الوقت إلى زيادة معدلات التخلف، لذلك فالقوة السوداء العالمية التي تقوم على أساس من الوعي هي السبيل لإنهاء حالة التخلف والخضوع والاستغلال للسود[٢]، ويؤكد على أن الثقافة الأفريقية لها خصوصيتها وقوتها التي جعلتها تبقى بالرغم من تحديات وسياسات القوة البيضاء، وأن الوعي بهذه الثقافة سيسهل على السود الحصول على القوة والسلطة[٣].

ثانياً: الروافد غير المباشرة للقوة السوداء:

يستمد اهتمام رودني بالقوة السوداء تبريراً آخر له من خلال عدد من المفاهيم والتيارات التي كانت تناقض مضمون وأهداف هذه القوة، ولذلك كانت رؤى رودني للقوة السوداء بمثابة رد فعل أو أيديولوجية منافسة لهذه التيارات والمفاهيم التي أهمها:

١) **القوة البيضاء**: يفهم رودني القوة السوداء في ضوء ما يناقضها من مفاهيم وتصورات القوة البيضاء، والتي يرى أنها تعبر عن سيطرة الدول الإمبريالية الغربية على باقي دول العالم، ويؤرخ رودني لبداية القوة البيضاء بفترة انتشار ونشاط أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ونجاحها في السيطرة على العالم وبخاصة أفريقيا، وبذلك أصبح العالم مقسماً بين قوة مسيطرة هي القوة البيضاء،

---

(1) Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.2 & 3. **&-** Peniel E. Joseph: **op.cit.,** p.2 & 3.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.128. **&** - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.119.

(3) Walter Rodney: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African….., **op.cit.,** p.335.

وقوى مُسيطر عليها هى القوى غير البيضاء أو القوى السوداء حسب تقسيم الغرب اللونى، وأصبح العالم مقسماً على أساس لونى، ثم زاد نفوذ وسيطرة هذه القوة البيضاء مع سيطرتها الاستعمارية. وحتى فى الفترة التالية لحصول الدول الأفريقية على الاستقلال حاولت هذه القوة أن تحافظ على سمات العلاقة وعلى نفوذها، وبسبب امتداد هذه القوة أكد رودنى على ضرورة أن تكون للسود قوة معادلة ومقاومة لهذه القوة[١]، ولتحدى هذه القوة يجب على الأسود أن يتحكم فى أمور حياته، وتصبح له القوة التى ينهى بها سيطرة القوة البيضاء[٢]، وحتى يتسنى له الوصول لتلك القوة والسيطرة على أمور حياته يجب أن يتحرر من سيطرة نماذج وقيم وتوجهات القوة البيضاء، ويصل لنيل هذا الاستقلال الفكرى والنفسى والاجتماعى والقيمى إلى جانب الاستقلال الاقتصادى والسياسي من خلال أدوات تصل إلى العنف واستخدام القوة والثورات[٣].

٢) **العنصرية البيضاء**: يرى رودنى أن العلاقة بين شعب أبيض يملك القوة والسلطة و شعب أسود ليست له هذه القوة والسلطة قد أدت إلى فتح المجال للعنصرية التى لم تقف عند حد الممارسات، بل وصلت إلى تكوين مفاهيم ورؤى ونظريات للبيض تبرر هذه الممارسات؛ «فقد أصبحت العنصرية نظاماً يضرب بجذوره فى الرأسمالية، ويجد فيها الأسباب والأساليب التى تبررها»، ويؤكد على أن ذلك من نتاج العلاقة التاريخية بين طرفين مختلفين فى إمكانيات وأساليب قوتهما إذ «أصبحت العنصرية بحلول القرن التاسع عشر ذات طابع مؤسسى فى العالم الرأسمالى...لدرجة أنها صُنفت أحياناً فى مرتبة أعلى فى الأهمية من تحقيق الأرباح...ولكن تكاثر الأفكار العنصرية غير العلمية على النطاق الدولى لابد أن

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.111 & 112.
(2) **Ibid,** p.113
(3) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.14. **&** - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.21 & 22.

تكون له عواقبه السلبية على المدى الطويل»[١]، ويبدو بذلك أن القوة السوداء هى إحدى هذه العواقب التى تحاول الحد من سيطرة وتطور وامتداد القوة البيضاء، وهى محاولة لتكوين أيديولوجية علمية تتصدى للممارسات العنصرية والإمبريالية من القوة البيضاء، ولا تصل إلى حد ممارسة عنصرية سوداء[٢].

٣) **الاستعمار والاستعمار الجديد:** كان لافتقاد السود القوة على تحدى امتداد القوة والعنصرية البيضاء تأثيره فى تحول هذه الرؤى الغربية إلى أرض الواقع من خلال ممارسات الاستعمار، واستمرار السود بدون هذه القوة سيكون له أثره فى السماح بممارسة أشكال الاستعمار الجديد. وحتى تستطيع أوروبا السيطرة تاريخياً أفقدت السود القوة المادية والاقتصادية والفكرية[٣]، وأكد رودنى على أن الجماهير تستطيع مجابهة الأشكال الجديدة من الاستعمار، وأن تنهى حالة التبعية للغرب، وأن تعدل من سمات علاقتها به من خلال قوة سوداء جماهيرية على درجة من الوعى[٤].

ويمكن القول بأن هذه هى المفاهيم والرؤى التى شكلت المحددات والمؤثرات الأساسية فى رؤية رودنى لأيديولوجية القوة السوداء، والذى حاول أن يجعل منها أيديولوجية لا تتناقض مع التيارات والرؤى الفكرية الراسخة فى أفريقيا، وفى نفس الوقت تكون رداً على القوة البيضاء وأدواتها دون الوصول لعنصرية سوداء.

لقد شكلت القوة السوداء أحد أهم أبعاد رؤية رودنى الفكرية التى قدمها لتغيير ثورى فى طبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، ومع أنه قام باختزال إثنى ولونى للجماعات غير البيضاء لتشكل جميعاً ومعاً جماعة سوداء، وتعامل معها على أنها

---

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٠٩ – ١١٥.

(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.20 & 30.

(3) **Ibid,** p.20. **&** وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٢٨٩ – ٣٠١.

(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125 & 126. **&** - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.112.

& - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** pp.76-78.

جماعة ذات سمات واحدة وأهداف واحدة وتجانس ثقافى واجتماعى، وقد كان ذلك مُبرراً فى إطار سعيه للرد على القوة البيضاء بذات الأدوات والمفاهيم التى استخدمتها، ويرى أن القوى البيضاء ذات أهداف على درجة من التشابه وأدوات مترابطة وسياسات واحدة، وأن هذه القوى قد أثرت على إدراك السود لماضيهم وقيمهم وحضاراتهم بما قلص قدراتهم على تحدى هذه القوة، ولذلك يرى أن أيديولوجية القوة السوداء أيديولوجية لونية تغييرية تسعى لإعادة الثقة لهؤلاء السود من خلال تعديل إدراكهم للسمات التى كانت السبب فى قهرهم واستعمارهم لتصبح هى سبب قوتهم ووحدتهم، وإلى جانب هذا البناء الفكرى حاول رودنى تقديم الآليات والأدوات التى يمكن أن تسهم فى تغيير الواقع الاجتماعى الأسود، وهو ما يمثل الشق الحركى/ العملى لهذه الأيديولوجية إلى جانب شقها الفكرى/ المعنوى، ويرى أن افتقاد وإفقاد السود لهذه القوة كان من نتائج العلاقة التاريخية بين الإنسان الأسود والإنسان الأبيض، وأن أهم أهداف القوة السوداء هو سعيها لإعادة هيكلة المجتمعات الأفريقية على الصورة السوداء، فهى بمثابة أيديولوجية وفلسفة حياة تهدف إلى تحرير الإنسان الأسود من سيطرة القيم والثقافات البيضاء التى أُجبر على اتباعها فى العديد من الأحيان.



المبحث الثالث

إعادة كتابة التاريخ الأفريقي

استخدم الغرب العديد من الأدوات الفكرية والثقافية لإثبات سمو ورقى وأفضلية القيم والحضارات الغربية على ما يناظرها فى العالم، وحتى يسقط هذا الحق عن الأماكن الحضارية الأخرى، وكانت أفريقيا من أهم تلك المراكز الحضارية التى وصل الغرب لإنكار أى إسهام لها فى التاريخ العالمى والحركة الحضارية وتطور الإنسانية، ولذا حاول العديد من المفكرين الأفارقة تشكيل التيارات الفكرية التى تجابه هذه الادعاءات وتداعياتها على الجماهير الأفريقية، فقد رفضوا إحساس الأفارقة بالدونية، أو رفض الأفارقة لتاريخهم وماضيهم، مؤكدين أن هذا هو نمط الاستعمار الثقافى، ولذا كانت المحاولة لإيجاد المرجعية الحضارية التاريخية لأفريقيا، وكذلك محاولة دراسة وتقديم النماذج الثقافية والتاريخية والهياكل السياسية التاريخية التى تدحض هذه الادعاءات الغربية، بل والتى تثبت أسبقية وأفضلية أفريقيا وتاريخها على ما يقدمه التاريخ الغربى.

لذا يؤكد رودنى على أهمية التاريخ وضرورة دراسته وتدريسه وإدراكه، والوعى بالنماذج التى يقدمها، وكذلك محاولة الاستفادة من القيم والرؤى الثورية والنماذج الوحدوية التى يقدمها والتى يمكن استخدامها فى تغيير واقع ومستقبل القارة، وفى تعديل نمط علاقتها بالغرب، ويرى أن إعادة كتابة التاريخ تهدف إلى تصحيح المحتوى الخاطئ الذى قدمه الغرب للتاريخ الأفريقي، ويجب معها أن يدرك الأفريقي أن له تاريخاً وحضارة ونماذج وأنساقاً قيمية وحضارية تسمو فى محتواها وأثرها على تنمية البشرية عما يناظرها عند الغرب، ولذا سيتناول هذا المبحث تحليل

رؤى رودنى عن التاريخ من خلال تحليل أهمية وأثر التاريخ على الرؤى التى قدمها وكيف حاول استخدامه فى تصحيح مسار العلاقة بين أفريقيا والغرب؟ وكيف جعل التاريخ الأفريقي مصدراً للثورة الأفريقية، ولذا سيقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: أهمية التاريخ فى فكر رودنى.
- **المطلب الثانى**: التاريخ وإعادة هيكلة العلاقة بين أفريقيا والغرب.
- **المطلب الثالث**: التاريخ الأفريقي مصدر للثورة السوداء.

المطلب الأول: أهمية التاريخ فى فكر رودنى

استخدم رودنى المنظور التاريخى فى الكتابات والرؤى التى قدمها، بل وناقش العديد من مشاكل القارة كالتنمية والاستعمار والاستعمار الجديد فى ضوء منظور وإطار مفاهيمى تاريخى، وفى سياق تطور العلاقات التاريخية لأفريقيا مع الرأسمالية العالمية، وكان محور وهدف معظم الدراسات التى قدمها هو رفض النسخة الغربية من تاريخ الإنسان الأسود فى العديد من أجزاء القارة وخارجها، والسعى نحو إعادة النظر فى النماذج التى قدمها الغرب رغبة منه فى توفير الأمن الثقافى للمجتمع الأسود[1]، كما حاول أن يعيد تأسيس الترابط والانسجام الفكرى والثقافى بين السود على أساس من إرث تاريخى مشترك[2]، ولذا يرى أن التاريخ يجب أن يشكل المرجعية ومصدر النماذج والأسس التى تقوم عليها دراسات الوضع الأفريقي فى كافة المجالات، حتى إذا كان اهتمام تلك الدراسات بالوضع الاقتصادى للقارة[3]، ليصبح التاريخ مصدراً أساسياً للأنساق الأفريقية التى تسهم فى تحرير الإنسان

(1) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.5 & 6.
(2) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power…,**op.cit.,** P.13.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.128.

الأسود من أفكار وممارسات وإمبريالية النظام الرأسمالى العالمى(١)، ومن خلال التاريخ يمكن دراسة التغيير الاجتماعى واتجاهه، بل ويصبح التاريخ ذاته أداة كفاحية يمكن من خلالها إحداث التغيير الاجتماعى(٢)، فالتاريخ «يحلل كيف بدأت المشكلة، ومن خلاله يمكن إيجاد السبل والوسائل التى تسهل حل المشكلة على أرض الواقع»(٣)، ويمكن تحديد أهمية التاريخ فى فكر رودنى من خلال المعايير التالية:

أولاً: التاريخ كمجال للدراسة وحقل للتخصص:

كان رودنى على وعى بالبيئة المحيطة به وبمكانة الإنسان الأسود فيها، وكان لخبراته الأسرية والبيئة السياسية التى نشأ بها ودور والده فيها أثرها فى طبيعة توجهه العلمى، فقد نمت لديه الرغبة فى اكتشاف ومعرفة الأسباب الحقيقية للصراع السياسي والاجتماعى فى بيئته بشكل خاص، ومحاولة التوصل لأسباب ذلك فى بيئة وعلاقات الإنسان الأسود بشكل عام، مدركاً أن فهم المشكلات الأساسية فى المجتمع لن يتأتى سوى من خلال دراسة منظمة لماضى وخبرات هذه المجتمعات التاريخية، وحتى فى دراسته لكيفية علاج عدم التوازن فى علاقة أفريقيا بالغرب يرى أن إدراك تاريخ تلك العلاقة سيسهل على الإنسان الأسود اتخاذ الخطوات اللازمة لعلاج ما يشوبها من أبعاد سلبية، ولذا اختار التاريخ كمجال للتخصص، ونظر إليه باعتباره «تحدياً مشوقاً» يربط بين قضايا ومجريات الحاضر مع تأثيرات وخبرات الماضى، وكيف يمكن استخدام ذلك كمحدد رئيسي فى تحديد سمات وفرص المستقبل. ويبدو أن تصاعد وتيرة حركات التحرير فى منتصف القرن العشرين قد دفع العديد من المفكرين للاهتمام بدراسة وتدريس التاريخ لتوفير مظلة قيمية

(1) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.6.
(2) Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.1 & 2.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164.

ونماذج حضارية وتنموية تساعد فى التكوين الثورى للإنسان الأسود، إذ درس رودنى تاريخ منطقة الكاريبي فى المراحل الدراسية قبل الجامعية، وفى الجامعة درس تاريخ أوروبا، واهتم بطبيعة العلاقة التاريخية بين منطقة الكاريبي وأوروبا وأفريقيا وبخاصة طبيعة التبادل التجارى وتجارة الرق، وهذا ما دفعه إلى تقديم أطروحته للدكتوراه عن التاريخ الأفريقي وبخاصة عن مرحلة تجارة الرق، واستمر من خلال أعماله فى رصد تطور الاستغلال الأوروبى للإنسان الأفريقي حتى مراحل الاستعمار وما تلاها فى العصر الحديث، ليخلص إلى أهمية التاريخ ووظيفته الإدراكية والثورية للشعب الأسود، وأهمية استخدامه فى إصلاح العديد من الأوجه السلبية فى المجتمع الأفريقي[١].

ويرى العديد من محللى رؤى ونشاط رودنى أنه لم يكن يسعى فقط لإعادة كتابة التاريخ، بل لصنع تاريخ، بمعنى أنه حاول أن يجعل الأجيال الحديثة تدرك ما اعترى ذلك التاريخ من أخطاء وادعاءات بسبب سياسات الغرب[٢]، ولا تصبح معرفة الأسود بالتاريخ هى فقط معرفة بأمور وأحداث الماضى فحسب، بل أن يعيش النماذج التى يوفرها التاريخ، ويمارس القيم الثقافية التى سادت مجتمعه، وذلك فى ضوء مفاهيم وصور تناسب الوقت الحاضر، بمعنى أن تكون هناك قراءة حديثة للنماذج والقيم والثقافات التاريخية[٣]، وقدم مفهوم «ضبط التاريخ» كهدف لنشاطه وفكره، بمعنى تخلص السود من سيطرة النماذج الغربية، ومحاولة استخدام وتطوير المفاهيم والنماذج التى يوفرها التاريخ[٤]، ولذا لم يكن اهتمامه بدراسة التاريخ الأفريقي فقط، بل عمل على دراسة تاريخ العديد من الثورات، محاولاً رفع مستوى الوعى الطلابى بذلك، واستخلاص الدروس المستفادة التى تتناسب مع

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** pp.116-118.
(2) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion..., **op.cit.,** pp.229-231.
(3) Bonaventure Swai: **op.cit.,** pp.32-36.
(4) Mazi E. N. Njaka: **op.cit.,** p.12.

الواقع الأفريقي من هذه الثورات[١].

ثانياً: أطروحة الدكتوراه وأثر تجارة الرقيق فى فكر رودنى:

حصل رودنى على درجة الدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية التابعة لجامعة لندن سنة ١٩٦٦ عن دراسته حول «تاريخ ساحل غينيا الأعلى ١٥٤٥-١٨٠٠»، والتى اهتم من خلالها بدراسة أهم الأحداث فى التاريخ الحديث للقارة الأفريقية وهو تجارة الرق، وحاول أن يجعل من تلك الدراسة إسهاماً فى إظهار أثر تلك التجارة على الواقع السياسي والاجتماعى والثقافى والاقتصادى لمنطقة غرب أفريقيا، بل وينظر لدراسته على أنها محاولة لإعادة هيكلة الملامح التاريخية لفترة مهمة من تاريخ القارة، حيث تكشف عن أثر الاتصال الأوروبى على الواقع داخل القارة، وقد أكد على أن الجماهير لن تستطيع تغيير أحداث تاريخية انتهت، ولكن عليها أن تدرك وتتعامل مع نتائج هذه المراحل[٢]،وتَعتبِر من نماذج الدراسات التى يجب أن تؤخذ كمثال إذا كانت لدى الأفارقة الرغبة فى توضيح وإدراك تاريخهم بصورة تختلف عن تلك التى قدمها الغرب.

وقد كان اهتمام رودنى بدراسة مرحلة تجارة الرقيق ليس كما يقدمها الغرب، بل كانت محاولته من المصادر والوثائق التى فى هذه البلاد الرأسمالية، وتُظهر حقائق تختلف عن تلك التى يقدمها الغرب، ويبرر ذلك باستخدام التاريخ والنماذج الثقافية من القوة البيضاء للسيطرة على العالم[٣]، ويرى «أن الأفارقة المقيمين فى الغرب قد ظلوا – وبطريقة هادفة– جاهلين بما حققته أفريقيا، وذلك بسبب الإنسان الأبيض وسياساته على مدى قرون من الزمان، والتى كان الهدف منها بناء

(1) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.2.

(2)**Ibid,** p.5 & 6. **&** - Walter Rodney: Portuguese Attempts at Monopoly on the Upper Guinea…, **op.cit.,** pp.309-311.

(3)Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.80

شخصية بربرية للقارة، وأن يجعل الإنسان الأفريقي الذى تم أخذه من القارة واستغلاله كعبد يظل خائفاً من أن يعترف حتى لنفسه بأنه من أفريقيا»[١].

وقد حاول رودنى من هذه الدراسة أن يدحض الرؤى والنظريات التى كان الغرب يروج لها، إذ قام بدراسة الحضارات والعلاقات والقيم التى كانت سائدة فى هذه المنطقة، ورفض بالتالى تأكيد الغرب مثلاً على وجود رق داخلى قبل بداية تجارة الرقيق عبر الأطلنطى، بل وأكد على أن الرق الداخلى قد نشأ باعتباره نتيجة تالية لنمط تجارة الأطلنطى واسعة النطاق[٢]، ومن ذلك يدلل على خطأ العديد من المعلومات والوقائع التى قدمها الغرب على أنها حقائق لهذه التجارة، وبدأ فى تفنيد العديد من المبررات التى رفعها الغرب لهذه التجارة، حيث يرى أن الغرب قد برر هذه التجارة تحت حجة أنها كانت السبب فى جلب العديد من السلع والمواد الاستهلاكية والصناعية للقارة، ويرد على ذلك بأنه كان السبب فى تحطيم العديد من الهياكل الاقتصادية التى كانت ناشئة فى غرب القارة، وبالنسبة للمبرر الثانى الذى قدمه الغرب أكد على أن هذه التجارة كانت السبب فى قوة العديد من الممالك والإمبراطوريات، ولكنه يؤكد على أن هذه الممالك كانت قوية وراسخة قبل وصول الأوروبيين، بل كان للأخير الأثر السلبى على العديد منها، أما المبرر الثالث الذى قدمه الغرب من أن تجارة الرقيق عبر الأطلنطى كانت السبب فى إنقاذ القارة من خطر المجاعات بسبب الأعداد التى تم نقلها من القارة، يرى رودنى أنه كان بالإمكان نقل البضائع والمواد الغذائية للقارة دونما حاجة لنقل سكان القارة، وهذا ما قامت به أوروبا فى تعاملها مع العديد من الأماكن[٣].

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35.
(2) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context…., **op.cit.,** pp.434-436. **&** - Walter Rodney: **A History of the Upper Guinea Coast: 1545-1800** (Oxford: Clarendon Press, 1970), pp.261-263.
(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٢٨-١٣٠.

كما تناول رودنى الآثار التدميرية لمثل تلك التجارة على القارة بشكل عام، وعلى منطقة الغرب الأفريقي بشكل خاص، وكيف كانت بداية منطقية للاجتياح الذى حدث للقارة فى وقت لاحق، فقد دمرت هذه التجارة العديد من الممالك التى كانت فى هذه المنطقة، وتسببت فى تأجيج العديد من الخلافات والصراعات بين الجماعات لتسهيل الحصول على العبيد(١)، وأثرت على الهياكل الاقتصادية، وتسببت فى بروز العديد من العادات الاستهلاكية، وأيضاً فى التأثير بالسلب على منظومة القيم الأفريقية، وما سببه ذلك من تفكك قيمى(٢)، بل وأكد على أن كافة أنماط التجارة فى السلع المختلفة كان الهدف منها تسهيل الحصول على الرق من الأفارقة، إذ كان الهدف من تجارة الأسلحة مثلاً تأجيج الصراعات لتسهيل الحصول على الرق(٣)، وكذلك كان الهدف من تجارة الملابس والمعادن والمشروبات الكحولية، فقد أصبح الحصول على الرق نشاطاً رئيسياً للعديد من شركات الملاحة، ويلقى التشجيع من الحكومات الغربية(٤)، ويرى أن المجتمع الأفريقي بعد تعرضه لهذه التجارة لم يصبح هو ذاته المجتمع التقليدى قبل الاتصال الأوروبى، فقد أصبح على درجة عالية من التأثر بما يحدث فى أوروبا فالحروب والصراعات بين الدول والجماعات الأوروبية أصبحت لها انعكاساتها على القارة(٥)، حيث يؤكد: «كان المحفز تاريخياً من أوروبا، فقد شمل النظام التجارى الأوروبى المستويات المختلفة من اقتصاد المقايضة الأفريقى، وهو من حدد لها أدواراً بعينها فى نظام الإنتاج العالمى، وهذا كان يعنى أن التراكم الرأسمالى كان من نتاج التجارة، ويأتى فى مقدمة أنماط هذه التجارة تجارة

(1) Immanuel Wallerstein: **op.cit.,** p.331 & 332.
(2) Walter Rodney: A History of the Upper Guinea Coast: 1545-1800, **op.cit.,** p.103, 113-120.
(3) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion…, **op.cit.,** p.233 & 239.
(4) Walter Rodney: A History of the Upper Guinea Coast: 1545-1800, **op.cit.,**pp.178-183,190, & 191.
(5) **Ibid,** pp.250-252, & 259.

البشر وتشغيلهم فى العالم الجديد، ومن الضرورى التأكيد على أن كافة التغييرات التى حدثت فى الساحل كانت توضح أن المجتمع الأفريقي كان يتحرك لخدمة النظام الرأسمالى»[١].

ويؤكد رودنى على أهمية توضيح حقيقة تلك التجارة، كيف بدأت؟ وكيف تطورت؟ وكذلك محاولة إثبات خطأ ما يزعمه الأوروبيون بشأنها تاريخياً من خلال قراءة لواقع القارة قبل هذه التجارة، وتحليل أثرها من خلال تحليل هذا الواقع بعد حدوثها وتطورها وتوسعها مما سيكشف الأثر السلبى لها، ومدى زيف الشعارات التى كانت ترفعها الدول الغربية كـ «رسالة التنوير» و «عبء الرجل الأبيض»، حيث يقول: «لقد فقدنا القوة والسلطة التى كانت لنا، ولكن ونحن فى القرن العشرين لابد أن نسعى لاستعادتها من خلال إعادة بناء أفريقيا، وستكون هناك حضارة وثقافة جديدة ستبرز وتنضج بين شعوبنا...هناك ضرورة لنظرة شاملة لمحو الأساطير التى غرسها الغرب عن الماضى الأفريقي، ولا تزال قائمة فى أذهان الأفارقة فى كل مكان، وهذا هو الهدف والوظيفة الثورية المهمة للتاريخ فى عصرنا»[٢].

لقد جعل رودنى من نفسه مؤرخاً مستقلاً من خلال بحثه منذ سنواته الأولى حول طبيعة تجارة الرقيق وآثارها التدميرية على المجتمعات الأفريقية، وقد أظهرته أبحاثه كمؤرخ مستقل له توجهه الثابت فى محاولة إثبات زيف النظريات والمبادئ التى أعلنها الغرب، والتى كانت تحاول إثبات شرعية الأفعال التى كان يقوم بها. ويرى العديد من محللى فكره أن أهم سمتين فى فكره هما: رغبته وتعهده بالتحرير النفسى والفكرى للشعب الأسود، إلى جانب تأكيده على التحرير السياسي، والثانية هى رفضه لمحاولة بعض الكتاب والمفكرين والباحثين الأفارقة أن يثبتوا أن الماضى

([1]) Immanuel Wallerstein: **op.cit.,** p.333.
([2]) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.37 & 39.

الاستغلالى والاستعمارى فى القارة يمكن التغاضى عنه تحت تأثير النماذج السياسية التى ظهرت فى أفريقيا من الدول والممالك، لذلك يروا أن رودنى أحد مكونات الإطار الماركسى للتحليل على الرغم من تأثيرات العديد من المفكرين عليه[1].

ثالثاً: التاريخ كمصدر لنماذج تنموية لتغيير سمات المرحلة الحالية:

حتى يستطيع شعب ما أن يتقدم ويتطور لابد له أن يدرك تاريخه؛ لأن التاريخ عند رودنى هو علم التنمية البشرية، وإدراك الشعب لتاريخه من المحددات الأساسية لتحقيق التنمية وبخاصة فى حالة الدول والشعوب الأفريقية، ولذا يصبح على كل جيل من أجيال الشعب الأسود أن يعيد كتابة تاريخه، وأن يحاول الإجابة على ذات الأسئلة القديمة بذات الوسائل التى استخدمها الجيل السابق، وفقاً لمتغيرات وسمات واقعه الاجتماعى، ووفقاً لما يحقق مصلحته، ويكون تحريو أفريقيا من خلال استنباط أدلة ونماذج من التاريخ يمكن من خلالها إنهاء الاستعمار والاستعمار الجديد[2]، ويرى أنه من خلال استخدام المادية التاريخية، ودراسة النظم الاقتصادية التى كانت سائدة فى أفريقيا قبل وصول الأوروبيين، وتحليل مستوى التنمية الذى وصلت إليه الممالك والإمبراطوريات يمكن الكشف عن مدى التفوق التقنى والاقتصادى والسياسى الذى كانت عليه القارة.

ومن خلال دراسة حضارات تلك الفترة سنكتشف لنا أيضاً طبيعة المنظومة القيمية التى كانت سائدة، والتى كانت على درجة من التقدم والرقى، ويصل رودنى للتأكيد على نتيجة يعتبرها بمثابة حقيقة قائمة وهى أن الاتصال الأوروبى كان السبب الرئيسي فى حالة التخلف التى عليها القارة الآن، وللخروج من تلك الحالة لابد من إعادة قراءة هذه النماذج والمنظومات والأدلة التاريخية التى تحفز

(1) Myron J. Echenberg: **op.cit.,** p.196.
(2) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.6.

شعب القارة على العمل من أجل مصلحته وتقدمه، واستعادة دوره القيادى على المستوى العالمى[١].

فالأفارقة سيصلون إلى العديد من النماذج التنموية من خلال دراسة التاريخ، ولذا يؤكد على أن: «المعضلة الأساسية التى تواجهنا نحن كسود هى محاولة الاستفادة من التاريخ الأفريقي كأحد أسلحتنا فى كفاحنا وصراعنا، ففى الواقع وبإحساس صادق أقول: إننا قد وُضعنا فى موضع مثير للاستياء، ويجب علينا تعديل وضعنا هذا...إذ إن الظروف التاريخية التى أُقحم الأفارقة فيها فى القرون الأخيرة قد غرست فى عقول هؤلاء الإخوة والأخوات مفهوماً تاريخياً بعينه، وحتى يتم تحطيم هذا المفهوم يجب علينا أن ندخل اللعبة ونقول: هذا ما قاله الإنسان الأبيض وهو غير صحيح، نحن لنا ماضٍ ولنا تاريخ، ويجب أن نقول شيئاً كهذا ونؤكد عليه»[٢]، فمن خلال إدراك السود للتاريخ الأفريقي يمكن أن ينجحوا فى تغيير سمات مجتمعهم وذلك من خلال قيم ونماذج وأساليب تاريخية، ولذا: و«حتى نعرف أنفسنا لابد أن نعرف المزيد عن التاريخ والثقافة الأفريقية، وهذه خطوة مهمة تيُسر الوحدة بين السود داخل وخارج القارة»[٣].

رابعاً: استخدام التاريخ فى الرد على ادعاءات الغرب:

لم يقبل رودنى النسخة الغربية من التاريخ الأفريقي وبخاصة ما كتُب عن مرحلة تجارة الرق، وأثر الاتصال الأوروبى بالقارة ومحاولتهم تبرير السياسات الاستعمارية، وحاول من خلال دراساته أن يدحض ما تحتويه تلك النسخة من أخطاء وادعاءات كانت تُستخدم لهدف بعينه، ولذا قام بالعديد من الدراسات التى تحاول إعادة هيكلة الملامح التاريخية لمناطق عديدة من القارة، وأن يثبت خطأ ما

(1) Chris Consalves: **op.cit.,** p.1 & 2.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.66 & 67.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.35-37.

استخدمه الغرب لتسهيل سيطرته على هذه الأماكن، ولذا يؤكد على أن «الإنسان الأبيض وجد أنه من الملائم أن يستخدم العنصرية حتى يستغل البشر السود على مستوى العالم، وكذلك نحن كسود يمكن أن نستخدم مسألة الإثنية لوحدتنا...وطالما ظل هناك من يريد أن ينكر آدميتنا كسود فنحن سوف نستمر ونصُر على آدميتنا، ولهذا السبب يمكن أن يكون إرثنا التاريخي والثقافي من الأهمية بمكان في تحقيق ذلك، ولذلك يجب علينا أن نعيش ثقافتنا؛ لأن الثقافة هي طريقة حياة، كذلك نحاول أن نستعيد ما تم أخذه منا، وأيضاً يجب علينا أن نبقى ونظل جزءاً من الإنسانية»[١]، ويؤكد على استحالة الجمع بين الرؤى الغربية والرؤى الأفريقية للتاريخ الأفريقي، ولن يحدث هذا في المستقبل، وذلك بسبب اختلاف المنطلقات وتباين الأهداف والأدوات لكل تصور منهما[٢].

وحتى تستطيع الجماهير الأفريقية والمفكرون الرد على ادعاءات الغرب لابد من إدراك ووعي بما يقدمه التاريخ، ويجب أن يكونوا على درجة من الوعي بالثقافة الأفريقية والقيم التي تحتويها وتاريخ تطورها، ولذا حاول رودني من خلال نشاطه العملي أن يحقق هذا الهدف، وأن يسعى للتثقيف الجماهيري وخصوصاً لفئات العمال الذين كانوا محور نشاطه في العديد من الفترات[٣].

خامساً: الاستمرارية التاريخية عند رودني:

يعبر التاريخ عند رودني عن عملية مستمرة يتم الانتقال فيها من مرحلة لأخرى بطريقة مستمرة تعبر عن أن هناك حالة من التغيير تحدث داخل المجتمع دون أن يكون هناك توقف في هذه الحركة التغييرية، وقد يعبر التغيير عن انتقال للأفضل

(1) **Ibid,** p.39.
(2) Walter Rodney: History is Weapon, **op.cit.,** p.7.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.2, 4, & 5. **&** - Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.2. **&**
-Walter Rodney: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African….., **op.cit.,** pp.339-342.

ولمرحلة أكثر تقدماً، فى حين يمكن أن يكون التغيير للأسوأ ويعبر عن ارتفاع معدل التخلف، ولذا: «لابد أن تتم رؤية التاريخ الأفريقي من خلال أن له علاقة أساسية بالكفاح المعاصر للشعب الأسود، ولا يجب أن يتم التمييز الخاطئ بين الفعل وانعكاساته، فنحن مجرد مظهر للثورة المستمرة...فالإنسان الأسود أينما وجد فى أفريقيا أو فى أوروبا فهو فى مسيرة»[١]، وقد كان للاتصال الأوروبى تأثيره فى معدل واتجاه ذلك التغيير الذى يحدث فى القارة، ولكن الوعى بالتاريخ وبما يحتويه وبمعدل التغيير الذى كان يحدث فى أفريقيا سيمدنا بالنماذج التى يمكن من خلالها الرجوع إلى هذا المعدل من التغيير، لذا يرفض رودنى بالتالى معايير ومقاييس هذا التغيير التى يكون مصدرها التاريخ والثقافة الغربية، حيث يقول: «إن التنمية البشرية يمكن أن يتم التعبير عن أعلى مستوياتها من خلال الهياكل التى يدعوها الأوروبى «دولة»، وداخل المفاهيم التى يعتبرونها حضارة، ولذا تحتاج فى بعض الأحيان أن تعيد لنفسك الوعى بما حققته الحضارة الأفريقية»[٢]،ومن خلال المبادئ والقيم الأفريقية يمكن أن تصل القارة للتنمية والتحرك الإيجابى نحو التقدم، ويطلق رودنى على هذه المبادئ «المبادئ الديناميكية للثقافة الأفريقية»، وهى الأسس التى قامت عليها الحضارات القديمة، ووصلت لدرجة التنمية التى كانت عليها، وهى ما يمكن أن يشكل الأساس الحديث للتنمية[٣]،ولذا: «حتى باستخدام المفاهيم التى وضعها الأوروبيون يمكن أن نؤكد ونبرهن على أن التاريخ الأفريقي موجود والحضارة الأفريقية قائمة، ويستطيع الإنسان الأسود أن ينظر للتاريخ ويحصل على الباعث الثورى الضرورى له»[٤].

إذن يشكل التاريخ لرودنى محوراً أساسياً للتنمية والوحدة، وإمكانية الوصول

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.67.
(2) **Ibid,** p.78 & 80.
(3) **Ibid,** p.74
(4) **Ibid,** p.71 & 72.

للقوة السوداء، ولذلك فهو من الأسس المهمة التى يمكن من خلالها إعادة صياغة العلاقة بين أفريقيا والغرب، وقد اتخذ منه مرجعية تحليلية تجاوز فى بعض كتاباته الإطار الماركسى الطبقى، بل ويؤكد على أن الإطار التاريخى يعطى واقعية ومصداقية للإطار الماركسى فى التحليل، ولذا يمكن القول بأن رودنى قد استخدم التاريخ كأداة تطبيقية فى إطار التحليل الطبقى فى تقديمه للعديد من الرؤى والتصورات التى قدمها، وأنه: «حاول أن يعطى لكتابة التاريخ آلام المشارك الذى يحاول أن يغير العالم، ليس فى الخيال بل فى أرض الواقع، إذ كان يبحث فى التاريخ عن أسس جديدة للحركة، وفى رأيه أن كتابة التاريخ بدون آلام تصبح تقسيما للزمن أو تشريحاً للأحداث دون إحساس بالحركة، فالتاريخ يتحرك، وهذا ما فهمه رودنى»[١].

المطلب الثانى: التاريخ وإعادة هيكلة العلاقة بين أفريقيا والغرب

يرى رودنى أنّ الأدوات الثقافية كانت من أهم الأدوات التى استخدمها الغرب لتبرير العديد من الممارسات الاستعمارية والعنصرية، وحتى تستطيع القارة أن تعيد هيكلة علاقتها بالغرب لابد لها من استخدام ذات الأدوات وخصوصاً إعادة كتابة تاريخ المرحلة التاريخية التى تمتد منذ الاتصال الأوروبى بالقارة، ويجب توعية الجماهير بما قد شملته الرؤية الغربية التى قُدمت من أخطاء وادعاءات، وأن يتم التأكيد على دور أفريقيا وإسهامها فى تطور الإنسانية[٢]، وإذا استطاع الإنسان الأسود الاستفادة من الأنساق التاريخية التى ورثها سيتمكن من الخروج من دور التابع، ويستطيع أن يعيد هيكلة علاقته مع الغرب على أساس ثقافى يربو فى جذوره وأثره على البشرية على الذى للغرب[٣].

ويؤكد رودنى على أن إعادة النظر فى بعض مراحل التاريخ الأفريقي سيسهل

---

(1) David Renton: **op.cit.,** p.151.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.59.
(3) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.6.

على الإنسان الأسود أن يدرك قيمة حضارته، وسوف يكون على وعى أيضاً بتطور علاقة القارة بالغرب، ولكن يجب أن يكون التاريخ أساس حركة السود الموحدة الهادفة لإعادة هيكلة هذه العلاقة[1]، ولذلك ينبه إلى خطورة سياسة الغرب لفصل تاريخ أفارقة الدياسبورا عن تاريخ القارة، وقطع العلاقة بين تطور الأحداث الذى كان يجرى للطرفين، وذلك للحيلولة دون الوحدة الفكرية بينهما[2]، إذ لابد من الحركة الموحدة للسود على مستوى العالم؛ لأنهم جميعاً اشتركوا فى ذات خبرات الاستغلال والقهر والعنصرية، ولذا فقد وسع رودنى من مجال التعبئة للوصول لدرجة من تحدى تلك القوة البيضاء وآلياتها، وبذلك تستطيع القارة الخروج من حالة التابع وحالة الخادم المطيع لأهداف الرأسمالية العالمية[3].

ويرى رودنى أن الشعب الأسود حتى يصل لإعادة كتابة بعض المراحل من تاريخه لابد أن يبدأ بتفنيد ودحض الرؤى والنظريات والادعاءات التى قدمها الغرب، والتى كان يهدف منها لإثبات أن القارة كانت تعيش حالة من التخلف والوحشية والتفكك الاجتماعى والسياسي قبل الاتصال الأوروبى بها، ويؤكد أن ما كان سائداً هو عكس تلك الرؤى والنظريات، فقد وصلت القارة لحالة من التقدم تفوق ما كانت عليه كافة أماكن العالم، وأن التخلف الذى تعيشه القارة الآن هو نتاج الاتصال الأوروبى بها ومن طبيعة السياسات والأهداف التى كانت للغرب[4]، ولذا يرى: «أن الهدف الأساسى من نشاطنا العالمى هو أن ننمى منظوراً ضد الرأسمالية والإمبريالية»[5]، وأنه: «حتى يستطيع الإنسان الأسود أن يعيد هيكلة ماضيه يجب أن ينطلق من قطع علاقته بالإمبريالية الرأسمالية، وأن يحاول

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.58.
(2) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.9 & 10.
(3) Mazi E. N. Njaka**: op.cit.,** pp.12-14. **&** - William Bascom: **op.cit.,** pp.26-29.

(٤) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص٤.

(5) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

التخلص من قيود الحاضر ليصل لحافز ثورى من الماضى»[١]، ولذا اهتم رودنى بدراسة وتدريس تاريخ القارة الأفريقية ومنطقة الكاريبى وتاريخ الثورات على مستوى العالم، كذلك حاول أن يجعل من نشاطه تعبيراً عن هذا التوجه، ولذا فمحاولته لم تكن فقط محاولة إعادة ترتيب أحداث تاريخية، ولكنها كانت محاولة لتحفيز الإنسان الأسود على أن يسعى لاستعادة إحساسه ووعيه بسمات وإيجابيات تاريخ القارة، وأن يكون للمثقفين دور فى القيام بالدراسات التى تثبت حقيقة مسار تطور هذا التاريخ وتدحض ما قدمه الغرب، وأن يكون لهم دور فى التوعية الجماهيرية[٢]، ولذا يؤكد على أن «الأسطورة التى نكافح من أجل إنهاء تأثيرها على عقول إخوتنا السود فى الولايات المتحدة أن لديهم تخوفاً من أن أفريقيا التى عاشوا بها هى مكان وحشى، وأن سكانها يتأرجحون بين الأشجار، وتسمع بها أصوات آكلى لحوم البشر، وحتى ندحض تلك الأسطورة لابد أن نوضح أن أفريقيا بها مبانٍ عظيمة ودول كبرى كالتى كانت فى الدول التى قهرتنا واستغلتنا، وحتى نستطيع إكمال تلك المرحلة لابد أن نؤكد على بناء أنفسنا على أساس من الثقافة الأفريقية»[٣].

ويفسر رودنى التفوق الأوروبى منذ القرن الخامس عشر فى ضوء أن أوروبا استطاعت أن تعيد هيكلة تاريخها وتجديد مفاهيمه، واستحدثت من المفاهيم والنظريات التى تمكنها من السيطرة على العالم، بل وأعطت هذه المفاهيم والمعايير طابعاً دولياً تحكم من خلالها على مدى تخلف وتقدم دول العالم المختلفة[٤]، ويؤكد رودنى على أنه «اختلاف التكوين التاريخى بين أوروبا وأفريقيا قد جعل الإنسان الأبيض يبدو أسمى من الناحية العملية، وذلك لأنه كان قادراً على تأسيس عملية

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69 & 70.
(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.** p.54 & 55.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.56.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.80.

التجانس بين بنى جلدته بسبب التكنولوجيا والديناميكية الرأسمالية، وكانت نتائج ذلك كارثية على أفريقيا، فقد تم تفكيك الاقتصاد الأفريقي وتوجيهه للخارج، مما أدى إلى الفوضى وعدم العدالة القانونية، وانتشار الاستغلال والرق الداخلي بدلاً من الأمن العام»[١]، وأن أفريقيا من خلال إعادة هيكلة تاريخها ستحقق التنمية والتطور بصورة أسرع مما حدث فى الغرب بسبب الأسس التنموية والتقدم الذى يحتويه تاريخها[٢]، ولذا يرى محللو نشاط ورؤى رودنى أن اتجاهاته الفكرية والرؤى التى قدمها كانت تطبيقاً عملياً للمادية التاريخية، وأنها أفادت العديد من المفكرين الثوريين وأصحاب النهج الراديكالى فى التغيير فى القارة، ويرون أن له نظرة جديدة للتاريخ الذى حاول أن يجعله المصدر الأساسى للعديد من الحلول لمشاكل المجتمع المعاصر[٣]، حيث يؤكد أن تغيير السمات المستقبلية للقارة وعلاقتها بالغرب يجب أن يرتكن على تاريخ تطور تلك العلاقة، ويجب أن تعى الجماهير الأفريقية مظاهر وسمات تاريخها التى تسمو على الغرب، والتى تساعد فى استعادة ثقتهم فى تاريخهم[٤]، ومن أهم المظاهر التى يثبت بها رودنى سمو التاريخ والحضارات الأفريقية:

أولاً: المنظومة القيمية الأفريقية:

قدم رودنى نماذج من القيم والمبادئ التى يؤكد بها على وجود ثقافة محددة الأبعاد والسمات فى أفريقيا، وأفضلية وسمو هذه الثقافات والقيم على ما يناظرها فى الغرب، ومن هذه النماذج:

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.58.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.116 & 128. **&** - Imanuel Geiss: **op.cit.,** pp.198-200.

(3) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.11. **&** - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.63. **&** . ولتر رودنى: م. س. ذ 313-342 ص

(4) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context...., **op.cit.** pp.431-433 & 439-443.

١) كرم الضيافة Hospitality: بمعنى الطريقة التى يتعامل بها الأفريقي مع الآخرين فى المجتمع، حيث يؤكد على ترسخ هذا المبدأ فى الثقافات الأفريقية، بل ويرى أنه قد أسهم فى تيسير اجتياح الأوروبيين لأجزاء من القارة، إذ يقول: «إنه من المدهش تكرار تأكيد الأوروبيين على طبيعة كرم ضيافة الأفريقي، ولم يكن ذلك طابعاً فردياً، بل كان راسخاً فى طبيعة تنظيمه الاجتماعى»[١]، ويؤكد رودنى على أن ذلك المبدأ قد أسهم فى نمو الإحساس بالمسؤولية الجماعية بين الأفارقة، وساعد على توفير قدرٍ من الأمن الاجتماعى[٢]، كما ساعد على وجود مسؤولية الفئة الحاكمة تجاه المحكومين بضرورة توفير السلع الأساسية وإشباع احتياجات وحقوق بعينها ربما بشكل غير موجود فى النظم الأفريقية الحديثة[٣]، وهذا المبدأ شكل حماية للعديد من الفئات الاجتماعية من الوصول للفقر المدقع الذى يمكن أن يصيبها، ولذا كانت شرعية العديد من الفئات الحاكمة ترتبط بمدى نجاحهم فى الوفاء بهذا المبدأ، وتوفير الاحتياجات الأساسية لمحكوميهم[٤].

هذا المبدأ وتطبيقاته يفند العديد من الادعاءات الغربية حول طبيعة العلاقة بين الأفراد والجماعات الأفريقية قبل وصول الأوروبيين للقارة، ويدلل على عمق تلك العلاقات وجودتها، ويرى رودنى أن هذا النمط من العلاقات لم يكن موجوداً فى المجتمع الرأسمالى الغربى الذى يقوم على أساس من الربح والفردية، وتتراجع فيه أهمية العلاقات الاجتماعية ومكانة المبادئ التى ترتبط بالجماعات لصالح التوجهات الفردية[٥]، حيث يقول: «هنا أتحدث عن مجتمع يتمتع بكرم الضيافة لا عن شخص

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.73 & 74.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.53 & 54.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator», **op.cit.,** pp.70-72.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.75.
(5) Walter Rodney: Portuguese Attempts at Monopoly on the Upper Guinea…, **op.cit.,** p.320

منفرد، فالمجتمع تسوده علاقة متبادلة بين جميع أركانه»[١]، كما يؤكد على تأثير الاستعمار والثقافة الغربية على تلك المبادئ الموجودة بين الأفراد والجماعات، وعلى العلاقة التى كانت بين الحاكم والمحكوم فى وقت سابق[٢].

٢) **احترام كبار السن:** ينطلق رودنى من تأكيده على أن الفئات المسنة فى المجتمعات الغربية تصبح لا فائدة منها ولا قيمة لها فى ذلك المجتمع الذى يحتاج فقط للفئات القادرة على العمل والإنتاج، بل وينظر الرأسماليون لهذه الفئات على أنها نسبة إعالة، وارتفاع نسبتهم يمكن أن يكون له تأثيره السلبي على التنمية والتطور، ويؤكد أن معظم المجتمعات الغربية حاولت الاستفادة من العبيد وهم فى سن الشباب قبل أن يصلوا إلى سن الكهولة حتى لو وصلت الأعمال إلى درجة من المشقة تؤدى إلى موتهم، وهذا عكس ما هو موجود فى أفريقيا، حيث تصبح للإنسان الكهل سلطة وقوة فى المجتمع؛ لأنه أصبحت له الخبرات التى يستطيع بها مواجهة مشكلات وكوارث المجتمع والبيئة، فقد تلقن وأتقن مبادئ وسمات وتغيرات هذا المجتمع[٣]، ويكون تنظيم مؤسسات وهياكل السلطة فى المجتمعات الأفريقية على أساس من السن والخبرة، بحيث يصبح الأكبر سناً والأكثر خبرة المرشد للملك أو ولى العهد، وتنفيذاً لمبدأ كرم الضيافة لا يضطر الكهل للعمل اليدوى، بل يصبح مصدر قوته ومكانته وسلطته لسنه وخبرته وحكمته، ويدلل ذلك على أفضلية وسمو القيم الأفريقية التى تحاول الاستفادة من الإنسان منذ الميلاد وحتى الوفاة[٤].

٣) **موقف الأفارقة من القانون:** يدلل رودنى على تقدم المنظومة القيمية الأفريقية عن تلك التى للغرب من خلال إحدى السمات الاجتماعية الأساسية وهى

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.75
(2) Walter Rodney: A History of the Upper Guinea Coast: 1545-1800, **op.cit.,** p.117, 118, 177, & 178.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.76.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.54.

احترام الأفارقة للقواعد القانونية، بالرغم من أن معظم القواعد القانونية فى هذه المجتمعات كانت عرفية المصدر، لكن السياق الاجتماعى كان يتميز بقدر من الأمن الاجتماعى الذى لم يكن موجوداً فى أوروبا فى تلك الآونة، ويؤكد رودنى ذلك من خلال كتابات الأوروبيين الذين يشهدون لذلك الأمن، فقد تكرر تأكيدهم: «أن ذلك كان مذهلاً، إذ كيف يمكن أن نسافر هذه المسافة الطويلة فى إمبراطورية مالى دون أن نجد لصاً أو قاطع طريق، وإذا فقدنا شيئاً نعود للملك لنجد أنه قد تم إرجاع هذا الشىء إليه ليتم إعطاؤه لنا»[1]، ويؤكد أن ذلك يناقض ما كان سائداً فى المجتمعات الغربية والتى يصفها بأنها مجتمعات نهب وسرقة وسعى للربح بكافة الوسائل، وتكون تنمية الأمن بها من المسائل التى لا تحتل أولوية فى تفكير قادة هذه المجتمعات، وحين يتم التفكير فى هذه الأبعاد الأمنية يكون من خلال تنمية أدوات القهر والحكم كالجيش والشرطة، ولكن فى أفريقيا كانت القيود الاجتماعية هى التى تفرض احترام القانون، فالأمن فى المجتمعات التقليدية كان يوجد بشكل فطرى، ولا يعنى ذلك أنه لم تكن هناك جريمة ومخالفة للقانون، لكن المناطق الآمنة تصل لأعلى مستويات الأمن، وحتى عند تطبيق القانون على المذنب يكون هدفه التحكم فى الشعب وليس العقاب فى حد ذاته، ولذا كان الشخص المذنب يقوم بتعويض الشخص الذى أذنب فى حقه، كما يقوم بتعويض المجتمع كاملاً، حيث يؤكد: «إذا قام شخص بالسرقة، فإن عليه أن يقوم بتعويض عن تلك السرقة بدلاً من أن يوضع فى السجن، لم أقرأ عن السجن فى المجتمع التقليدى الأفريقي، ولم أقرأ عن أدوات التكبيل قبل انتشار تجارة الرق»[2].

٤) **الممارسات الدينية والتسامح**: يؤكد رودنى على قيمة التسامح فى المجتمعات

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.76.
(2) **Ibid,** p.77. **&** - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.65.

التقليدية الأفريقية وفى الممارسات الدينية، إذ يقول: «لم يكن للمعتقدات الدينية الأفريقية ذلك الطابع الإمبريالي، ولم تكن لها دعوة عالمية كالمعتقدات الدينية الأخرى...لذلك لا سبيل للهيمنة والسيطرة فى هذا البعد، فقد سمحت النظم السياسية الأفريقية للإسلام أن يتواجد فى العديد من الأماكن لعدة قرون، كما سمحت للمسيحية بالدخول إلى القارة منذ البداية دون اعتراض، ولم تكن هناك حروب دينية فى أفريقيا مثل تلك التى كانت فى أوروبا، حتى المسيحية التى فى أفريقيا لها بعد تسامحى»[(١)]، فالممارسات الدينية فى أفريقيا تسمح بقدر من الحرية، ومع أنها ليست معتقدات دينية سماوية، ولكنها احتوت على العديد من أبعاد التسامح وحرية الاعتقاد.

ويصل رودنى من تقديمه لهذه المبادئ لنتيجة مفادها أن المنظومة القيمية الحضارية الأفريقية تسمو فى محتواها عن نظيرتها الغربية تاريخياً، وأن ما حدث لها من توقف فى تطورها هو من نتاج العلاقة مع الغرب، ولذا يمثل إدراك وإعادة إحياء مثل تلك النماذج خطوة مهمة فى سبيل تغيير الأسود لسمات وخصائص مجتمعه، وبداية لإعادة هيكلة ثورية فى العلاقات داخل القارة[(٢)]، وفى العلاقة التى تجمع القارة مع الغرب؛ لأن ذلك سيكون مصدراً للثقة فى التاريخ والقيم التى حاول الأوروبى أن يجرد الأفريقي من فوائدها الثورية[(٣)]، ومع التأثيرات التى كانت لمرحلة الاتصال الأفريقى بالغرب من سلبيات على هذه المنظومة، إلا أن ذلك لن يؤدى إلى غيابها، وكذلك لن تبقى ساكنة، فهذه القيم الثقافية تتصل بحياة الشعوب، ولذلك فهى دائمة التغير، ومحاولة إعادة إدراكها هى من الخطوات الأساسية فى سبيل إعادة هيكلة العلاقة مع الغرب[(٤)].

(١) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers. **op.cit.,** p.55 & 56.
(٢) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion.... **op.cit.,** p.242.
(٣) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation. **op.cit.,** p.79 & 80.
(٤) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers. **op.cit.,** p.37.

ثانياً: الحضارات الأفريقية:

من المظاهر التى قدمها رودنى كدليل آخر على تقدم المستوى الثقافى والحضارى الأفريقي تاريخياً على الغرب هو مناقشته للحضارات التى انتشرت فى القارة، وكذلك مستوى التقدم الثقافى والتقنى الذى وصلت إليه هذه الحضارات، فى مقابل أوروبا التى ترتكن للحضارة اليونانية ولمجموعة من حضارات هى عبارة عن فتوحات وإمبراطوريات حرب وسيطرة وإبادة، والتى كانت تعيش فترة العصور الوسطى المظلمة والحروب التى كانت منتشرة بين وحداتها، فقد تناول رودنى بالدراسة العديد من الحضارات والممالك والإمبراطويات التى سادت القارة، فمثلاً قام بدراسة تاريخ مصر وإثيوبيا والنوبة والمغرب، وحضارات وممالك وإمبراطوريات السودان الغربى، وكذلك حضارات زيمبابوى ومنطقة البحيرات وبلاد الهوسا والباجندا والزولو ....إلخ[1]، ليؤكد من خلال هياكل ومستوى تلك الحضارات المتقدمة فى الزراعة وتقنيات الرى، ومن درجة التقدم التى كانت عليها أساليب الصناعة والتعدين، وأيضاً فنون العمارة والنحت وبناء المعابد، على تفوق تلك الحضارات النسبى على ما يناظرها فى ذلك الوقت، ويؤكد على أن تلك التطورات المستمرة كانت من إفراز البيئة الداخلية، ولم تكن مفروضة أو من تأثير قوى خارجية، ويصل بذلك إلى إثبات خطأ الزعم الغربى بأن أفريقيا كانت عبارة عن خليط من جماعات غير منظمة تعيش حياة الوحشية والبدائية[2].

ويرفض رودنى الحكم على هذه الحضارات والثقافات بمعايير مصدرها الغرب مؤكداً على أن هدف الغرب من تلك المعايير هو طمس الهوية الأفريقية لهذه الحضارت، وأن يصبغها بصبغة تبعدها عن الانتماء لأفريقيا، كأن يحاول أن يضع

---

(1) **Ibid,** pp.40-50 **&** - Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.71.

(٢) وولتر رودني: م. س. ذ.، ص ص ٦٣-٨٠.

الصبغة البيضاء على الحضارة المصرية مثلاً، إذ يقول: «يحكم الغرب على باقى العالم من خلال تلك المعايير وكأنها معايير عالمية...وليس لهم أن يحكموا على أى من الثقافات الأخرى بما قد عرفوه واستوعبوه من ثقافتهم الخاصة»(١).

ويرى رودنى أن التنمية وإعادة هيكلة العلاقة مع الغرب تبدأ من دراسة تاريخ وقيم هذه الحضارات التى تثبت مدى التفوق والسمو عما للغرب، ويوضح لنا أثر علاقة القارة بالغرب على هذه المستويات المتقدمة، حيث يؤكد أن القارة قد وصلت إلى مستويات من التقدم قبل الغرب بقرون، ذلك لأن القارة هى مصدر العنصر البشرى ومهبط الإنسان الأول، لذلك لابد أن يكون كل تقدم وتغير وتطور قد بدأ على أرضها، ولم يكن ذلك التقدم فى الكيانات والممالك الكبرى فحسب، بل إن الكيانات صغيرة الحجم فى أفريقيا قد وصلت إلى درجة من التقدم والحضارة تفوق ما وصلت إليه الكيانات الكبرى فى أفريقيا وفى الغرب؛ إذ يؤكد: «مع أن المعتقد السائد أنه فى الدول الكبرى فقط يمكن أن تجد حضارة، إلا أن هذا كان اعتقاداً خاطئاً، فإنه فى الوقت الذى تم فيه تدمير العديد من القيم المهمة فى الدول الأوروبية الكبرى، كانت الدول الأفريقية صغيرة الحجم هى مكان وأساس احترام الإنسان»(٢).

ثالثاً: إسهام أفريقيا فى تطور الرأسمالية:

المظهر الثالث الذى يدلل به رودنى على أسبقية التقدم والحضارات الأفريقية عما هو فى الغرب هو أن القارة الأفريقية قد كان لها إسهام واضح فى تقدم وتطور الرأسمالية، فقد استفادت الأخيرة من القيم والموارد الأفريقية، وهذا ما سبقت الإشارة إليه، ولكنه يؤكد على أن طبيعة العلاقة التاريخية بين أفريقيا والغرب قد

---

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.71 & 72.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35 & 36.

أدت إلى إيجاد الوسائل التى استطاع بها الغرب نهب ثروات وشعب وتقنيات القارة الأفريقية بما لها من أثر السلبى على التنمية الرأسمالية والثورة الصناعية وتكوين القوة السوداء والتى كان يمكن أن تحدث فى القارة، وبذات القدر الذى أسهمت به أفريقيا فى تطور الغرب، أسهم الأخير فى تخلف وتحطيم الهياكل التنموية فى القارة، بل جردها من التراكم الرأسمالى الذى كان يمكن أن يقود لتقدمها، مما كان له أثره على الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأفريقية، لينتهى ذلك بفترة الاستعمار المباشر للقارة وما سببه من نتائج سلبية، ولكنه يرى أن الأفارقة عليهم أن يدركوا أن إسهامهم فى تقدم الغرب يدل على أنهم كانوا فى مرحلة أكثر تقدماً، بل ويستطيع السود أن يحققوا مستوى تنموياً فى العصر الراهن يعادل ما للغرب فى فترة تقل عن تلك التى كانت للغرب، لأن لهم الأسس والموارد والنماذج الحضارية التى يمكن أن تسهل وتعجل بذلك، وأنه مثلما ساعد السود الغرب على أن يتقدم، عليهم الآن أن يستخدموا هذه الجهود الذاتية فى الخروج من حالة تبعيتهم وتخلفهم[1].

ويخلص رودنى من الأمثلة السابقة لنتيجة مفادها أنه تاريخياً يمكن إثبات أن القارة الأفريقية لها الأسبقية والتفوق حضارياً وثقافياً على الغرب، وأنها كانت لها الأفضلية والفضل فى الإسهام فى تقدم الرأسمالية العالمية، وقد حاول الغرب طمس تلك الحقائق من خلال سيطرته عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، كما حاول أن يمد تلك السيطرة إلى الأبعاد الثقافية، فبدأ بإعادة هيكلة تاريخه، وقام بصك العديد من المعايير والنماذج والرؤى التى حاول فرضها عالمياً، ولذا يرى أنه باستخدام ذات الأدوات والأساليب يستطيع السود أن يعيدوا هيكلة مراحل وقيم ونماذج ورؤى من تاريخهم تؤهلهم للتغيير الثورى، بل وتصبح تلك هى المصادر للثورة الأفريقية.

(1) **Ibid,** p.19 & 20. **&** وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص 95-140 - ص ١٩١-٢٣٣.

المطلب الثالث: التاريخ الأفريقي مصدر للثورة السوداء

تستطيع القارة الأفريقية أن تغير من سمات علاقتها بالغرب على أساس إدراك النماذج التاريخية، ومحاولة تصحيح التوجه الفكرى الأفريقي الذى تأثر بالنماذج والأساطير التى غرسها الغرب فى عقول السود، مما سيشكل بداية منطقية للتغيير، ويؤمن رودنى بأنه حتى يحدث التغيير لابد أن يكون شاملاً، ويحدث بشكل ثورى، بل ويفتح المجال أمام العنف المباشر والصريح لإحداثه، ويطلب أن تكون هناك ثورة مادية وتاريخية فى القارة لإحداث ذلك، وللخروج من حالة التبعية التى استطاع الغرب وضع مبادئها من خلال معايير ورؤى مصدرها الحضارة الغربية، وتهدف إلى إثبات دونية الأسود(١)، ويمكن رصد رؤى رودنى لإحداث التغيير الثورى من خلال:

أولاً: التغيير الثورى فى رؤى رودنى:

يؤمن رودنى بأن التغيير لن يحدث فى القارة تحت المظلة الرأسمالية التى استُخدمت فى السابق لاستعمار واستغلال القارة، ومن خلال التاريخ سيدرك الأفارقة أن التغيير الذى سيحدث لابد أن يكون من خلال ثورة وعنف اجتماعى(٢). وقد ساعدت نشأة رودنى وطبيعة دراسته وخبراته على تبنيه لذلك التوجه الثورى، فقد كان والد رودنى صاحب توجه ثورى تجاه ما يحدث فى جويانا، وكذلك كان لنشأته فى موطن التوجهات السوداء الثورية كالجامعة الأفريقية والقوة السوداء أثرها فى توجهه الفكرى، وكانت له أيضاً خبرة مع سيرل ليونيل روبرت جيمس C.L.R. James صاحب الكتابات عن الثورة فى هاييتى، وكذلك علاقته بفيدال كاسترو والثورة فى كوبا، وتأثره أيضاً بطبيعة التوجهات الإصلاحية للنظام السياسى فى تنزانيا والتيار الفكرى فى جامعة دار السلام، كما عاصر فترة حركات

---

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.8 & 9.

(٢) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٤ و ٥ و ١٧٥-١٨٣ و ٢٩٤-٣٠١.

التحرير والتوجهات الراديكالية فى الكاريبى، وكذلك كانت دراسته لتاريخ الثورة فى روسيا والصين وفرنسا وكوبا للاستفادة منها على الصعيد الأفريقي، كل ذلك شكل المحددات الأساسية لتبنيه توجه ثورى فى تغيير الواقع الأفريقى(١).

ويرى رودنى أن المحاولات الأولى للتغيير يجب أن تكون من خلال الأدوات السلمية؛ وهى السبل والأدوات والقدرات التى يحصل عليها الشعب من خلال مراحل الكفاح، وهى أدوات تتوافق مع التوجهات الغربية فى التغيير، كأن يتم التصويت الانتخابى لصالح قيادة سياسية دون الأخرى، أو أن يتم التغيير من خلال المؤسسات وسبل التعبير الشعبى، وتكون الحركة الجماهيرية من خلال هذه الأدوات السلمية هى أدوات التغيير، وقد قام بممارسة ذلك فى محاولته لتغيير الوضع فى جويانا، فقد انضم لـ«ائتلاف الشعب العامل»، ثم تحول ذلك الائتلاف إلى حزب سياسي، وكان عازماً على دخول الانتخابات، وقد حاول هذا الائتلاف أن يوجه نشاطه للجماهير لرفع مستوى الوعى بضرورة وأهمية أدوات التغيير(٢)، ويؤكد رودنى على أن التاريخ والتعليم من أهم تلك الأدوات التغييرية(٣)، وإن لم تنجح تلك الأدوات فى إحداث التغيير، فإن التغيير فى هذه الحالة يكون من خلال لجوء الجماهير للثورة والعنف لإدراكه، حيث يقول: «يبعث العنف دائماً على قدر من الأسف؛ لأنه يفقد العديد من الأشخاص حياتهم، ويسبب الايذاء لهم، ولكن مسئولية أعمال العنف دائماً ما تقع على كاهل هؤلاء الذين سمحوا بالبيئة التى تؤدى إليه...فإذا أصبح الموقف صعباً، وأغلقت كافة السبل للحل السلمى يصبح العنف

(1) Michael O. West: Walter Rodney and Black Power….,**op.cit.,** pp.3-11.
& - Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.164. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** pp.149-151. & - Horace Campbell: Walter Rodney and Pan-Africanism Today, **op.cit.,** p.16 & 17.
(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54. & - Rupert Lewis: **op.cit.,** pp.37-41.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.11 & 12.

هو الاختيار المنطقى لحل مثل تلك المواقف»[1]؛ لأنه: «يمكن أن يظل الفرد الذى لم يقم بثورة تحت الاستغلال والقهر إذا ما تمت مقارنته بالذين نجحوا فى القيام بثورة»[2]، ويؤكد على أن: «هناك العديد من الأشخاص يجهزون أنفسهم دون خوف من أجل الحرب لنيل حقوقهم حتى لو تعرضت حياتهم للخطر، فالروح البشرية لها القدرة على أن تسمو فوق كل قهر»[3]، وتكون نقطة البداية فى إحداث تلك الثورة من خلال النماذج التاريخية والإدراك والوعى بالنماذج الثورية والتنموية التى يقدمها التاريخ، وهذا ما حاول ترجمته فى المقررات الدراسية التى كان يقوم بتدريسها، ومن خلال المؤسسات التى كان ينضم إليها، والاجتماعات والمؤتمرات التى كان يشارك فيها[4]، فالتغيير عملية شاملة فى طبيعة العلاقة بين الغرب وأفريقيا على المستوى الخارجى، ويكون فى الأبعاد السياسية والاقتصادية والفكرية لهذه العلاقة، وكذلك على صعيد السمات الداخلية للمجتمع، كما يؤكد على التغيير فى طبيعة العلاقة بين الجماعات داخل الدول لتكون حركة هذه الجماعات أكثر وحدة، ولذا يطلب التغيير فى سمات وتوجهات النظم السياسية، والخطط التنموية، والتوجهات الأيديولوجية للمجتمع، بمعنى ترك موروثات تاريخية بعينها، ويصل رودنى للتأكيد على أهمية تعديل شكل حدود الدول، والمطالبة بإلغائها لصالح خلق كيان موحد يعبر عن السود[5].

ثانياً: الوعى بالتاريخ الأفريقي وتحرير السود:

حتى يستطيع الأسود أن يقوم بثورة وتغيير راديكالى فى مجتمعه يجب أن يكون قد تحرر نفسياً وفكرياً واقتصادياً. هذا إلى جانب التأكيد على ضرورة تفعيل الاستقلال

(1) Carl Blackman, **op.cit.,** p.2.
(2) Walter Rodney: History is Weapon, **op.cit.,** p.3.
(3) Myron J. Echenberg: **op.cit.,** p.197.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35.
& - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.56 & 57.
(5) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress….., **op.cit.,** p.732 & 740.

السياسي الذى حصل عليه، حيث يؤكد رودنى على أن محور سياسة الغرب فى الفترة التالية للاستقلال هو الحفاظ على أفريقيا فى دور التابع، وأن يظل الغرب مسيطراً على عقول وقلوب السود[١]، ولذلك يؤكد على أن التاريخ يمكن أن يسهم فى الوصول لاستقلال السود فى كافة الأبعاد، فالتاريخ عنده هو مصدر المقاومة الأفريقية منذ البداية، وهو مصدر حركات التحرير، إذ يقول: «أدرك العديد من المؤرخين والمفكرين القوميين الأفارقة الجدد أن الحركة القومية التى كانت فى خمسينيات وستينيات القرن التاسع عشر كانت أسسها وجذورها فى الماضى الأفريقي، وأن الحركات السياسية التى حصلت على الاستقلال فى العديد من أجزاء القارة كانت نتاجاً لعملية كفاح مستمرة أخذت أشكالاً متنوعة»[٢]، ولذلك فمن التاريخ يمكن أن تصل المؤسسات والمنظمات الأفريقية لمرجعية فكرية تستطيع من خلالها مواجهة الاستعمار والاستعمار الجديد، وحتى تتصدى القارة لأشكال ووسائل الاستعمار الجديد لابد أن تكون لها جبهة موحدة مدركة للتاريخ هى التى تقود تحرير القارة فى كافة المجالات[٣]، إذ إن: «الهيكل الاستعمارى نفسه على وعى بأنه ليس لكم إدراك ذاتى مصدره التحقق من التاريخ فى ظل الواقع الجديد، ولكن من خلال العملية الثورية يتم تغيير الموقف الحالى...حيث يبغى الثورى أن تتم إعادة هيكلة الماضى الأفريقي، بل أن يعيد هيكلة ماضى الشعب الأسود كاملاً»[٤]، ولذلك يرفض الزعم الغربى بأن الحركة القومية فى أفريقيا هى هبة من المستعمر للشعب الأفريقي بعد الحرب العالمية الثانية، مؤكداً على أن الكفاح والنضال هو إحدى السمات الراسخة فى الشخصية الأفريقية[٥].

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.34 & 35.
(2) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.7.
(3) Clive Thomas: **op.cit.** p.7, 8, & 11.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69.
(5) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.7.

كذلك يسهم الوعى بالتاريخ أيضاً فى التحرر الفكرى والثقافى للشعب الأسود، كما سبقت الإشارة، إذ يؤكد على أنه «تصبح المعرفة بالتاريخ هى إحدى الأدوات الكفاحية التى يحاول الشعب الأسود من خلالها مجابهة الأدوات الثقافية الاستعمارية، فنحن قد وضعنا فى موقف نحتاج فيه إلى إثبات آدميتنا من خلال سرد السوابق التاريخية...فقد نجح الإنسان الأبيض فى غرس العديد من الأساطير فى عقول الشعب الأسود، ويجب أن يتم محو تلك الأساطير حتى يتسنى لهؤلاء الأفراد القيام بدور فى العمل الثورى فى المرحلة التاريخية القادمة»[1]. ويمكن القول بأن رودنى حاول استخدام التاريخ وما يقدمه فى تحرير السود فكرياً وثقافياً، وبذلك يحصل على القوة الفكرية المحركة للتحرير المادى والقيام بثورة يتم بها تغيير الأوضاع وعلاقات القارة بالأطراف الخارجية، وتكون هذه هى المقدمة المنطقية لتفعيل الاستقلال السياسي والاقتصادى الذى حصلت عليه هذه الدول[2].

ثالثاً: الوعى بالتاريخ الأفريقي والثورة السوداء العالمية:

يفرض نمط وطبيعة العلاقات التاريخية بين أفريقيا والغرب أن يصبح التغيير فقط من خلال ثورة سوداء عالمية تستطيع القارة بها الخروج من حالة التابع للغرب، ويكون التغيير الثورى الذى سيحدث انعكاساً لتغيير مستمر يحدث فى القارة، وينعكس فى حركة مستمرة للتاريخ، ولذا: «إذا كانت هناك محاولات لإثبات آدميتنا لابد أن تنطلق من الأدوات الثورية، وقد كانت الثورة الكوبية أحد الأمثلة الدالة فى هذا الصدد على دور وإنجاز الشعب الأسود عندما يشارك فى حرب شعبية ضد الإمبريالية»[3]، وتكون الثورة السوداء من نتاج الإدراك والوعى بالنماذج التاريخية وتقديراً لما قد سببه الاستعمار والرق والاستغلال الغربى من آثار تدميرية فى القارة،

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.51.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.**, p.67.
(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.51 & 52.

وتكون أسسها هى ذات الأسس التى كانت السبب فى الخضوع والاستعمار[١]، وتكون هذه الثورة من العمال والفلاحين وتحت قيادة تبرز من الكفاح الجماهيرى[٢].

ويرى رودنى أن أية محاولة للقيام بعمل ثورى يغير من وضع القارة ومن سمات علاقتها بالغرب يجب أن ينطلق من إدراك المكانة الحضارية والثقافية للقارة، ويكون هذا التغيير على أسس ومفاهيم وخبرات تاريخية، ومن خلال دراسة منظمة للتاريخ، وإعادة هيكلة لملامحه فى حقبة معينة حتى يمكن أن يغير هذا الأسود من واقعه، وأن يؤثر ويحدد شكل ومعدل التطور المستقبلى الذى سيحدث[٣]، وهو يؤكد على أن النموذج التنموى فى تنزانيا هو مثال تطبيقى على تغيير ثورى وفقا لقيم ونماذج أفريقية تم التعبير عنها فى نموذج «الأوجاما»، ولذا لم تكن محاولته هى دعوة للسود للاستغراق فى تمجيد التاريخ دون تغيير فى واقعهم، لكنها محاولة لقراءة واقع أفريقيا المعاصر فى ضوء مفاهيم ونماذج ورؤى تناسب ثقافة وتاريخ السود[٤].

ويرى رودنى أن: «كوبا قد أثبتت أن الطريقة التى يمكن أن نؤكد بها على آدميتنا هى الكفاح الثورى»، وأن هذا الكفاح تفرضه الخبرات التاريخية لتعامل الإنسان الأسود مع الغرب، ففى جميع مراحل تلك العلاقة قد فُرض على الإنسان الأسود أن يظل فى مرتبة اجتماعية دنيا حتى فى المجتمعات التى أغلبها من السود (جاميكا وجنوب أفريقيا)، وقد كان الاستقلال فى رأى رودنى هو عبارة عن هياكل جديدة لذات العلاقة، ولذا فالتغيير الثورى هو الحل[٥].

ويتم توجيه الثورة الأفريقية ليس ضد القوى الرأسمالية الإمبريالية فحسب،

---

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.5.
& - Walter Rodney: History is Weapon, **op.cit.** p.2.
(2) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.9.
(3) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.72.
(4) **Ibid,** p.74.
(5) **Ibid,** pp.67-69.

ولكن تكون أيضاً ضد القيادة السياسية التى تخدم مصالح الرأسمالية العالمية والتى تأثرت بذات نهج وقيم الغرب فى السعى لإفساد ملامح وتطور الحركة الثورية فى أفريقيا، ويشكل التاريخ محدداً رئيسياً فى هذه الثورة، بل يرى أن الثورة فى المراكز الحضارية فى القارة سيكون لها أثر إيجابى على التطور السريع للثورة فى القارة، ولكنه لا يعتبره شرطاً مانعاً، وأن الاعتماد على الذات هو النهج الذى يجب أن يتخذه السود للقيام بهذه الثورة[1]، وسيكون التاريخ هو مصدر السلطة والقوة الفكرية التى تكون البداية المنطقية لهذا التغيير الثورى[2].

ويمكن القول بأن القارة تحتاج لتغيير ثورى جذرى فى علاقتها بالغرب، بل وفى سمات مجتمعاتها الداخلية، وتكون تلك الثورة من طبقات واعية تتمتع بشرعية جماهيرية، ويكون أيضاً للأدوات الثقافية الدور المحورى فى إحداث هذا التغيير، ويخص رودنى التاريخ بدور أساسى ومحورى من بين تلك الأدوات الثقافية.

ويمكن القول فى النهاية بأن التاريخ بالنسبة لرودنى ليس حقلاً للدراسة ومجالاً للتخصص فحسب، ولكنه يشكل مرجعية فكرية ومصدراً للنماذج التنموية والقيمية، وأساس الحركات الثورية التى يمكن أن تغير من واقع ومستقبل القارة انطلاقاً من تعديل إدراك الجماهير الأفريقية بمراحل تاريخية، وسيكون ذلك أساس تعديل علاقة القارة بالغرب، ولذا يمثل الوعى التاريخى أحد أهم أسس التغيير الذى يمكن أن يجرى فى القارة، ولذا يشكل نشاط الأكاديميين العملى بين الجماهير لرفع مستوى وعيهم، وتصحيح ما غرسه الاستعمار من أساطير خطوة عملية مهمة، ودلل رودنى على ذلك من خلال نشاطه العملى، وكان الهدف من تلك الرؤى التى قدمها هو أن يجعل السود يتعاملون مع البيض بمبدأ المساواة الذى يشكل قيمة عليا

---

(1) Walter Rodney: African Revolution, **op.cit.,** p.11 & 12.
& - Walter Rodney: Sign of the Times: Rodney's Last Speech, **op.cit.,** p.15.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.27. &
- Karen Jefferson L.: **op.cit.,** p.2 &3.

لديه، وأن يرسخ لدى الجماهير الوعى بمدى أفضلية وأسبقية القيم والحضارات والثقافات الأفريقية على ما يناظرها فى الغرب، ويكون ذلك المنطلق الأساسى لتغيير طبيعة علاقة التبعية أو النظام الأبوى الذى يفرضه الغرب على السود.

لقد حاول رودنى تقديم الرؤى والتصورات التى تعبر عن محاولة فكرية لتصحيح وتغيير سمات وطبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، ولكنه يؤكد على أن هذا التغيير ليس بالأمر اليسير؛ وذلك بسبب العديد من التحديات والمعوقات التى تحول دون تحقيق التنمية، ودون إدراك الهدف الوحدوى الذى يعبر عن قوة ووحدة حركة السود، ويؤكد أن نقطة البدء فى تغيير سمات تلك العلاقة يكون من خلال التحرر الفكرى والنفسى للسود من الموروثات والقيم الغربية المسيطرة عليهم حتى يصلوا للاستقلال السياسي والاقتصادى، ولهذا فإن الحركة التغييرية تحتاج إلى رؤية فكرية واستقلال لنخبة المفكرين والمثقفين حتى يشكلوا الإطار والأساس الفكرى لهذا النشاط الاستقلالى فى القارة، والذى يصل عند رودنى إلى ثورة سوداء عالمية، ولذا يجب أن يدرك السود قدراتهم وإمكانياتهم وضرورة استخدامها لإدراك هذه الأهداف التغييرية فى واقعهم ومستقبلهم، ويرى أن الوعى بالنماذج التاريخية والرؤى الفكرية وأنشطة المفكرين والمثقفين جميعها تشكل بداية منطقية لنشاط جماهيرى منظم وعلى درجة من الوعى يصل بالأفارقة للتحكم فى أمور حياتهم وتشكيل ملامح مستقبلهم من خلال نماذج أفريقية، ولذا فتصحيح طبيعة تلك العلاقة من المحددات الأساسية فى تحديد مستقبل القارة، ولن يكون هذا التغيير من الجانب الغربى أو فى ضوء القيم أو المبادىء ذات المصدر الغربى، ولكنه يكون من الشعب الأسود فى ضوء رؤى فكرية ونماذج تاريخية وأنساق حضارية أفريقية المصدر والسمات.



خاتمة الدراسة

شكلت العلاقة بين الغرب وأفريقيا المحور الأساسي والمشكلة الرئيسية فى الرؤى والتصورات التى قدمها وولتر رودنى، فقد حاول تحليل أبعاد تلك العلاقة مبرزاً ما يشوبها من عدم توازن لصالح الطرف الغربى على حساب القارة، كما حاول وضع تلك العلاقة وسماتها فى فلك العلاقة التاريخية التى تربط بين الإنسان الأبيض والإنسان الأسود، وقدم أيضاً العديد من السبل والأدوات الثقافية والمؤسسية والأيديولوجية التى يمكن من خلالها إحداث تغيير راديكالى فى سمات هذه العلاقة، وهو ما يشكل الحل عند رودنى لعدم التوازن والتبادل اللامتكافئ، وعدم عدالة التوزيع لمنافع تلك العلاقة، وقد اتخذ رودنى من التحليل الطبقى الماركسى ذى الطابع الإفريقي إطاراً للتحليل واضعاً الخبرات التاريخية والنماذج القيمية السوداء إطاراً مرجعياً وفكرياً للتصور البديل الذى قدمه لتلك العلاقة. لذا جرت محاولة تقديم وتحليل وتقييم لرؤية رودنى الفكرية التى تناقش قضية أساسية فى العلاقات الدولية الأفريقية وهى سمات علاقة القارة بالعالم الغربى تاريخياً، وكيف أضحت تلك العلاقة فى الفترة التالية للاستقلال، وكذلك تحليل التصور البديل لهذه العلاقة الذى يشمل الرؤى والتصورات التى قدمها لإحداث تغيير راديكالى فى سمات علاقة القارة بالغرب، وهل يمكن أن يكون لبعض تلك الرؤى والتصورات دلالات وإمكانية التطبيق لمواجهة بعض مشكلات وتحديات تواجه القارة فى الآونة الراهنة. ويمكن إجمال النتائج التى تجيب على أسئلة الدراسة على النحو التالى:

أولاً: ساعد انتقال رودنى بين عدة مجتمعات ومعاصرته للعديد من النظم

السياسية والهياكل الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية والسياسات الخارجية والتوجهات الأيديولوجية والتيارات الفكرية والمتغيرات والمشكلات على المستوى الدولى وعلى المستوى الأفريقي والكاريبى، ومحاولته الاستفادة من هذه المتغيرات فى الرؤى الفكرية التى قدمها لتغيير سمات واقع ومستقبل الجماعة السوداء، على تنوع الرؤى والتصورات التى قدمها والقضايا التى كانت محل اهتمامه.

ثانياً: شهدت القارة مراحل متقدمة من التنمية قبل الاتصال الأوروبى بسواحلها، وقد شملت التنمية كافة أركان وأبعاد المجتمع السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والاجتماعية، ويفسر رودنى التخلف الذى عليه الواقع الأفريقي الآن بتأثير سياسات وأدوات الغرب فى التعامل مع القارة والتى أدت إلى إيقاف هذه التنمية، وتدمير الأسس والهياكل التنموية التى كانت قائمة.

ثالثاً: حاول الغرب ابتكار الوسائل والسياسات التى يحافظ من خلالها على القارة فى موقع التابع بشكل يخدم مصالحه ومنافعه، كما حاول أن يجعل من الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الأفريقية استقلالاً شكلياً وهذا هو هدف ممارسات الاستعمار الجديد، ولذا أكد رودنى على أن هذا الشكل من الاستعمار يحتاج لوقت وجهد وكفاح من القارة الأفريقية يفوق ما بُذل لمواجهة الشكل التقليدى من الاستعمار، ولذا قدم العديد من الآليات والسبل لمواجهة الاستعمار الجديد على المستوى السياسى والاقتصادى والأمنى والاجتماعى والثقافى.

رابعاً: أدت سمات علاقة القارة بالغرب لاضطراب العديد من التكوينات الطبقية المختلفة فى العديد من الدول الأفريقية، وقد أدى ذلك لبروز العديد من الممارسات الديكتاتورية وإغلاق سبل المشاركة السياسية والحراك الاجتماعى فى العديد من دول العالم الثالث، وقد فسر رودنى ذلك فى ضوء سمات العلاقة القائمة بين الأبيض والأسود أو بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة بمعنى أخر.

خامساً: لن تتحقق التنمية ولن تستطيع القارة التصدى لممارسات الاستعمار الجديد من خلال نماذج مصدرها الأيديولوجية التى كانت مسئولة عن الاستعمار والرق، لذا يجب على الدول الأفريقية أن تسعى إلى إيجاد الوحدة المؤسسية والسياسية، وإلى تعميق أوجه التنسيق فيما بين وحداتها وفى أسلوب تعاملها مع الغرب، وكذلك السعى لتغيير إدراكها للسمات التى كانت السبب فى قهرها واستعمارها لتصبح هى سبب قوتها ووحدتها، وأن تسود القيم والمعتقدات والنماذج التاريخية والحضارية الأفريقية فى هذه المجتمعات، ولذا لابد أن تكون على وعى بما يقدمه التاريخ الأفريقي من نماذج وقيم وأسس للتنمية والقوة والثورة.

سادساً: كانت رؤى وتصورات رودنى بمثابة دعوة أو صرخة لكافة شعوب العالم المقهورة وللمثقفين والناشطين والعمال الذين رزخوا تحت الاستعمار والاستغلال سابقاً، وتحت هيمنة وإمبريالية الرأسمالية والاستعمار الجديد لاحقاً بضرورة الوحدة السياسية وامتلاك القوة وإدراك ما يقدمه التاريخ من نماذج وقيم، ويمكن القول بأن رودنى قد حافظ من خلال الرؤى والتصورات التى قدمها على درجة من الاتساق الفكرى، فقد حافظ على الاتساق بين الرؤى والأهداف التى يسعى إليها من ناحية، وبين هذه الرؤى ومنطلقاته الفكرية من ناحية أخرى، فقد كانت هذه الرؤى تحقق أهدافه الفكرية، وتتوافق مع منطلقاته النظرية بشكل يحقق درجة من الاتساق والاستقلال للتصورات النظرية التى قدمها، وكانت هذه الرؤى أيضاً تعبيراً واضحاً وشبه شامل عن سمات مرحلة تاريخية مهمة فى حياة الإنسان الأسود، ولا يزال العديد من تلك النماذج الفكرية التى قدمها قابلة للتطبيق لحل العديد من المشكلات والقضايا محل اهتمام المجتمعات الأفريقية فى الآونة الراهنة.

سابعاً: حاول رودنى تقديم تصور بديل للعلاقة بين الغرب وأفريقيا يقوم على أساس من المساواة بين الطرفين، ويفرض قدراً من العدالة فى أساليب وسبل

التعاون، وذلك فى إطار من الحرية التى تكفل لكل طرف أن يختار السبل والمجالات التى تحق أهدافه من تلك العلاقة، وبما يتناسب مع قيمه وثقافته وقدراته، ولذلك اختار أن يصبح الطرف الأفريقي على درجة من الوحدة، وأن يمتلك القوة السوداء حتى يصل إلى تحقيق أهدافه فى ضوء ما يناسب قيمه الثقافية ونماذجه الحضارية، لا أن يظل خادماً لأهداف الغرب، وهذا ما جعل التصورالذى قدمه جديراً بالاهتمام والدراسة.

ترتكن المنظومة الفكرية للمفكر السياسي على قيمة عليا تكون هى نقطة الانطلاق الأساسية للرؤى والتصورات التى يقدمها، ويدور هيكله الفكرى فى فلكها، إلا أن المفكرين يتباينون فى إعلاء إحدى ثلاث قيم هى الحرية، أو العدالة، أو المساواة، وفى أحيان أخرى تختلف القيمة التى يأخذ بها المفكر حسب الموضوع والقضية التى هو بصددها، وحسب الهدف من الرؤى والتصورات التى يقدمها، ففى بعض القضايا يرفع قيمة الحرية، وفى موضوعات أخرى تكون القيمة المحركة له هى قيمة العدالة، وإن كانت الخبرات التاريخية الاستعمارية، وطبيعة علاقة الغرب بأفريقيا، وبسبب سمات توجهات الإنسان الأبيض نحو الإنسان الأسود قد جعلت من قيمة المساواة هى القيمة العليا فى العديد من التيارات الفكرية الأفريقية.

ومع تنوع القضايا والمشكلات التى تناولها رودنى فكرياً، ومع تعدد أبعاد الأهداف والتطلعات التى سعى إليها، إلى جانب تباين الأدوات التى قدمها، فإن ذلك قد أدى إلى تنوع وتعدد القيم التى رفعها حسب القضية التى يناقشها والهدف الذى يسعى إليه، وكذلك حسب مستوى وأطراف تلك القضية، فقد اختلفت القيمة التى ينادى بها فى حالة تعامله مع قضايا ذات بُعد داخلى عن القيم التى تحركه إذا كانت القضية تتعلق بأطراف دولية، وكما كانت العلاقة بين الغرب وأفريقيا هى أساس ومحور فكره، كذلك كانت القيم والأهداف التى ترتبط بهذه القضية هى

محور منظومته القيمية.

ويظهر لنا إحصاء تكرار القيم الثلاث فى كتابات رودنى والتى تم الحصول عليها أنه قد تم تكرار قيمة الحرية Freedom نحو ثمان وستين مرة فى هذه الكتابات، فى حين تم ذكر العدالة Justice نحو ثلاثين مرة، وتكررت المساواةEquality نحو ثمان وعشرين مرة، ومع ذلك لا يمكن القول بأن قيمة الحرية قد سادت على باقى القيم فى رؤى وتصورات رودنى، فمن خلال وضع هذه القيم فى إطار السياق الذى ذُكرت فيه ستكون النتائج مختلفة.

لقد أبرز رودنى قيمة **العدالة** فى الرؤى والتصورات التى تتعلق بإدارة العلاقة بين الجماعات التى يتكون منها المجتمع دون النظر لمعايير التمييز بين هذه الجماعات سواء لونية أو إثنية أو اقتصادية أو إقليمية أو ثقافية، وحتى عندما اهتم بمكانة السود فى المجتمع لم يصل إلى طرح ممارسات عنصرية ضد غير السود، ولكنه يهدف لمعاملة عادلة معهم، ويؤكد على دور المعتقدات الدينية والأطر الثقافية فى توفير البيئة التى تسمح بتلك الممارسات العادلة، ولذا رفع شعار «الخبز والعدالة» «Bread & Justice» كهدف يجب أن تسعى إليه المجتمعات، ويقصد به «التنمية والعدالة الاجتماعية»، فإذا حدثت التنمية أو حدث تطور فى هذه المجتمعات فلابد من العدالة التوزيعية لمنافع تلك التنمية بين الجماعات المختلفة، فليس لجماعة أو فئة من المميزات أو الحقوق ما يجعلها تستغل أو تستولى على حقوق الجماعات الأخرى، بل إن الحصول على حقوق لجماعة معينة لابد أن يتم من خلال الكفاح والصراع وحسب ثقل وجهد هذه الجماعة، فهى ليست منحة من فئة حاكمة أو من النخبة السياسية أو من جماعة متسلطة على ما عداها من الجماعات.

وقد حاول رودنى أن يقدم الوسائل والرؤى التى تؤكد على قيمة العدالة فى إطار العلاقة بين الإنسان الأبيض والإنسان الأسود، أو بين الغرب وأفريقيا بمعنى آخر،

فأكد على عدم عدالة تجارة الرقيق والآثار التدميرية لهذه التجارة على المجتمع الأفريقي، فى حين شكلت الأساس الذى نهضت عليه اقتصادات الدول الغربية لفترة زمنية طويلة، كما تناول أوجه عدم العدالة فى الممارسات الاستعمارية التى استمرت لعدة قرون واتخذت من النهج الاستغلالى أسلوباً لها فى التعامل مع الأفارقة، ويؤكد على أنه لا يمكن أن تتحقق العدالة فى ظل تلك الممارسات العنصرية الاستعمارية، وأن موروثات تلك المرحلة قد أثرت على درجة العدالة التى تتسم بها العلاقة بين الجماعات داخل المجتمع الأفريقي، كما أنها أثرت على سمات العدالة فى العلاقة التى تجمع الغرب بأفريقيا فى الفترة التالية للاستقلال، وحتى تتحقق العدالة فى المجتمعات الأفريقية سواء فى العلاقة بين الجماعات التى يتكون منها المجتمع، أو فى العلاقة التى تربط القارة بالغرب لابد أن تتغير أسس هذه العلاقة، ولابد أن تعاد هيكلة مبادئها على أساس من العدالة فى توزيع المنافع والمساواة بين أطرافها.

ويرى رودنى أنه لا توجد هناك سمات أو مميزات أو صلاحيات يمكن أن تكون لفرد أو جماعة معينة على أساس من لون أو تاريخ أو موارد مادية أو قدرات عسكرية تمكنه من استغلال واستعباد وقهر إنسان أو جماعة أخرى، فالأساس فى العلاقات بين البشر والجماعات هو مبدأ **المساواة**، ولذلك أكد على ضرورة أن يصبح هذا المبدأ هو أساس التعامل مع الجماعات المختلفة داخل المجتمع، وتصبح المساواة هى الإطار التوزيعى للمنافع المادية والمناصب السياسية، وكذلك تصبح هى المبدأ الأساسى فى الممارسات السياسية والدينية والثقافية، ولا يصبح الانتماء لجماعة أو لون أو إقليم معين هو السبب فى حصول فرد أو جماعة على فرصة تفوق ما عداها داخل المجتمع .

وقد كان أهم أهداف وولتر رودنى من التصور البديل الذى قدمه للعلاقة بين

الغـرب وأفريقيـا أن يرسـخ مبـدأ المسـاواة فى عقليـة الإنسـان الأفريقـي، وأن ينـزع المفاهيم والمبادئ والأساطير التى تغرس عدم المساواة بين الأبـيض والأسـود والتـى كان الغرب قد نشرهـا وحـاول إثباتهـا نظريـاً وعمليـاً، ولـذا حـاول تقـديم الـدلائل التاريخية والتصورات النظرية التى تفند وتـدحض النظريـات والادعـاءات الغربيـة التـى تحـاول إثبـات دونيـة الإنسـان الأسـود، مؤكـداً عـلى أهميـة الوحـدة السياسـية الأفريقية وضرورة الأخذ بمبادئ أيديولوجية القوة السوداء كما طرح كذلك الثـورة السوداء العالمية كسبيل لإدراك تلك المساواة.

ويعبر العديد من الأدوات التى يستخدمها الغرب الآن فى العلاقات الدولية عن عدم قبول هذه القوى الغربية بالمساواة التى فرضتها حركات التحرير ومفاوضـات الاستقلال، وسعت لابتكار الوسائل التى تحـافظ مـن خلالهـا عـلى عـدم المسـاواة فى علاقتهـا بأفريقيـا، ولـذا أكـد رودنـى عـلى خطـورة ممارسـات المـنظمات الدوليـة، والشركـات المتعـددة الجنسـيات، والعديـد مـن صـور التعـاون الاقتصـادى الـدولى، ودور بعض القوى الغربيـة وبخاصـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فى فـترة مـا بعـد الحرب العالمية الثانية فى ترسـيخ عـدم المسـاواة بـين الطـرفين، حيـث يؤكـد عـلى دور التبادل الاقتصادى غير المتكافئ فى زيادة الفجوة بين من يملكون ومن لا يملكـون، ويرى أن الرأسمالية ومبادئها وأهدافها ترسخ مبدأ عدم المساواة داخل وبين الدول.

وقد طرح رودنى العديد من التصورات التى تصل بالإنسـان الأسـود إلى درجـة من التنمية وامتلاك قوة سوداء تعبر عن قدراته وإمكانياته، كـذلك فـإن الهـدف مـن تحقيق الوحدة السياسية وإعادة كتابة التاريخ الأفريقي وإعادة النظـر فى العديـد مـن القـيم والـنماذج الحضـارية هـو تـوفير الأسـاس الفكـرى والحضـارى لتحقيـق هـذه المساواة، وفى نفس السياق أكد على أهمية الاشتراكية كتوجه أيديولوجى يدعم تلك المسـاواة، ويـرى أن أدوات ومبـادئ الاشـتراكية يمكـن أن تسـهم فى تـوفير البيئـة

المناسبة والمجال الملائم لتحقيقها، ولكنها الاشتراكية فى صورتها الأفريقية، بمعنى أن تقوم على أسس ومبادئ وقيم أفريقية، وتتم ممارستها من خلال نماذج تنموية ونظم سياسية لها الطابع القيمى الأفريقي، ولذا لابد أن تترك للقارة حرية اختيار التوجه التنموى والنماذج الإصلاحية لنظمها السياسية القائمة بما يتناسب مع خصائصها وسماتها وقيمها، بمعنى توفير المرغوبية فى الأخذ بتوجه أيديولوجى، وأن يكون ذلك ممكن التطبيق متناسباً مع الطبيعة الأفريقية.

كما جعل رودنى **الحرية** هدفاً للعديد من الرؤى والتصورات التى قدمها، فقد أوردها كغاية تسعى إليها الشعوب السوداء من خلال العديد من الأنشطة والتنظيمات والحركات التى بينهم، وقدمها بالمعنى الواسع لها ويشمل حريات الأفراد، والتأكيد على أن الحرية الشخصية من الحقوق الأساسية التى لا يجوز التنازل عنها، كذلك أكد على حرية الصحافة، وحرية العبادة والممارسات الدينية، وحرية المجالس التشريعية من سيطرة السلطة التنفيذية عليها، وكذلك حرية الجماعات المختلفة فى التعبير عن مطالبها وممارسة شعائرها وتقاليدها وقيمها، إلى جانب حرية التعبير من خلال المنظمات ذات التوجهات المعارضة لنظام الحكم، وكانت حرية القضاء من الحريات التى أكد عليها، ولكنه يؤكد على أن ممارسة الإنسان الأسود لتلك الحريات يجب أن يتم فى ظل قواعد قانونية وقيمية أفريقية تُستمد من الإرث الثقافى والحضارى الأفريقي.

وقد قدم رودنى الحرية على أنها البداية المنطقية للتنمية، فاستقلال الدول الأفريقية فى إدارة شئونها واستغلال مواردها وثرواتها، وكذلك حريتها فى اتخاذ القرارات وإدارة علاقاتها الخارجية تشكل جميعاً أساس إدراك قادة هذه الدول لمشاكل واقعهم الاجتماعى، وهى كذلك البداية لاتخاذ خطوات لتغيير راديكالى لسمات علاقة دولهم بالغرب، ولذا يؤكد على أهمية وضع قيود على حرية الشركات

المتعددة الجنسيات والاستثمارات الأجنبية، وكذلك الحد من تدخل الغرب فى شئون دول القارة تحت مظلة المنظمات الدولية، ويرى أنه حتى تستطيع دول القارة أن تحقق التنمية، وحتى تستطيع الخروج من حالة التبعية، فلابد أن يتم لها توفير حرية الاختيار، وحرية إدارة شئونها الداخلية والخارجية.

كذلك قام رودنى بصياغة العديد من الأدوات والرؤى المختلفة التى يمكن استخدامها حتى تصل الدول الأفريقية لامتلاك حريتها بالمعنى الواسع السابق الإشارة إليه، ليصل إلى فتح المجال والمطالبة بالثورة السوداء العالمية، بل ويكُسب العنف الذى تستخدمه هذه الدول للحصول على هذه الحريات قدراً من الشرعية حتى يتم الحصول على حرية الإنسان الأسود، وأكد على أهمية حرية الحركات العمالية السوداء فى مختلف المجتمعات مؤكداً أن ذلك يكون فى إطار توفير مناخ من الحرية للممارسات السياسية لمختلف الجماعات والتنظيمات فى المجتمع.

واستخدم رودنى مفهوم الحرية فى بعض الكتابات مرادفاً لمفهوم التحرير Liberation للتأكيد على حصول الدول الأفريقية على الاستقلال من سيطرة القوى الاستعمارية، إلى جانب استخدامه لهذه القيمة بمعنى التحرر من السيطرة الفكرية والقيمية الغربية على عقول وقلوب الأفارقة، مؤكداً على العديد من الوسائل التى ستضمن حرية الشعوب الأفريقية المادية والفكرية والنفسية، وكيف يمكن أن تشكل التحولات الاقتصادية بداية لحصول الشعوب الأفريقية على حريتها، وأكد على أنه لن يتم الحصول على الحرية بكافة أشكالها سوى من خلال بناء عناصر إيجابية فى تاريخ الإنسانية، فالحرية عنده تعنى الخروج على الموروث الاستعمارى الاستغلالى، ومن حالة الجمود التى فرضتها علاقة الغرب بالقارة على الإنسان الأسود طيلة القرون الأربعة الممتدة من القرن الخامس عشر.

إن مفهوم الحرية فى فكر رودنى يختلف عن المعنى المقصود بها فى الثقافة الغربية

من حيث مصدر وهدف تلك القيمة، فقد جعل الثقافة الأفريقية والمنظومة القيمية التاريخية السوداء المصدر الأساسى لتلك القيمة، كما جعل إنهاء السيطرة الغربية فكرياً ومادياً على المجتمعات الأفريقية هدفاً رئيسياً لها، ولذا قام بربط قيمة الحرية بمفهوم التحرير فى العديد من الجوانب، فى حين قصر مفهوم «الانعتاق من الرق» Emancipation على سياق الحديث عن تجارة الرقيق وكيف انتهت.

لم يرفض رودنى أياً من التصورات والرؤى الفكرية التى يمكن استخدامها فى تقديم تصور بديل لشكل العلاقة بين الغرب وأفريقيا، ولكنه حاول التعديل فى هيكلها وسماتها لتتناسب مع القيم الثقافية والمعايير الحضارية الأفريقية، وحتى تصبح مناسبة لتحقيق أهداف الجماعة السوداء، ولذا رفض سيطرة قيم حضارية أو نماذج تنموية أو أساليب ونظم حكم يتم فرضها قسراً على الإنسان الأسود، فقد أراد حرية الاختيار للشعب الأسود، وأن يتم التعامل معه على قدم المساواة وبأساليب تتميز بالعدالة.



قائمة المراجع

أولاً : مراجع باللغة العربية :

(أ) الكتب:

١-أكاديمية ناصر العسكرية العليا: **منظمة الوحدة الأفريقية: الحاضر وتحديات المستقبل** (القاهرة: أكاديمية ناصر العسكرية العليا، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، ١٩٩٧).

٢-جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: **ندوة العلاقات العربية الأفريقية** (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٨).

٣-د.عبد الملك عودة: **فكرة الوحدة الأفريقية** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦).

٤-كوامى نكروما، عبد الحميد حمدى (مترجم): **الاستعمار الجديد آخر مراحل الإمبريالية** (القاهرة: دار القاهرة للطباعة النشر، ١٩٦٦).

٥-وولتر رودنى، أحمد القصير (مترجم): **أوروبا والتخلف فى أفريقيا** (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨).

(ب)المقالات:

١-رانيا حسين خفاجة: «ماركوس جارفى....وفكرة العودة إلى أفريقيا»، آفاق أفريقية (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، العدد الثالث، خريف ٢٠٠٠).

(ت)الرسائل العلمية:

١-إبراهيم أحمد عبد المنعم نصرالدين: حركات التحرر الأفريقي فى مواجهة

النظـام السـياسي لجنـوب أفريقيـا، رسـالة دكتـوراة (القـاهرة: معهـد البحـوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٠).

ثانياً : مراجع باللغة الإنجليزية :

(A) Books:

1. Adi, Hakim & Marika Sherwood: **Pan-Africanism History: Political Figures from Africa and Diaspora since 1797** (London: Routledge, 2003).

2. Asante, Malefi K. & Abushardow Abarry (eds.): **African Intellectual Heritage: A Book of Sources** (Philadelphia: Temple University Press, 1996).

3. Bottero, Wendy: **Stratification: Social Division and Inequality** (London: Routledge, 2005).

4. Cann, L.H & Peter Duignan: **Africa South of Sahara: The Challenge to Western Security** (California: Hoover Institution Press, 1981).

5. Clough, Michael: **U.S Policy toward Africa and the End of the Cold War** (New York: Council on Foreign Relations Press, 1992).

6. Deegan, Heather: **Africa Today: Culture, Economic, Religion, and Security** (London: Routledge, 2009).

7. Fatton, Robert: **Black Consciousness in South Africa: the Dialectics of Ideological Resistance to White Supremacy** (New York: State University of New York Press, 1986).

8. Gloser, Darly & David M. Walker (eds.): **Twentieth Century Marxism: Global Introduction** (London: Routlege, 2007)

9. Hord, Fred L. (ed.): **I Am Because We Are: Readings in Black Philosophy** (Massachusetts: University of Massachusetts Press, 1995).

10. Joseph, Peniel E. (ed.): The Black Power **Movement: Rethinking the Civil Rights- Black Era** (London: Routledge, 2006).

11. Lewis, Peter: **Africa: the Dilemmas of Development and Change** (Colorado: Perseus Press Group, 1998).

12. Lewis, Rupert: **Walter Rodney's Intellectual and Political Thought** (Barbados: Wayne State university, 1998).

13. Renton, David: **Dissident Marxism: Past Voices of Present Times** (London: Zed Books, 2004).

14. Rodney, Walter: **the Groundings with My Brothers** (London: Bogle-L'Ouverture Publications, 1969).

15. -------------------: **A History of the Upper Guinea Coast: 1545-1800** (Oxford: Clarendon Press, 1970).

16. -------------------: **A History of the Guyanese Working People, 1881-1905** (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1981).

17. --------------------: **Sign of the Times: Rodney's Last Speech** (Georgetown, Guyana: Working People's Alliance, 1981).

18. Simon, David (ed.): **Fifty Key Thinkers on Development** (London: Routldge, 2006).

19. Smertin, Yuri: **Kwame Nkrumah** (New York: International Publishers Co., 1987).

20. Wiley, Nobert (ed.): **The Marx-Weber Debate** (London: Sage Publications, 1987).

21. Worcester, Kent: **C.L.R. James: A Political Biography** (New York: State University of New York Press, 1995).

(A) Articles:

1. Bascom, William: Tribalism, Nationalism, and Pan- Africanism», **Annals of the American Academy of Political and Social Science** (London: Sage Publication, Vol. 342, July 1962).

2. Bly, Viola Mattavous: Walter Rodney and Africa, **Journal of Black Studies** (London: Sage Publication, Vol.16, No.2, December 1985).

3. Campbell, Horace: Walter Rodney: A Biography and Bibliography, **Review of African Political Economy** (Basingstoke: Taylor and Francais LTD., No.18, May-August 1980).

4. ---------------------: Walter Rodney and Pan-Africanism Today», **Africana Colloquium Series** (New York: The Africana Studies Research Center, September 2005).

5. Campbell, Trevor A.: The Making of an Organic Intellectual: Walter Rodney (1942-1980), **Latin America Perspective** (London: Sage Publication, Vol.8, No.1, Winter 1981).

6. Consalves, Chris: Walter Rodney: Revolutionary Thinker and Fighter, **Socialism and Liberation** (San Francisco: PLS Publications, June 2007).

7. Dugard, John: Norms in International Relations: The Struggle against Apartheid, **The American Journal of International Law** (Washington, D.C.: American Society of International Law, Vol.91, No.1, January 1997).

8. Dupuy, Alex: Race and Class in Postcolonial Caribbean: the Views of Walter Rodney, **Latin America Perspective**, Vol.23, No.2, Spring 1996.

9. Echenberg, Myron J.: Walter Rodney 1942-1980, **Candian Journal of African Studies** (Tornto: Candian Association of African Studies, Vol.14, No.2, 1980).

10. Emerson, Rupert: Pan-Africanism, **International Organization** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.16, No.2, Spring 1962).

11. Geiss, Imanuel: Pan-Africanism, **Journal of Contemporary History** (London: Sage Publication, Vol.4, No.1, January 1969).

12. Henrard, Kristin: Post Apartheid South's Africa's Democratic Transformation Process: Redress of the Past, Reconciliation, and Unity of Diversity, **The Global Review of Ethno Politics** (London: Routledge, Vol.1, No.3, March 2002).

13. Jayawardena, Chandra: Culture and Ethnicity in Guyana and Fiji», **Man New Series** (London: Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.15, No.3, September 1980).

14. Kassam, Yusuf: Julius Kambarage Nyerere, **The Quarterly Review of Comparative Education** (Paris: International Bureau of Education, Vol.xxiv, No.1/2, 1994).

15. Mars, Perry: Ethnic Politics, Mediation, and Conflict Resolution: the Guyana Experience, **Journal of Peace Research** (London: Sage Publication, Vol.38, No.3, May 2001). Njaka, Mazi E. N.: Africanism, **A Journal of Opinion** (New Jersey: African Studies Association, Vol. 1, Autumn 1971).

16. Rodney, Walter: Portuguese Attempts at Monopoly on the Upper Guinea Coast 1580-1650, **The Journal of African History** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.6, No.3, 1965).

17. ---------------------: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context of the Atlantic Slave-Trade, **The Journal of Africa History**, Vol.7, No.3, 1966.

18. ---------------------: A Reconsideration of the Mane Invasion of Sierra Leone, **The Journal of African History**, Vol.8, No.2, 1967.

19. ---------------------: Upper Guinea and the Significance of the Origins of African Enslaved in the New World, **The Journal of Negro History** (Chicago: Association for the Study of African American Life and History, Vol.54, No.4, October 1969).

20. ---------------------: People's Power, No Dictator, **Latin America Perspective**, Vol.8, No.1, Winter 1981.

21.---------------------: African History in the Service of Black Liberation, **Small Axe,** (Carolina: Duke University Press, No.10, September 2001).

22. Swai, Bonaventure: Rodney on Scholarship and Activism, **Journal of African Marxists** (Nottingham: Russell Press, Issue1, November 1981).

23. Wallerstein, Immanuel: Walter Rodney: the Historian as Spokeman for Historical Forces, **American Ethnologist** (New York: Blackwell Publishing on behalf of the American Anthropological Association, Vol.13, No.2, May 1986).

24. West, Michael O.: Walter Rodney & Black Power: Jamaican Intelligence and USA Diplomacy, **African Journal of Criminology and Justice Studies** (Maryland: University of Maryland Eastern Shore, Vol.1, No.2, November 2005).

25. ---------------------:Seeking Darkly: Guyana, Black Power, and Walter Rodney's Expulsion from Jamaica, **Small Axe**, No.25, February

2008.

26. Working People Alliance: Guyana-Twenty Eight Years after Walter Rodney, **DayClean Global** (Guyana: Working People Alliance, Vol.2, No.7, June 2008).

(B) Papers:

1. Campbell, Horace: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **Paper Presented in AAPS Biennial Congress in Egypt** (Cairo: AAPS Biennial Congress, 2005).

2. Chacha, David Mathew: Julius Nyerere: The Intellectual Pan-Africanist and the Question of African Unity, **Paper Presented at CODESRIA 30th Anniversary Conference** (Dakar: CODESRIA 30th Anniversary Conference, December 2003).

3. Jefferson, Karen L.: »Walter Rodney Papers, **Archive and Special Collection of Robert W. Woodruff Library** (Atlanta: Atlanta University Center, February 2008).

4. Thomas, Clive: Walter Rodney and the Caribbean Revolution, **Paper Presented at the Symposium on Rodney, Walter, Revolutionary, and Scholar: a Tribute** (Los Angeles: University of California, January 1981).

(C) Internet Resources:

1. Anderson, Adriaan: **Preventative Detention in Pre-and Post Apartheid South Africa: From a Dark Past to a Brighter Future,** at:
http://www.isrcl.org/Papers/2008/Anderson.pdf

2. A Socialist Labor Party in Cuba: **Is Cuba Socialist?,** at:
http://www.slp.org/pdf/others/is_cuba.pdf

3. Bacchus, Zinul: **Walter Rodney**, 14 June, 2001, at:
http://www.guyanajournal.com/Rodney_ZB.html

4. Blackman, Carl: »Interview with Waletr Rodney» **the Nation** (Georgetown, Guyana: Ministry of Information, June20, 1983), at:
http://www.guyana.org/govt/rodney_files.html

5. Campbell, Horace: **Walter Rodney: the Prophet of Self Emancipation**, June 2005, at:
http://www.utexas.edu/conferences/africa/ads/722.html

6. Chachage, Chambi Seithy & Chachage Seithy L. Chachage: **Nyerere: Nationalism and Post-Colonial Developmentalism**, at:
http://www.codesria.org/Links/conferences/dakar/chacha.pdf

7. Information about Co-Operative Republic of Guyana, Official Site of the Guyanese Government:
- www.gina.gov.gy//natprofile/sysofgov.html
- www. gina.gov.gy/ecomindic.html
- www.opnew.op.gov.gy

8. Ishmael, Odeen: **»The Walter Rodney Files»**, June 13th. 2007,

at:http://www.guyana.org/govt/rodney_files.html

9. Johnson, Violet Showers: **Racial Frontiers in Jamaica's Nonracial Nationhood,** at:
http://www.education.ucsb.edu/socialjustice/johnson.pdf

10. Masilela, Ntongela: **C.L.R. James (1901-1989): A Great Latin American Pan-Africanist and Marxist,** at:
http://pzacad.pitzer.edu/nam/general/essays/clr_james.pdf.

11. McCaughan, Edward J.: **Social Justice in Cuba: Promises and Pitfalls**, at:
http://lasa.international.pitt.edu/LASA98/McCaughan2.pdf

12. Mohamed, Wazir: **Walter Rodney Lives**, June 20, 2007, at:
http://www.guyanajournal.com/rodneylives_2.html.

13. Niaah, Jalani A.: **Absent Father(s), Garvey's Scattered Children & the Back to Africa Movement**, at:
http://www.africamigration.com/archive_02/j_niaah.pdf

14. Pasley, Victoria: **The Black Power Movement in Trinidad**, at:
http://www.bridgew.edu/SoAS/jiws/fall01/pasley.pdf

15. Penny, David: **Castro's Cuba: Ideological Themes in Rhetoric**, at:
http://lanic.utexas.edu/project/asce/pdfs/volume14/penny.pdf

16. Plantive, Charlotte: **Africa's Biko Appeals to Black Conscience 30 Years after his Death**, at:
www.manilatimes.net/national/2007/sept/12/yehey/opinion/20070912 opi8.html

17. Rodney, Walter: **African Revolution**, at:
http://www.sojournertruth.net/rodney.pdf

18. ------------------: **»History is Weapon»,** Selection from Walter Rodney's Speeches, at:
http://www.historyisaweapon.com/defcon1/rodspesel2.html

19. TANU, The Department of Information: **The Arusha Declaration,** at:
http://www.ccmtz.org/azimioeng.pdf

20. Westmaas, Nigel: **Walter Rodney – Selected Quotes,** at:
http://www.Normangirvan.info/wp-content/uploads/2008/12/walter-rodney-selected-quotes.pdf

21. Wright, Eric Olin: **the Foundations of Neo-Marxist Class Analysis**, at:
http://www.ssc.wisc.edu/~wright/Chapter%201%20--%20Wright%20Jan %202004.pdf



قائمة مطبوعات

مركز البحوث العربية والأفريقية

١٩٨٧/٢٠١٠

١. فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر، ١٩٨٧.

٢. لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر، ١٩٨٨.

٣. رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.

٤. عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨.

٥. وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.

٦. أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل: أعمال ندوة فكرية، ١٩٨٩.

٧. إبراهيم برعى، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٣/١٩٨٩.

٨. إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الإصلاح، ١٩٩٠.

٩. إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠.

١٠. أحمد عبد الله (تحرير)، انتخابات البرلمانية فى مصر، نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.

١١. حيدر إبراهيم، أزمة الإسلام السياسي، الجبهة الإسلامية القومية فى

السودان، ١٩٩٠.

١٢. نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى ودور المثقفين، نشر مشترك مع لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، ١٩٩٠.

١٣. محمد عبيد غباش، من لا يعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط، ١٩٩١.

١٤. ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١.

١٥. محمد على دوس، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الأفريقى، ١٩٩١.

١٦. أحمد نبيل الهلالى وآخرون، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية: أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.

١٧. أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.

١٨. سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.

١٩. المسألة الفلاحية والزراعية فى مصر:أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.

٢٠. جويل بنين، زكارى أوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر ج،١ ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢.

٢١. إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية فى مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان، ١٩٩٢.

٢٢. أحمد يوسف أحمد: منطق العمل الوطنى - حركة التحرر الوطنى الفلسطينية فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان، ١٩٩٢.

٢٣. ليلى عبد الوهاب، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة، ١٩٩٢.

٢٤. أحمد محمد البدوى، لبن الأبنوس يازول، ١٩٩٢.

٢٥. مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار،١٩٩٢.

٢٦. إدريس سعيد، عظام من خزف، ١٩٩٣.

٢٧. دارام جاى (تحرير)، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب، ترجمة/ مبارك عثمان، نشر مع اتحاد المحامين العرب، ١٩٩٣.

٢٨. مايكل دراكوه (تحرير)، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.

٢٩. عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول، ١٩٩٤.

٣٠. نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية فى مصر نشر مع دار الأمين،١٩٩٤.

٣١. آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.

٣٢. لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.

٣٣. على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان، ١٩٩٤.

٣٤. حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى،١٩٩٤.

٣٥. لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.

٣٦. جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.

٣٧. عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.

٣٨. صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.

٣٩. عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.

٤٠. بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥.

٤١. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٦.

٤٢. سمير أمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٣. مصطفى كامل السيد (تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٤. سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٥. عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية، ١٩٩٦.

٤٦. جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية،١٩٩٦.

٤٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٨. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٤٩. سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧.

٥٠. كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع

دار المحروسة، ١٩٩٨

٥١ . عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨ . نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨ .

٥٢ . عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية. نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨ .

٥٣ . محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨ .

٥٤ . عبد الغفار أحمد (تحرير)، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون،١٩٩٨ .

٥٥ . لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار - مجدى النعيم، ١٩٩٨ .

٥٦ . نجاتى عبد المجيد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ : الجزء الأول بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٨ .

٥٧ . لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفي مجدى، ١٩٩٩ .

٥٨ . أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩ .

٥٩ . محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩ .

٦٠ . محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩ .

٦١ . عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن العربى، نشر

مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.

٦٢. عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦٣. عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.

٦٤. يوسف درويش وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثانى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ١٩٩٩.

٦٥. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الأول، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ١٩٩٩.

٦٦. أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

٦٧. فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية،٢٠٠٠.

٦٨. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الأولى-يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات فى مصر)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٦٩. محمد سيد أحمد وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الثالث بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٠.

٧٠. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثانى، نشر مشترك مع كوديسريا ودار

الأمين، مارس ٢٠٠٠.

٧١. أحمد مختار منصور، الجراحة فى الحضارة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية، ٢٠٠٠.

٧٢. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثانية- نوفمبر٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية فى مصر)، الورقة الثالثة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٧٣. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثالث، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠٠.

٧٤. حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠

٧٥. أديب ديمترى وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الرابع بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٧٦. مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١

٧٧. عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.

٧٨. فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه، فى مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.

٧٩. عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

٨٠. كويسى براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى

شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، الناشر، دار الأمين، ٢٠٠١.

٨١. فيتينو بيكيلى، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.

٨٢. أحمد القصير وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى:من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء الخامس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠١.

٨٣. رمسيس لبيب (تحرير)، العمال فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الأولى بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥،٢٠٠١.

٨٤. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية: مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الرابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، أكتوبر ٢٠٠١.

٨٥. سعد الطويل (تحرير)، الأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الثانية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٨٦. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الثالثة- مايو ٢٠٠٢ (مساهمات فى اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

٨٧. سمير أمين، مستقبل الجنوب فى عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٨. أكيكي بى موجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٩. سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٠. يسرى مصطفى (تحرير)، المجتمع المدنى وسياسات الإفقار فى العالم العربى، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢.

٩١. فخرى لبيب، حلمى شعراوى (تحرير)، منظمة التجارة العالمية ومصالح شعوب الجنوب، بالتعاون مع منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية وعدد من المنظمات غير الحكومية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٢. إسماعيل عبد الحكم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤى: من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥: الجزء السادس بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٣. عبد الغفار محمد أحمد، فى تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية فى السودان، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٤. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

٩٥. حنان رمضان (تحرير)، المرأة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الثالثة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٦. عريان نصيف (تحرير)، الفلاحون فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة الرابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٢.

٩٧. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الخامس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٢.

٩٨. سمير أمين وآخرون، الاشتراكية واقتصاد السوق: تجارب (الصين- فيتنام- كوبا)، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

٩٩. عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٠. عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية- الجزء الثانى، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٣.

١٠١. مدحت أيوب (تحرير)، الأمن القومى العربي، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

١٠٢. طايع آصيفا وآخرون (تحرير)، العولمة والديمقراطية والتنمية: تحديات وآفاق، نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أديس أبابا)، ومركز المحروسة، ٢٠٠٣.

١٠٣. فخرى لبيب (تحرير)، الطلبة فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الورشة الخامسة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، ٢٠٠٣.

١٠٤. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة الرابعة- مايو ٢٠٠٣ (قضايا حول اللغة العربية والتعبير العلمى)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

١٠٥. هويدا عدلى (تحرير)، ثقافة وسائل الاتصال فى الوطن العربى: الإعلام والهوية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٦. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السادس، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٧. سمير أمين، فرانسوا أوتار (تحرير)، مناهضة العولمة : حركة المنظمات الشعبية فى العالم، ترجمة: م.سعد الطويل، نشر مشترك مع المنتدى العالمى للبدائل، ودار الأمين، ٢٠٠٣.

١٠٨. أحمد برقاوى وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية دمشق ومكتبة مدبولى، ٢٠٠٣.

١٠٩. رمسيس لبيب(تحرير)، الانقسامية وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة السادسة والسابعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٣.

١١٠. محمد ماهر الجمال، أحمد لطفى السيد: دراسة فى الخارطة المعرفية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١١١. عبد الغفار شكر (منسق البحث)، نظام الخدمة العامة فى مصر وآفاق تطويره: دراسة حالة محافظة دمياط، بالتعاون مع شبكة الجمعيات الأهلية للتنمية وقضايا النوع بدمياط، ٢٠٠٣.

١١٢. شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد السابع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٣. ريمى هيريرا وآخرون، ترجمة باتسى جمال الدين، الثورة الكوبية... إلى أين....؟ دراسة فى ملامح التاريخ الكوبى واستشراف القرن الواحد والعشرين،

نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث ودار العالم الثالث،٢٠٠٤.

١١٤. أليون سال (تحرير)، ترجمة: سعد الطويل، أفريقيا ٢٠٢٥، أى مستقبل؟ نشر مشترك مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٥. دينيس فينتر وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الثالث نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٦. هاين ماريز، جنوب أفريقيا: حدود التغيير: الاقتصاد السياسى لمرحلة الانتقال، ترجمة صلاح العمروسى وعزة الخميسى، نشر مشترك مع منتدى العالم الثالث وآخرون، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٤.

١١٧. د.أحمد زايد – د.عروس الزبير (تحرير)، النخب الاجتماعية: حالة الجزائر ومصر، نشر مشترك مركز البحوث فى الاقتصاد التطبيقى من أجل التنمية بالجزائر، مع الناشر دار مدبولى، ٢٠٠٤.

١١٨. د. حمدى عبد الرحمن –عزة خليل، المجتمع المدنى ودوره فى التكامل الأفريقى، نشر مشترك مع مركز المجتمع المدنى –جامعة ناتال، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١١٩. فاروق القاضى، آفاق التمرد: قراءة نقدية فى التاريخ الأوروبى والعربى الإسلامى، نشر مشترك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر بالأردن، ٢٠٠٤.

١٢٠. جوزيف بوسير وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، العدد الرابع نشر مشترك مع منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر المدينة برس، ٢٠٠٤.

١٢١. سمير أمين وآخرون، الصراع حول المياه: الإرث المشترك للإنسانية، ترجمة: م. سعد الطويل، نشر مشترك مع منتدى البدائل العالمى الثالث، الناشر

مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٢. عبد العال الباقورى، وعد بوش.. بلفور الجديد: الحصاد المُر للساداتية، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٣. رمسيس لبيب (تحرير وتقديم)، اليسار فى الثقافة المصرية، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، الناشر دار الثقافة، ٢٠٠٥.

١٢٤. ألفريد نهيما (تحرير)، قضايا السلم المنشود فى أفريقيا: التحولات والديمقراطية والسياسات العامة، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، نشر مشترك مع منظمة بحوث العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا) بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠٥.

١٢٥. شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٥.

١٢٦. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة الخامسة- يونيه ٢٠٠٥ (اللغة والإيديولوجية والسلطة)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة.

١٢٧. عزة خليل (تحرير)، تقديم سمير أمين، الحركات الاجتماعية فى العالم العربى، نشر مشترك مع المنتدى العالمى للبدائل، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٨. سامية الهادى النقر، الجمعيات الأهلية والإسلام السياسى فى السودان، الناشر مكتبة مدبولى، ٢٠٠٥.

١٢٩. عروس الزبير، الجمعيات الأهلية الإسلامية- حالة الجزائر، نشر مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٠ . أحمد سليّم وآخرون، سلسلة كتب شهادات ورؤي : من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية جـ٧ بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتي عام ١٩٦٥، ٢٠٠٦.

١٣١ . عبد الأمير السعد، الاقتصاد العالمى: قضايا راهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٢ . حسام رضا، إسرائيل فى الزراعة المصرية، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٦.

١٣٣ . زهدى الشامى وآخرون، دراما أمريكا اللاتينية، دروس التنمية والتحدى الديمقراطى، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٦.

١٣٤ . شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال (مسئول التحرير)، (أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد التاسع، نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٥ . عبد الله على إبراهيم، أصيل الماركسية: النهضة والمقاومة في ممارسة الحزب الشيوعي السوداني، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٦.

١٣٦ . آرشى مافيجى، التشكيلات الاجتماعية فى أفريقيا- دراسة فى النظرية والتطبيق إقليم البحيرات العظمى، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال- تقديم حلمى شعراوى، الناشر، مركز المدينة للإعلام والنشر، ٢٠٠٧.

١٣٧ . ب. بيكمان- ل.م. ساشيكوني (تحرير)، أنظمة العمل واللبرلة: إعادة هيكلة علاقات الدول- المجتمع فى أفريقيا، ترجمة: عزة خليل، الناشر مركز المحروسة، ٢٠٠٧.

١٣٨ . سمير أمين (إشراف)، الفلاحون وتحديات القرن الواحد والعشرين، ترجمة: باتسى جمال الدين- غادة طنطاوى، مراجعة سعد الطويل، الناشر دار العالم

الثالث، ٢٠٠٧.

١٣٩. وداد متري: قلب بحجم الوطن، إعداد مركز البحوث العربية والإفريقية، مطبعة مركز المدينة، ٢٠٠٧.

١٤٠. سعد الطويل وآخرون (تحرير)، وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، **المجلد الأول من ١٩٤٤-١٩٥٢**، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ونشر مشترك مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٧.

١٤١. مصطفى مجدى الجمال، كتاب البوليفاري، تشافيس : جدل الثورة والكاريزما، نشر مشترك مع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٧.

١٤٢. عبد الأمير السعد، قضايا رأس المال والعمل، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٧.

١٤٣. حسنين كشك- حنان رمضان (تحرير)، أحوال الزراعة والفلاحون فى ظل سياسات التكيف الهيكلى، نشر مشترك مع مركز المحروسة والخدمات الصحفية والمعلومات، ٢٠٠٧.

١٤٣(أ). جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة السادسة- سبتمبر ٢٠٠٧ (قضايا فى الازدواجية اللغوية العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة، ٢٠٠٧.

١٤٤. سمير أمين (إشراف)، العمال وتحديات القرن الواحد والعشرين، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٤٥. سمير عبد الباقى (تحرير)، هديل اليمام وراء القضبان: مختارات من قصائد الشعراء الشيوعيين المصريين فى السجون والمعتقلات من ١٩٤٥-١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، نشر مشترك مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٤٦. سعد الطويل (تحرير)، المهنيون وأزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، الورشة التاسعة، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٨.

١٤٧. إلهامى الميرغنى(تحرير)، حوارات ساخنة بين اليسار العربى والأوروبى، بالتعاون مع مؤسسة روزا لوكسمبورج الألمانية، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨. وصدر أيضًا باللغة الإنجليزية.

١٤٨. زهدى الشامى (تحرير)، فى البحث عن بديل لمشاكل الزراعة والفلاحين في مصر بالتعاون مع مركز المحروسة، ٢٠٠٨.

١٤٩. سعد الطويل وآخرون (تحرير)، وثائق الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥، **المجلد الثانى من ١٩٥٢-١٩٥٣** ، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، ٢٠٠٨.

١٥٠. إيمان البسطويسى (تحرير)، الثقافات المحلية فى ظل العولمة: دراسات مصرية أفريقية، بالتعاون مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية- جامعة القاهرة، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥١. مدحت أيوب (تحرير)، بدائل التنمية، بالتعاون مع الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، الناشر دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥٢. جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق فى علم اللغة، الورقة السابعة، نشر مشترك مع جماعة اللغويين فى القاهرة، ٢٠٠٨.

١٥٣. محمد جويلى، الثأر الرمزى: تماس الهويات فى واحات الجنوب التونسى، تقديم د.الطاهر لبيب، بالتعاون مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥٤. مجموعة من العلماء الصينيين، أحوال الصين: دراسات نقدية، ترجمة مصطفى مجدى الجمال وآخرون، بالتعاون مع دار العالم الثالث، ٢٠٠٨.

١٥٥ . شهيدة الباز(إشراف)، مصطفى مجدى الجمال(مسئول التحرير)، (أفريقية – عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، المجلد العاشر، نشر مشترك مع كوديسريا ودار العالم الثالث، إبريل ٢٠٠٩.

١٥٦ .عبد الغفار شكر، الصراع حول الديمقراطية فى مصر، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٩.

١٥٧ .عبد العال الباقوري(تحرير)، الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الوطن العربى، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٩.

١٥٨ . ضياء الدين زاهر (تحرير)، تمويل التعليم فى مصر، نشر مشترك مع كوديسريا، ٢٠٠٩.

١٥٩ . حلمى شعراوى (تحرير)، فى رحاب فاروق كدودة: التنمية والديمقراطية، ٢٠٠٩.

١٦٠ . حلمى شعراوى، أفريقيا من قرن إلى قرن، نشر مشترك مع مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠.

١٦١ .عاصم الدسوقى (تقديم)، حنان رمضان (الإعداد والتصنيف)، مجلة الفجر الجديد، المجلد الأول، والثانى، مطبوعات المركز بالتعاون مع صندوق التنمية الثقافية، ٢٠١٠.

١٦٢ . عبد الغفار شكر وآخرون، الأحزاب السياسية وأزمة التعددية فى مصر، نشر مشترك مع دار جزيرة الورد للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

١٦٣ .كريم مروة وآخرون، نهوض اليسار العربى، نشر مشترك مع دار جزيرة الورد للنشر والتوزيع ٢٠١٠.

كراسات المركز

١. أحمد هنىء، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر، ١٩٨٨.

٢. عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨.

٣. أشرف حسين، ببليوجرافيا الطبقة العاملة، ١٩٨٨.

٤. عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩.

٥. مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩

٦. موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسى، البيريسترويكا فى عيون الآخرين، ١٩٩٠

٧. محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٨. إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٩. عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١٠. حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١١. أحمد صالح، الإنترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

١٢. عريان نصيف (تحرير)، الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.

١٣. أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة، ٢٠٠٢.

١٤. عريان نصيف (تحرير)، التشريع التعاونى فى مصر: الواقع.... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١٥ . د.محمد ماهر الجمال، مضامين التربية الشعبية، في مجلة «الأستاذ» لعبد الله النديم، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٦ . مدحت أيوب، قضايا فى الاقتصاد المصرى بعد التكيف الهيكلى، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٣.

١٧ . كلود كاتز وآخرون، ترجمة يوسف درويش، إمبريالية القرن الواحد والعشرين، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٣.

١٨ . سمير أمين، الفيروس الليبرالى: الحرب الدائمة وأمركة العالم، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.

١٩ . محمد إسماعيل زاهر، أزمة الوعى العربى بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.

٢٠ . بهيج نصار، البحث عن مفهوم للديمقراطية فى مرحلة الثروة العلمية والتكنولوجية الراهنة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٤.

٢١ . الحركة العمالية المصرية: الخبرة النضالية وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع مركز المحروسة، ٢٠٠٤.

٢٢ . د.حامد الهادي، إحصاءات السكان والحيازة الزراعية: تحليل اجتماعي، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.

٢٣ . د.سيد عشماوى، الدراسات الحديثة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث خلال السنوات العشر الأخيرة، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٥.

كتيبات كوديسريا

١- أوكوادبا نولى، الصراع العرقى فى أفريقيا، ١٩٩١.

٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية فى أفريقيا، ١٩٩١.

٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات، ١٩٩١.

٤- جيمى آديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٥- مومار ديوب، ممادو ديوف، تداول السلطة السياسية وآلياتها فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٦- أديمولات - سالو، البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لأفريقيا، ١٩٩٣.

٧- م٠ مامدانى،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية فى أفريقيا، ١٩٩٣

٨- ثانديكا مكانداويرى، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا، ١٩٩٣

٩- آرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة فى أفريقيا، ١٩٩٣.

١٠- سليمان بشير ديانى،المسألة الثقافية فى أفريقيا، ١٩٩٦.

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.

١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٤- تادى آكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٥- ممادو ديوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.

١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.

١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشيلى ميبمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

١٩- تشيكيلاك. بيايا، الشباب والعنف والشارع فى كنشاسا: نسمع ونفهم ونصف، ٢٠٠١.

٢٠-سليمان بشير ديانى، إعادة بناء المعنى: نصوص ورهانات لقراءة مستقبل

أفريقيا، ٢٠٠١.

٢١- عثمان كان، المثقفون الأفريقيون المتحدثون بلغات غير أوروبية، ٢٠٠٥.

٢٢- جومو كوامى صندارام، الاعتبارات الاقتصادية للتجديد الوطنى، ترجمة: إسماعيل زقزوق، بالتعاون مع كوديسريا، ٢٠٠٨.

٢٣-آدم با كونارى، التاريخ والديمقراطية والقيم، خطوط جديدة للتأمل، ٢٠٢٠، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال.

٢٤-مايلن شونج كنج وآخرون، بحوث الطفولة فى أفريقيا، ترجمة منى مصطفى الجمال، ٢٠١٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.

٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.

٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية فى التسعينيات ومابعدها.

٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.

٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.

٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.

١٠ - أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.

١١ - الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.

١٢ - ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا.

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١ - دراسة حالة فى ناميبيا.

٢ - دراسة حالة فى أوغندا.

٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة.

٤ - المبادئ الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.

٥ - دراسة حالة فى جامبيا.

٦ - دراسة حالة فى أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١ - الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.

٢ -المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية.

٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.

٤ - تخفيف الفقر وصيانة البيئة.

٥ - تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية.

٦ - إدارة المشروعات الصغيرة

٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة

٨- دور مؤسسات المجتمع المدنى في منع وإدارة وحل الصراعات فى أفريقيا.

النشرات

١ - **نشرة البحوث العربية**:من العدد التجريبى يناير ١٩٩٠ إلى العدد (١٥-١٦) سبتمبر٢٠٠٣- مارس٢٠٠٤.

٢- **نشرة المجلس الأفريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا)**: من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد الرابع والخمسون، ٢٠١٠.

٣-**نشرة العلوم السياسية الأفريقية**: من العدد الأول إلى العدد الثامن والثلاثون، أغسطس ٢٠٠٣.

٤- **نشرة الذاكرة الوطنية**- مع لجنة التوثيق- العدد الثانى-أكتوبر ١٩٩٦.

٥- **نشرة منتدى العالم الثالث بداكار**: العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثانى يونيو ١٩٩٧.

٦- **نشرة المنتدى العالمى للبدائل**: العدد الثالث- فبراير ٢٠٠٢.

٧- **نشرة منظمة العلوم الاجتماعية لشرق وجنوبى أفريقيا (أوسريا)**، العدد الثانى، يناير ٢٠٠٦.

تحت الطبع.

١. الجزء الثالث من وثائق الحركة الشيوعية المصرية من ١٩٥٣- ١٩٥٤.
٢. شهادات ورؤى: الجزء الثامن.
٣. أدب السجون
٤. بحث الحركات الاحتجاجية.
٥. نشرة كوديسريا العدد ٥٥ / ٢٠١٠.



المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة